

الأجوبة الفاخرة

عن الأسئلة الفاجرة

في الرد على الملة الكافرة

للإمام العلامة

شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي

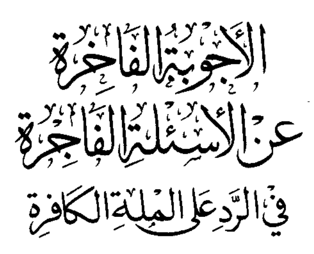
المشهور بالقرافي

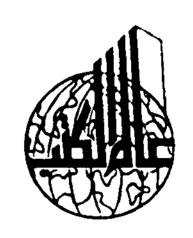
٦٢٦ - ٦٨٤ هـ

تحقيق

مجدي محمد الشهاوي

عالم الكتب


الأجوبة الفاخرة
عن الأسئلة الفاجرة
في الرد على الملة الكافرة



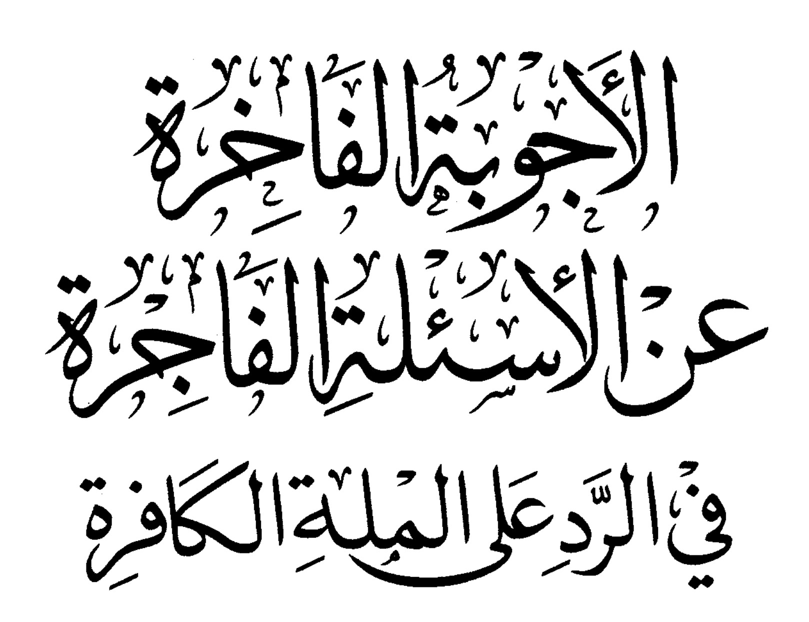
عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

ص.ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، برقياً: نابعلبكي
تلفون: ٣١٥١٤٢ ـ ٨١٩٦٨٤ (٠١)
خليوي: ٠٣/٣٨١٨٣١
فاكس ٣١٥١٤٢ (٩٦١١)

WORLD OF BOOKS
FOR PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION
BEIRUT - LEBANON

P.O BOX: 11-8723, CABLE: NABAALBAKI
TEL.: 01-819684 / 315142
CELL. 03-381831, FAX: (9611) 315142
E. mail: alamko @ dm.net.lb

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



للإمام العلامة

شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي

المشهور بالقرافي

٦٢٦-٦٨٤هـ

تحقيق

مجدي محمد الشهاوي

عالم الكتب


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم المحقق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى محمد ﷺ؛ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ثم أما بعد:

من نافلة القول أن نقرر هنا ونؤكد أنها بدعة قديمة وعادة ذميمة تلك التى ابتدعها واتبعها بعض اليهود والنصارى، وهى الكيد للإسلام ونبيه وأهله حقداً وحسداً. فنجدهم دائماً. مجتمعين أو متفرقين. يفترون على الله الكذب.. يكيلون التهم ويصنعون الأباطيل وينسجون الافتراءات. يوجهونها إلى الإسلام يريدون طعنه في الصميم حتى ينصرف عنه بنوه وينأى عنه أتباعه ومحبوه، وهيهات. هيهات أن يتم لهم ما أرادوا، حيث نسوا أو تناسوا أن هذا الدين هو: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ولهذا فسهامهم دائماً ترد إلى نحورهم.

وها هو القرآن الكريم يبيّن. في جلاء ووضوح هدفَهم من هذا الكيد وذلك التدبير الذي يريدون به إثبات كونهم على الحق والهدى وغيرهم على الباطل والضلال يقول العزيز العليم ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ﴾ [البقرة: ١٣٥]، ويقول عزَّ من قائل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ويقول جل شأنه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ

مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وغير ذلك كثير مما جعل القرآن يرد عليهم بقوله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

ومن عجب أن هذه الطائفة من اليهود والنصارى. كانت تستدل على صحة آرائها ووجهة نظرها وتأييد باطلها وزيفها وتحسين القبيح من أقوالها وأفعالها. تستدل على كل ذلك ببعض النصوص القرآنية التى لا يفهمون لها معنى، أو هم يفهمون ولكنهم ينكرونها حسداً وظلماً وعلوّاً. وصدق الله حين يقول: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وقال وقوله الحق: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

وأيًّا ما كان، فليس بدعاً ولا عجيباً أن يكون هذا موقفهم من الإسلام ونبي الإسلام. فلقد كان موقفهم أشد نكراً من أنبيائهم ورسلهم، وآذوْا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ونسبوا إليه واتهموه بما برَّأه الله منه وكان عند الله وجيهاً. وقالوا في سيدنا عيسى (عليه السلام) ما لا يقبله عقل ولا منطق ولا دين، ففي الوقت الذى يقولون فيه أنه ابن الله يزعمون في وقت آخر بأنهم قتلوه وصلبوه.

باختصار لم يسلم منهم أحد، حيث سفكوا الدماء وقتلوا الأنبياء بغير حق.. إلخ وحسبهم ما ورد بشأنهم في القرآن الكريم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٥، ١٥٨].

بل إنهم عندما كانوا يضيقون ذرعاً بالإسلام وأهله، كانوا ينقسمون على أنفسهم ويكيد بعضهم لبعض. كل طائفة تطعن الأخرى في صميم رسالتها وتراها كأن لم تكن: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣].

والكتاب الذى بين أيدينا **(الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة)** للإمام / شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (٦٢٦ : ٦٨٤هـ) = (١٢٢٨ : ١٢٨٥ م) ويعتبر هذا الكتاب ـ بحق وصدق ـ رائعة من روائع المؤلف ودرّة ثمنية من دُرَرِه الغالية وكنزاً من كنوزه التى لا

تبارى. فهو رحمه الله صاحب مؤلفات كثيرة قيّمة كلها ذخائر نفسية. جلّها في خدمة الإسلام وشرح قضاياه وإبراز مزاياه وتبيان أنواره وهداه والدفاع عنه بكل ما منحه الله من علم وبصيرة جزاه الله عن الإسلام الجزاء الأوفى.

يتصدى الكتاب للكثير من التساؤلات الجريئة والافتراءات الخارجة على المألوف ودحض الشبُّه التى يتردَّى فيها بعض اليهود والنصارى. حيث يبدأ المؤلف بعرض الفرية وتوضيحها جيداً، ثم يتولى الرد عليها بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة التى تبطل ما انطوت عليه دعواهم من غش وخداع وتضليل مبيناً ما في أقوالهم وأفعالهم من تناقض وتضارب وكأنه يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

وما أجملَ أن يختم المؤلف كتابه هذا بإيراد أكثر من خمسين دليلاً في شكل بشائر: البشارة الأولى البشارة الثانية.. إلخ.. وردت هذه البشائر في كتبهم (التوراة والأناجيل) كلها تدل بما لا يدع مجالاً للشك. على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ وأنه أفضل النبيين وخاتم المرسلين ورحمة الله للعالمين، مع النص على اسمه ونعته وسلوكه وبلده وخلود رسالته حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

مخطوطة الكتاب

اعتمدتُ في تحقيق هذه الطبعة على النسخة الخَطِّيَّة النادرة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث (ملحقة بطوبقو سراي / استانبول تركيا) تحت رقم ١٧٧٢، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٧٣٧هـ، وتقع في ١٣٩ ورقة، قياس ٢١ × ١٦سم بكل ورقة صفحتان.

ثم وفقنى الله إلى أن عثرت على طبعة قديمة للكتاب مطبوعة على هامش كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» للعلامة عبد الرحمن بك أفندى الباجه جى زاده[1]، وهو مطبوع على هامشه إبتداء من هامش الصفحة الثانية حتى الصفحة رقم ٢٦٥ منه، وقد طبع بمطبعة الموسوعات بباب الخلق، ولم يدون عليها تاريخ الطباعة، والأكيد أنه طُبع في حياة مؤلف كتاب «الفارق»، مما يعني أنه طبع قبل عام ١٩١١م (١٣٣٠هـ) أي منذ أكثر من ثمانين عاماً.

عملي في الكتاب:

مستعيناً بالله في كل حال:

١ ـ قابلت بين المخطوط والمطبوع مما يسرَّ عليَّ استدراك النقص وتصويب الأخطاء والتصحيفات واستكمال ما سقط من المخطوط من النص المطبوع.

٢ ـ قمت بتخريج الآيات القرآنية وعزوت كلَّ آية إلى سورتها.

٣ ـ خَرَّجت ما في الكتاب من الأحاديث النبوية الشريفة.

---

(١) هو الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن سليم بن عبد الرحمن بن الباجه جى زاده [١٢٤٨ . ١٣٣٠هـ = ١٨٣٢ . ١٩١١م] البحاثة الحنفي من أعيان العراق، موصلي الأصل، ولد وعاش ومات بغداد، كان رئيساً لمحكمتها التجارية، وانتخبته نائباً في المجلس العثماني، له كتاب «الفاروق بين المخلوق والخالق» ومعه «ذيل الفارق» انظر: بين احتلالين [٢٣١]، معجم المؤلفين العراقيين [٢/ ٢٤٣]، سركيس [٥٠٧]، إيضاح المكنون [٢/ ١٥٣] الأعلام خير الدين الزركلي [٣/ ٣٠٧].

٤ ـ أضفت في هوامش الكتاب ما يُعين على توضيح وفهم مادة الكتاب، وسيلمس القارئ هذا واضحاً بمطالعة الكتاب.

٥ ـ قدمت للكتاب بتعريف للمؤلف.

والحمد لله رب العالمين الذى أعانني على إخراجه وإتمامه على وجه رأيته كاملاً، واليقين أنه ليس كذلك لقول القائل: «لكل شيء إذا ما تمَّ نقصان»، وقول الأصفهاني: «ما كتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده: «لو زيد كذا لكان أحسن، ولو حُذف كذا لكان يُستحسن، ولو أضيف كذا لكان أصوب، ولو نقص كذا لكان يستصوب، وهذا دليل جملة النقص على جميع البشر»، نبهني الله وإياك من نومة الغافلين، اللهم لا تجعلنا ممن استهوته الشياطين، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

وسلام الله عليك ورحمته وبركاته..

مجدي محمد الشهاوي

دمياط . مصر

التعريف بالإمام القرافي

١ ـ اسمه ولقبه:

هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن يلين الصنهاجي البهفشيمي البهنسي المصري.

٢ ـ سبب تسميته بالقرافي:

قال أبو عبد الله بن رشيد: ذكر لي بعض تلامذته أن سبب شهرته بالقرافي أنه لما أراد الكاتب أن يثبت اسمه في بيت الدرس كان حينئذ غائباً فلم يعرف اسمه، وكان إذا جاء للدرس يقبل من جهة القرافة، فكتب القرافي فمرت عليه هذه النسبة.

٣ ـ مولده:

لم أجد مَن ذكر تاريخ ميلاده إلا إسماعيل البغدادي في هدية العارفين [٩٩/١] فقال: ولد سنة ٦٢٦ هـ.

٤ ـ كتبه ومصنفاته:

ألف التآليف البديعة البارعة ومنها:

* التنقيح في أصول الفقه وهو مقدمة الذخيرة[١].
* العقد المنظوم في الخصوص والعموم.
* الاستغناء في أحكام الاستثناء.
* شرح الأربعين في أصول الدين للرازي.

---

(١) كتاب «الذخيرة» في الفقه للقرافي، رأيت منه مخطوتين بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ١١٤ بعثة المغرب (القائمة الأولي)...، والثانية تحت رقم ٣٠٨ بعثة المغرب (الثانية).

* الانتقاد في الاعتقاد.
* الأمنية في إدراك النية.
* التعليقات على المنتخب.
* توشيح الديباج[١].
* شرح التهذيب.
* شرح المحصول.
* شرح الجلاب.
* اليواقيت في أحكام المواقيت.
* الإبصار في مدركات الأبصار.
* البيان في تعليق الإيمان.
* الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباته.
* المنجيات والموبقات في الأدعية وما يجوز منها وما يُكره وما يُحرم.
* أنوار البروق في أنواء الفروق[٢].
* الأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية.
* الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام[٣].

ومصنفاته قال عنها ابن فرحون:

«سارت مصنفاته مسير الشمس، ورزق فيها الحظُّ السامي عن اللمس، مباحثه كالرياض المونقة، والحدائق المعرقة، تنزه فيها الأسماع دون الأبصار، ويجني الفكر ما بها من أزهار وأثمار، كم حرر مناط الإشكال، وفاق أضرابه النظراء والأشكال، وألَّف كتباً مفيدة انعقد على كمالِها لسان الإجماع، وتشنَّفتْ بسماعها الأسماع».

---

(١) مخطوط بمعهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم ٧٠ بعثة المغرب (القائمة الأولي).

(٢) رأيت منه نسخة مخطوطة في جزئين بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (٧٩ . ٨٠ أصول فقه) ويقع الجزءان معاً في ٤١٦ ورقة، ويُعرف هذا الكتاب باسم «القواعد السيئة في الأسرار الفقهية».

(٣) رأيت منه نسختين مخطوطتين بدار الكتب المصرية، الأولي في ٦٣ ورقة تحت رمز (١ فقه مالك) ومصورة على الميكروفيلم رقم (٢٠٠٦)، والثانية في ٤١ ورقة تحت رمز (٥٥٧ فقه مالك) ومصورة على الميكروفيلم رقم (٤٢٤٤٣).

٥ ـ ثناء العلماء عليه:

قال ابن عدلان: «أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر عِلْمَاً في ثمانية أشهر، أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهراً »، وذكر عن قاضي القضاة تقي الدين بن شكر قال: « أجمع الشافعية والمالكية على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين بن منير بالإسكندرية، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بالقاهرة المعزية، وكلهم مالِكِيَّة خلا الشيخ تقي الدين فإنه جمع بين المذهبين».

٦ ـ شيوخه:

أخذ عن: جمال الدين بن الحاجب، العز بن عبد السلام، وشرف الدين الفاكهاني، وأبي عبد الله البقوري.

٧ ـ وفاته:

توفي رحمه الله بدير الطين في جمادي الآخرة عام أربعة وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة بمصر.

وللمزيد عنه انظر المراجع التالية:

١ ـ كتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للعلامة محمد بن محمد مخلوف [١/١٨٨ ـ ١٨٩ رقم ٦٢٧] (ط . السلفية ١٣٤٩ هـ).

٢ ـ كتاب الديباج المذَهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب، للإمام العلامة برهان الدين بن محمد بن فرحون [١ ـ٦٢ . ٦٧] (ط . ١٣٥١ هـ).

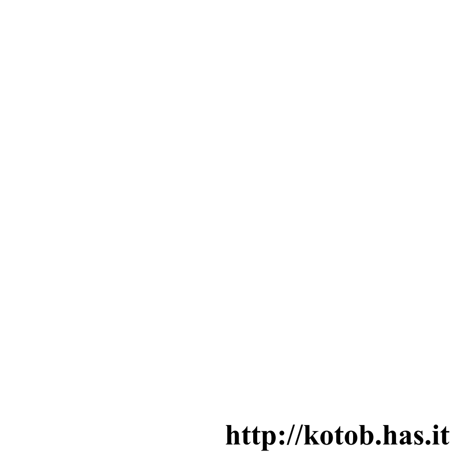
٣ ـ كتاب الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي [١ ـ٩٠]، وقال انظر: معجم المطبوعات [١٥٠١]، الخزانة التيمورية [٣/ ٢٣٩]، الفهرس التمهيدي [٢٢٦].

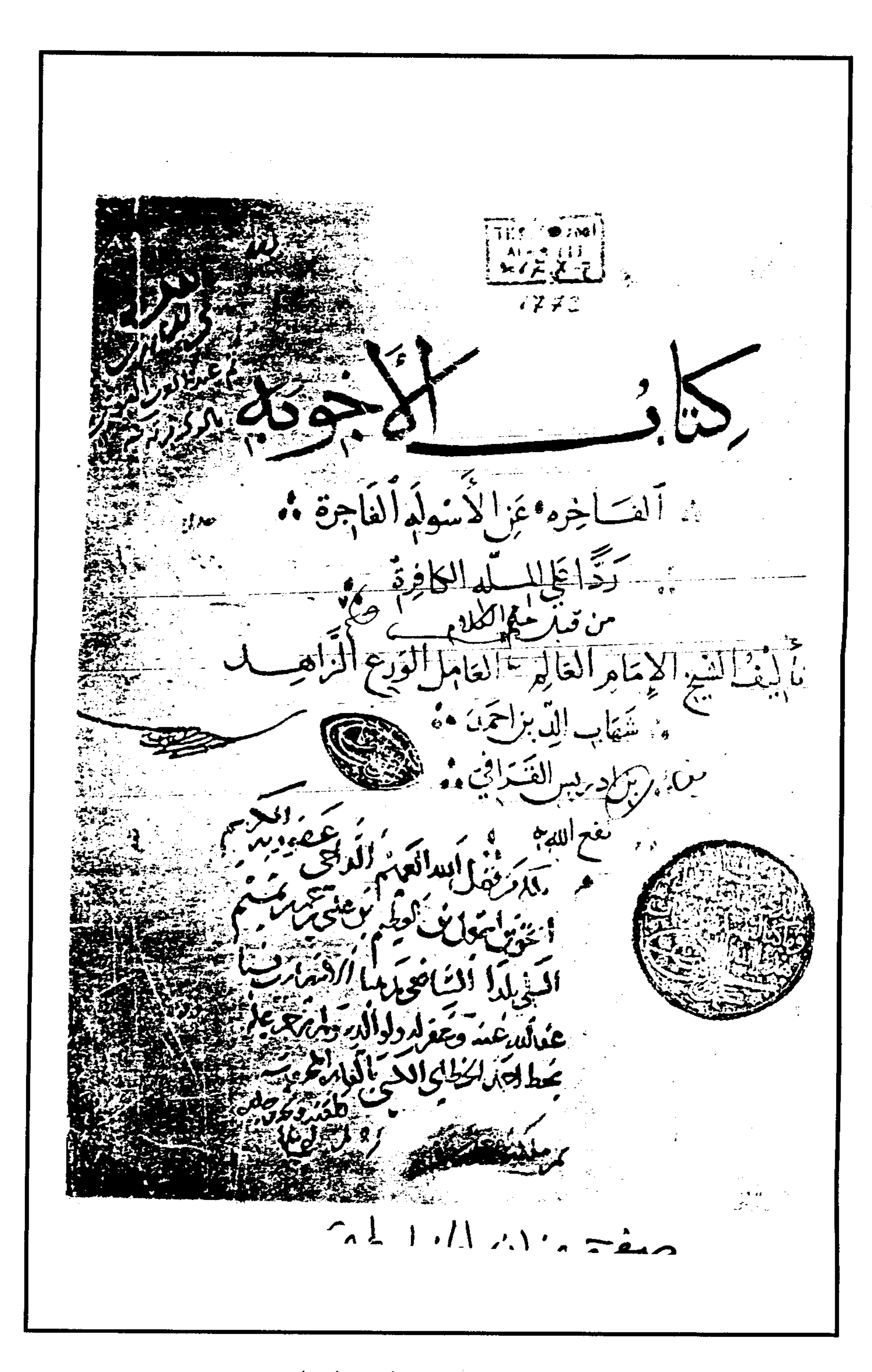
٤ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم [ج ١/ ٣١٦] رقم ٦٩، ط. دار إحياء الكتب العربية [١٩٦٧م . ١٣٨٧ هـ].

٥ ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للميرزا محمد باقر الموسوي الأصبهاني [١/ ٩٤ . ٩٥].

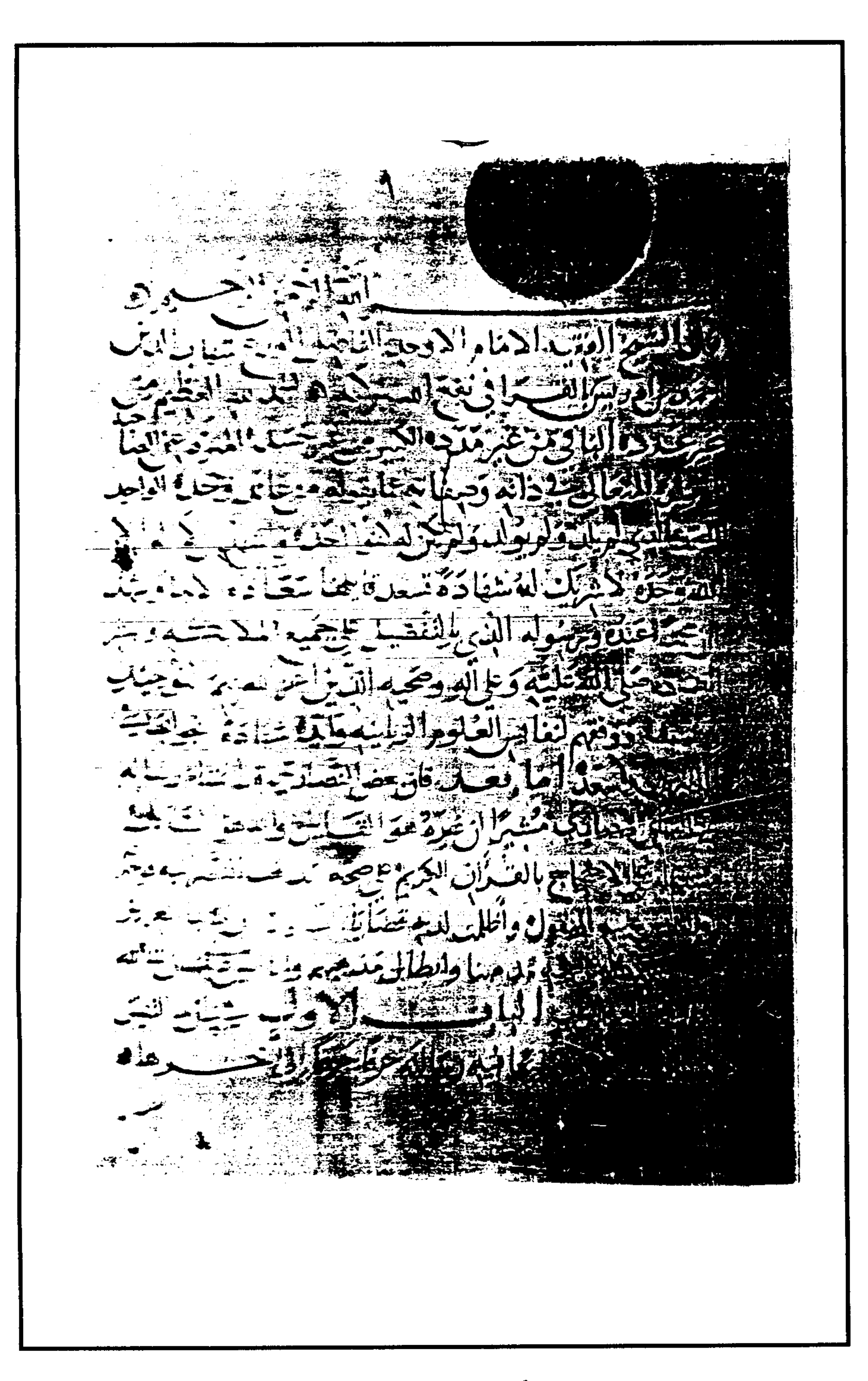
٦ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون [١/ ١١].

٧ ـ هدية العارفين لإسماعيل البغدادي [١/ ٩٩].




كتاب الأجوبة
الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة
ردا على الملة الكافرة
من قبل علم الكلام
تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الورع الزاهد
شهاب الدين أحمد
بن إدريس القرافي
نفع الله به

صفحة عنوان المخطوطة



الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة

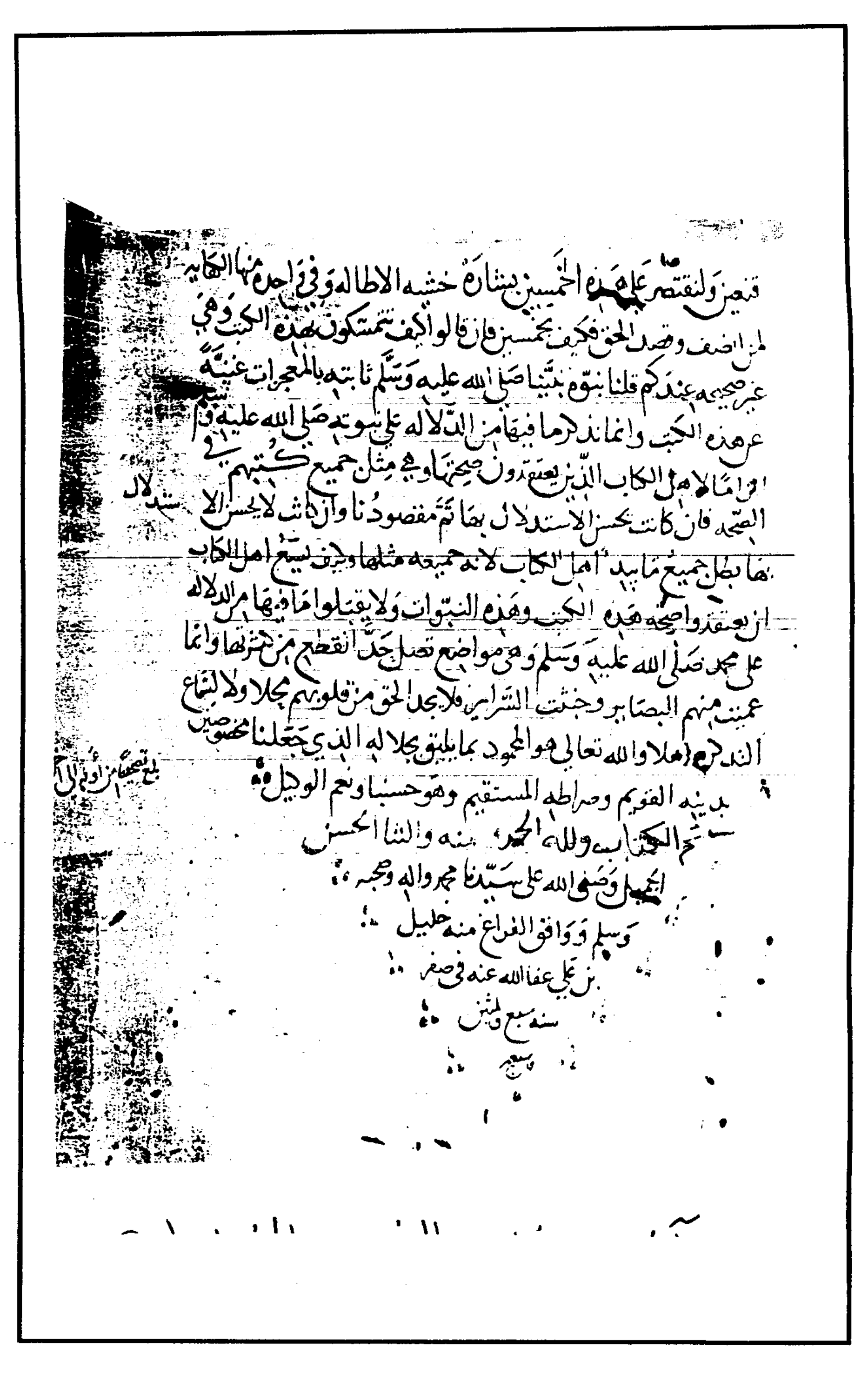

الباب الثاني في أسولة لأهل الكتاب النصارى
واليهود عادتهم يتولعون بإيراد ما غير أسولة الرسالة المذكورة والجواب
عنها ليكون الواقف على هذا الكتاب قد احاط بجميع ما تسال عنه أهل
الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية الباب الثالث
في معارضة اسولتهم بما في سوال أورد تما على الفريقين بتعذر
عليهم الجواب عنها إن شاء الله الباب الرابع في
الدلالة ما في كتبهم مما يدل على صحة ديننا وإثبات نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم ليكون سندا لأهل الباطل معارضا بأسند لأهل الصحيح على ما ستقف
عليه إن شاء الله تعالى فتكمل الأجوبة بالمعارضة بالأسولة والنصوص
المستخرجة من كتبهم وسميت الكتاب بالأجوبة الفاخرة عن الأسولة
الفاجرة مستعينا بالله تعالى في الأمر كله وهو حسبي ونعم الوكيل
الباب الأول في الجواب عن الرسالة على وجه الاختصار
دون الإكثار في الانتصار فإن النصارى أمة عميا وطايفة جهلا قد غلب
عليهم التقليد وتجنبوا محجة النظر السديد حتى لا يبحثون عن صحة ما
يلقيه إليهم اساقفتهم ولا يتأملون ما يعتمدون في دينهم إلا كابرهم وطغاتهم
ولولا ذلك لم يتدينوا بدين النصرانية وجود لظهور فساده وتباينه
من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه وأن أمه ولدت خالقها وتن حكى

الصفحة الثانية من المخطوطة

عند الله تعالى لانه آمن بالمسيح وصدّقه وقال انه كان نبيا وان اعتقادنا
هو الاعتقاد الحق في عيسى بن مريم وان اعتقاد النصارى واليهود فيه باطل
واليهود الى الآن تنتظر مسيح الهدى يأتي غير مسيح الضلالة الذي انذرته الانبيا
قومها وقد تعداهم السعد وهم لا يشعرون البشارة

قال ارميا عليه السلام في نبوته حاكيا عن الله تعالى اني مبيح عليكم
يا بني اسرائيل من البعد امة عزيزة امة قديمة امة لا تفهمون بلسانها
وكلها مجرب جبارا وهو تصريح بهذه الامة وبعدها لانها ليست من
بني اسرائيل وعزها واعتقادها على الحق وقدمها انذار الانبيا بها قديما
ولسانها عربي لا يفهمه بنو اسرائيل وتجربة العرب والغزوات والقفار والمهالك للحروب
مشهورة قديما وحديثا لا تجارى ولا تساويها فيه امة من الامم وهو جبروتها
علامة قلوبها على المشاق [illegible] قال اشعيا عليه
السلام في نبوته انا الرب لا اله غيري انا الذي لا تخفى عليه خافية تخبر (لعله اخبر)
بما لم يكن قبل ان يكون واكشف لهم الحوادث والغيوب وانا منبئ كلما ازداد (عو)
طايرا من البلد والبعد الشاسع بهذا الطاير محمد صلى الله عليه وسلم لانه من هو
البلد الشاسع عن اقليم بني اسرائيل وسماه طايرا لطيران ملكه وهديه في الآفاق
والحمل على الطاير الحقيقي لا يبقى في هذا الكلام العظيم فائدة فتعين حمله على معنى
نفيس لائق بهذا السياق العظيم ولم يقع في العالم ما يليق بهذا الخبر سوى محمد صلى الله عليه وسلم

الصفحة قبل الأخيرة من النسخة المخطوطة



آخر صفحات النسخة المخطوطة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد الفاضل الورع شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافي نفع الله ببركته:

«الحمد لله العظيم من غير عدد، الباقي من غير مدد، الكبير من غير جسد، المنزه عن الصاحبة والولد، المتعالي في ذاته وصفاته عما يقول مَنْ عاند وجحد، الواحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة يسعد قائلها إلى الأبد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بالتفضيل على جميع الملائكة والبشر قد انفرد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أعز الله بهم التوحيد وشيَّد، ووفقهم لنفائس العلوم الربانية وأيَّد، شهادةً أنجو بها في الدارين وأُسعد.

أما بعد..

سبب تاليف هذا الكتاب:

فإن بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً إلى أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل، مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية، فوجدته قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، فإن كتابنا العزيز وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم.

تقسيم أبواب الكتاب:

وأنا أبيّن ذلك إن شاء الله تعالى في أربعة أبواب:

الباب الأول: في بيان ما التبس عليه من القرآن الكريم متتبعاً فيه رسالته حرفاً حرفاً إلى آخرها.

الباب الثانى: في أسئلة لأهل الكتاب النصارى واليهود عادتهم يَتَوَلَّعون[1] بإيرادها - غير أسئلة الرسالة المذكورة - والجواب عنها؛ ليكون الواقف على هذا الكتاب قد أحاط بجميع ما يسأل عنه أهل الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية.

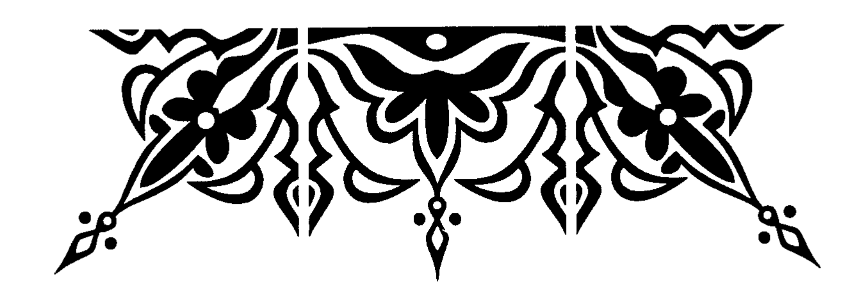
الباب الثالث: في معارضة أسئلتهم بمائة سؤال أوردتها على الفريقين يتعذر عليهم الجواب عنها إن شاء الله.

الباب الرابع: في إبداء ما في كتبهم مما يدل على صحة ديننا وإثبات نبوة نبينا ﷺ؛ ليكون استدلالهم الباطل مُعَارَضاً باستدلالنا الصحيح على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، فتكمل الأجوبة بالمعارضة والنصوص المستخرجة من كتبهم.

وسميتُ الكتاب: **«الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»** مستعيناً بالله تعالى في الأمر كله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

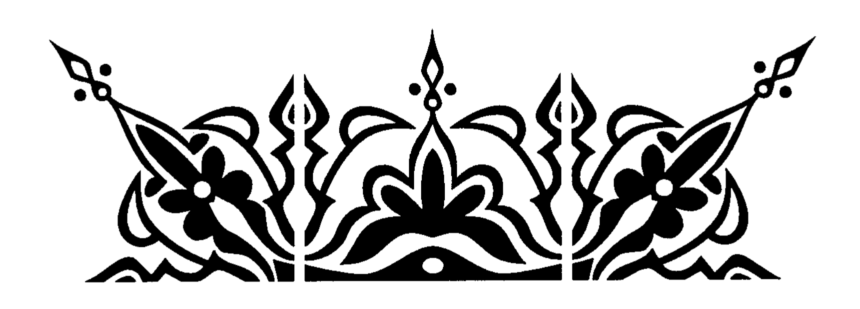
---

(١) يقال وَلِعَ فلان بالشيء أي أُغري به وشُغِف.



الباب الأول

في الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار دون الإكثار في الانتصار



في الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار دون الإكثار في الانتصار

فإن النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء، قد غلب عليهم التقليد، وتجنبوا محجة النظر السديد، حتى لا يبحثوا عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم، ولا يتأملوا ما يعتمده في دينهم أكابرهم وطغاتهم، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده، وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه، وأن أمه قد ولدت خالقها.

ومن تلك الغفلات ما قد حكى المسيحي[1] في تاريخه وغيره، أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه في دينهم عشر مرات بالقسطنطينية والإسكندرية[2]، ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مرة، وكَفَّرُوا من يعتقده وأثبتوا غيره، فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفهم لا لرسالات ربهم.

---

(١) سعيد بن البطريق (٢٦٣ ـ ٣٢٨هـ = ٨٧٧ ـ ٩٤٠م) مؤرخ، من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركاً في الإسكندرية وسُمِّي أنتيشيوس سنة ٣٢١هـ، وهو أول من أطلق اسم «اليعاقبة» على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي المتوفى ٥٧٨م.. انظر: الأعلام (٣/ ٩٢)، طبقات الأطباء (٢/ ٨٦)، آداب اللغة (٢/ ٢٠٠).

(٢) قلت ـ أي المحقق ـ: تناول الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ أنواع هذه الاجتماعات وتاريخها وأسباب انعقاد كل منها وقراراتها في كتابه المسمى «محاضرات في النصرانية» وقد بحث فيه الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وكتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم (نشرت رئاسة الافتاء والإرشاد بالسعودية الطبعة الرابعة للكتاب سنة ١٤٠٤هـ)، وكان أول اجتماع في نيقية عام ٣٨٥م ثم كان لأكابرهم سنة ٣٨١ ميلادية الاجتماع الأول بالقسطنطينية، وهكذا استمرت قراراتهم واجتماعاتهم وتعددت، فكان الاجتماع العاشر في روما سنة ١١٣٩م. وانتهت تلك المجمعات بالمجمع العشرين المنعقد في روما سنة ١٨٦٩ وقد اثبتوا فيه العصمة للبابا، وتفصيل ذلك في كتاب الشيخ أبو زهرة فليراجع هنالك. كما أن الإمام ابن القيم الجوزية تناول بعضاً من مجتمعاتهم في إغاثة اللهفان [٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨٣]، وقد أشار ـ رحمه الله ـ إلى أنهم اجتمعوا عدة مجامع تزيد على ثمانين مجمعاً [٢/ ٢٧١].

ومنها أنهم في بلاد الروم بأسرها كبرشلونه وبركونة ومرسيلية وفرنسة وسائر مدن الإفرنج لهم ثلاثة أيام في السنة معلومة، يقول فيها الأساقفة للعامة: «سرقت اليهود دينكم»، واليهود ساكنون معهم في البلاد، فتنطلق العامة وأهل البلد بجملتهم يطلبون اليهود، فمن وجدوه قتلوه، وأي دار قدروا عليها نهبوها، واليهود تعلم تلك الأيام فتتحصن وتستعد لها فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير إلى ظاهر المدينة، فدخل إلى سرداب هناك، فقعد ساعة ثم خرج بحُقٍ عظيم محاط بالحلي والطيب، يزعم أن الدين فيه ويقول لهم: «حلوا عن اليهود، فقد وجدت دينكم»، فيتركون اليهود ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها، عاد الحال بحاله، وهذا مما أطبق عليه الفرنج لا ينكرونه أبداً.

ومما أطبق عليه النصارى في أحكامهم في كرسي مملكتهم بعكا[1] أن أحدهم إذا ادعي على آخر قتلاً حلقوا رأس الإثنين، ودفعوا لكل واحد منهما باسليقاً[2] وقرناً محدد الطرف، وخرج مع نائب ولي الأمر إلى مدينة «تورا»، يجتهد كل واحد منهما أن يضرب صاحبه بالباسليق في قرعته، فمن ظفر بصاحبه فصرعه برك على صدره وغرس ذلك القرن في عينه، ثم يأخذهما ولي الأمر ويعتقدون أن المغلوب أبداً هو المبطل الظالم، وأن الغالب هو الصادق فيأخذ الراهب ذلك المغلوب، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أي شيء أقررت به من ذنوبك غفر لك، وأي شيء أخفيته عاقبك السيد المسيح عليه، فيجتهد ذلك الرجل بقلة عقله أن يبدي له جميع عوراته وزلاته، ثم يؤمر به ويُقتل، فانظر هذه الأحكام، هل تتصور أن تجري بين قوم لهم من العقل شيء ويستمر ذلك مع الأيام؟، ولا يخطر ببالهم أن المظلوم قد تضعف قوته عند ملاقاته الظالم فتجتمع عليه ظلامات وغبائن، ثم إن هذه الأحكام لا يجدونها في الإنجيل ولا في التوراة، بل هم على قاعدتهم في اختراع دينهم برأيهم، كما حكاه المسيحي وغيره من المؤرخين عنهم.

ومما أطبق عليه النصارى: أن الأسقف إذا لم يوافقه شخص على هواه، حرم عليه، ومعنى حرم عليه: أن الرب تعالى غضب عليه، وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته وموالفته، بل يتعين عليهم هجرانه وتركه، ويخطر ببالهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة وتموت دوابه ويهلك رزقه، وإن مات فيها ذهب إلى السخط الدائم والعذاب المقيم.

ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا في الأرض يتصرفون فيها في العباد تصرف رب الأرباب، وأن بيدهم السعادة والشقاء، مع أنهم أقل من قليل وأحقر من ذليل، يبيت الواحد من الأساقفة وعذرته على فخذيه طول عمره، يأكل الرشا في الأحكام ويتغذى

---

(١) عكا: مدينة بفلسطين.

(٢) آله من آلات الحرب والقتال.

بالحرام، وهو في الجهالة أشد من الأنعام، لا يفرق بين كوعه وبوعه[(١)] ولا بين هره وبره، ألكن اللسان، أغلف سيئ السمع، مشكل الرأي، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل ناءٍ عن رياضيات العلوم، فهم وأتباعهم لا يزالون في هذه الغفلة مستمرين على هذه النومة، حتى يأتي أحدهم الموت فيستيقظ، فيجد نفسه لا مع بني آدم في اتِّباع الحق، ولا مع البهائم في الراحة من التكليف فيعض كفيه ندماً، وتدوب نفسه أسفاً، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

كشف الستار من ألاعيب الأشرار

ولما علم حُذَّاقهم[(٢)] أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخييلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات.

١ ـ *تمثال يبكي إذا قُرئ الإنجيل !!!*

فمن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا قُرئ عليها الإنجيل تبكي وتجري دموعها، يشاهدها الخاص والعام، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل.

تفسير ذلك: ويكون لها مجارٍ رقيقة في أجوافها من ورائها متصلة بزق ممتلئة بالماء، يعصره بعض الشمامسة[(٣)] فيفر الماء في المجاري يتصل بعيون الأصنام.

٢ ـ *تمثال يخرج اللبن من ثديه:*

كذلك يصنعون أصناماً يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل، وذلك بصقلية وغيرها[(٤)].

٣ ـ *أشياء معلقة في الهواء لا يمسكها شيء !!*

ومن ذلك الأصنام من حديد وقناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض، فلا يمس شيء منها ولا يمسها شيء، ويقولون: إن ذلك بسبب بركة ذلك المكان، وأنه برهان على عظمة الدين، فإن ذلك لم يوجد لغيرهم من الملل !!

---

(١) الكوع: طرف الزند الذي يلي الإبهام، والبوع: عظم يلي إبهام الرجل والجمع أبواع (المعجم الوسيط) والمعنى أنه فاقد التمييز.

(٢) الحاذق في شيء: أي الماهر فيه.

(٣) الشَّمَّاس: أول مرتبة من مراتب رجال الدين عند النصارى يليه القسيس ثم الأسقف ثم المُطران ثم البطريق ثم البابا.

(٤) انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٢٨٩] (تحقيق محمد حامد الفقي).

تفسير ذلك: ويكون سبب ذلك حجارة من مغناطيس عملت في ست جهات: فوق الصنم وتحته ويمينه ويساره وخلفه وأمامه، فيجذبه كل حجر إلى جهته وليس البعض أولى من البعض فيقع التمانع فيقف الحديد في الوسط، ولذلك لما دخل إليه بعض رسل المسلمين أمر بهدم ما حوله من البنيان فسقط، وذلك بالقسطنطينية كرسي مملكتهم ومجتمع عظمائهم وعقلائهم، وهذا حالهم.

٤ ـ قنديل يشتعل بلا نار !!

ومن ذلك النور الذي ينزل بالقمامة[1] في البيت المقدس على قنديل معلق هناك، فيشرق من غير اتصال نار به في رأى العين، فيوهمون العامة أن الأنوار تنزل على ذلك الموضع من قِبَل الله تعالى؛ لأنه موضع قبر المسيح عندهم، الذي دفن فيه وصعد منه، وهو شيء مشاهد بالحس.

تفسير ذلك: وأصله أن النفط إذا دُبِّر على كيفية مخصوصة ومُسح به شريط رقيق في غاية الرقة من الحديد، ومُدَّ ذلك الشريط إلى القنديل، وعُمل في آخره فتيلة؛ فإن النار إذا مُس بها أول ذلك الشريط فإنها تجري مع ذلك الشريط بسبب ذلك النفط الملاصق له إلى أن ينتهي إلى آخره، فيشعل ذلك الجسم الذي للفتيلة من القطن أو غيره، ولذلك يراهن النفطيون على أنهم يقعدون في صدر بيت ويشعلون سراجاً في طاق في الجهة الأخرى من غير مباشرة، فإذا راهنه أحد مد شريطاً مع طول الحائط بدائر البيت متصلاً بذلك السراج، ويمسه بالنار فتسري النار إلى السراج ولا يشعر الناس الجالسون من أين اتقد السراج، وكذلك النصارى اتخذوا شريطاً رقيقاً لهذا القنديل، يشعلونه في أعلى القبة التى في المكان فيشتعل القنديل من غير نار مشاهدة.

وقد أطلع على ذلك جماعة، منهم الملك المعظم أخو الملك الكامل وأراد أن يمنع ذلك، فقالوا له: إنك يحصل لك بهذا جملة من المال فإن أبطلتها بطل ولم يحصل لك شيء، فتركهم على حالهم، وكذلك الأمراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك ويخبرون به.

---

(١) يزعم اليهود أنهم قتلوا المسيح (عليه السلام) بعد صلبه، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقد قتلوا شبيهاً للمسيح هو «يهوذا» وظنوا أنه المسيح، فدفنوه في مزبلة للأوساخ والأقذار تحقيراً وإهانة للمصلوب، ويظنون أن المصلوب هو عيسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام)، وعلى اليهود لعائن الله وملائكته والناس أجمعين.

وهذه الكيفية مذكورة في كتب النفط والرماية رأيتها أنا مع معزيات صناعات هذا الشأن[1].

٦ ـ انهم يصافحون يد الله !!!

ومن ذلك: أن لهم كنيسة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل لها يوم معلوم من السنة، يصافحه الناس !!.

كشف الحيلة: فدخل إليها بعض ملوكهم فصافح اليد ومسكها مسكاً شديداً وقال: والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها، فقال له الأساقفة: أما تخشى الرب، أخرجت من دين النصرانية؟؟، فأبى أن يتركها بكثرة تهويلهم حتى يرى وجه صاحب اليد، فلما أعياهم أمره أخبروه أنها يد راهب منهم، فقتله ومنعهم من العود لذلك فلم يعودوا.

وبالجملة: الإسهاب في هذا الباب يضيع الزمان لكثرته، وإنما أردت التنبيه على أن ما هم عليه من الضلال نوع من الشعبذة[2] وأصناف من الحيلة لما عدموا الحق الذي يصدع القلوب، وتقبله العقول، وأنا أنبهك على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم، ولا العقل المستقيم، بل وجدوا آباءهم على الضلال فهم على آثارهم يهرعون، قد غمرهم الجهل وعمهم العمى، فلذلك لم تنهض العزيمة إلى بسط القول في الحديث معهم، فإن مخاطبة البهائم من السفه، بل اقتصرتُ على بيان غلط القائل بهذه الرسالة ومعارضتها بالأسئلة والنصوص من كتبهم، لعل الله تعالى يجعل ذلك تنبيهاً لبعض الغافلين فيستيقظ لرؤية هذه المساوئ القبيحة.

مواجهة المؤلف لهم:

وأما سلوك طريق الأنظار العقلية وبيان المدارك القطعية فليس القوم أهلاً لذلك، ولقد اجتمع بي بعض أعيانهم المبرز في حلبة سباقهم ليتحدث في أمر دين النصرانية فقلت بحضرة جماعة من العدول: أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم!!، بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من

---

(١) ذكر الإمام ابن قيم الجوزية نحواً من هذه الألاعيب في إغاثة اللهفان [٢/ ٢٨٨ . ٢٨٩]، وفي كتاب الأعلام للزركلي [١ ـ ٩٤ ـ ٩٥] أفاد بأن الإمام القرافي كان من البارعين في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية، وذكر نحواً منها.

(٢) شعبذ: أي مهر في الاحتيال، وأرى الشيء على غير حقيقته معتمداً على خداع الحواس، وزيّن الباطل لإبهام أنه حق. وهي مثل الشعوذة.

غير مطالبتهم بدليل على صحته، فحاول هو نفسه تصوير دينهم فعجز عنه، قال: ما كُلِّفنا بالتصوير بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد، فلا نلتزم ما لا يلزمنا وما ليس من ديننا، فجنح إلى ما قدمته لك من السكون إلى التقليد وعدم النظر فيما يصح ويفيد.

فقلت له: الاعتقاد لابد فيه من أن تثبت شيئاً لشيء أو تنفيه عنه، فهو مركب من تصورين: تصور المحكوم عليه وتصور المحكوم به، وأنتم. على ما قبلت. مكلفون بالاعتقاد، ومن كُلِّف بمركب كُلِّف بمفرداته، فمتى كُلفت بالاعتقاد كُلفت بالتصوير، فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير فصَوِّر لي دينك ؟!، فانقطع ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ولزمه[1] السؤال من قوله.

فقال: أمهلني ثلاثة أيام حتى أجتمع بابن العسال[2]، وهو كان مشهوراً عندهم بالفضيلة على زعمه فلم أره بعد ذلك.

فانظر إلى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلاً عن إقامة الدليل عليه، فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معهم؟؟!!، فلذلك سلكت مسلك الاقتصاد في بيان هذه الكلمات.

---

(١) يقال: لزمه أو التزمه أي أعابه.

(٢) ترجم له الأستاذ عمر رضا كحالة في كتاب معجم المؤلفين [٢/ ٢٤٤، ٨/ ١٦٣] ط الترقي بدمشق [١٣٧٦ هـ. ١٩٥٧ م].

الشبهات التي
أوردها النصارى على المسلمين

الشبهة الأولى:

فمنها: أنه قال: إن محمداً ﷺ لم يبعث إلينا[1] فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا إنه لم يرسل إلينا لقوله تعالى في كتابة العزيز: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، ولقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص:٤٦، السجدة:٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الشورى: ٧]، ولقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ولا يلزمنا إلا من جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغاتنا.

الجواب على الشبهة الأولى من وجوه:

أحدها: أن الحكمة في أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم ليكون ذلك أبلغ في الفهم عنه ومنه، وهو أيضاً يكون أقرب لفهمه عنهم جميع مقاصدهم في الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة، فإن مقصود الرسالة في أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب.

وإنما أمر جماعة من الرسل (عليهم السلام) بالقتال بعد اليأس من النفع بالبيان فإذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت الحجة على غيرهم، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم إذا سَلَّموا ووافقوا فغيرهم

---

(١) أى لم يُبعث للنصارى ولم يكلفوا باتباعه إنما بعث للعرب فقط.

أولى أن يسلم ويوافق، فهذه هي الحكمة في إرسال الرسول بلسان قومه ومن قومه، لا أن المقصود أن لا يتعدى برسالته لغير قومه.

وفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، فالقول الثانى هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول، بل لا فرق بين قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا مكلفاً بهداية قومه، فكما أن الثانى لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية غيرهم، فكذلك الأول. . ، فمن لم تكن له معرفة بدلالة الألفاظ ومواقع المخاطبات سَوَّى بين المختلفات وفَرَّقَ بين المؤتلفات.

وثانيها: أن التوراة نزلت باللسان العبراني، والإنجيل بالرومي، فلو صح ما قاله لكان النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام الإنجيل فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الرومي اللسان العربي بطريق التَّعلم، وأن يكون القبط كلهم والحبشة مخطئين في اتباعهم التوراة والإنجيل، لأن الفريقين غير عبرانيين أو روميين، ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط وترجما كما ترجما بالعربي لم يفهم قبطي ولا حبشي ولا رومي شيئاً من التوراة، ولا قبطي ولا حبشي شيئاً من الإنجيل، إلا أن يتعلموا ذلك اللسان كما يتعلمون العربي.

وثالثها: أنه إذا سلم أن النبي ﷺ رسول لقومه، ورسل الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصُمون من الزلل مبرءون من الخطل[1]، وهو (عليه السلام) قد قاتل اليهود، وبعث إلى الروم ينذرهم[2]، وكتابه (عليه السلام) محفوظ عندهم إلى اليوم في بلاد الروم عند ملكهم يفتخرون به، وكتب إلى المقوقس بمصر لإنذار القبط[3]، ولكسرى . . . .

---

(١) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب.

(٢) كتب النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم ما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين، يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون». . رواه البخاري، ومسلم (١٧٧٣) وغيرهما.

(٣) كتب النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط، يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون». . عيون الأثر (٢/ ٢٦٥)، نصب الراية (٤/ ٤٢١ . ٤٢٢). =

بفارس[1]، وهو الصادق البر، كما سلم أنه رسول لقومه فيكون رسولاً للجميع؛ لأن من جملة ما نزل عليه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، فصَرَّح بالتعميم واندفعت شبهة من يدعي التخصيص.

فإن كان النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة لا لقومه ولا لغيره فيقولون أوضحوا لنا صدق دعواكم، ولا يقولون كتابكم[2] يقتضي تخصيص الرسالة.

وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] لا يقتضي أنه لم يبعث لغيرهم، فإن الملك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولاً من أهلها لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم، ولا أنه لا يأمر قوماً آخرين بغير تلك الرسالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس: ٦]، ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، بل لمّا كان الذي يتلقى الوحي أولاً هم العرب؛ كان التنبيه عليه بالمنة وعليهم بالهداية أولى من غيرهم.

وإذا قال السيد لعبده: بعثتك لتشتري ثوباً، لا ينافي أنه أمره بشراء الطعام، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه، وسكت عن الطعام لأن المقصد الآن لا يتعلق به، وما زالت العقلاء في مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه، ويسكتون عما لم يتعين سببه، وإن كان المذكور والمسكوت عنه واقعين فكذلك الرسالة عامة، ولما كان المقصود إظهار المنة على العرب خُصُّوا بالذكر، ولما كان أيضاً المقصود تنبيه بني إسرائيل وإرشادهم خصوا بالذكر، وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر، ولم يذكر معها غيرها في القرآن في تلك الآيات المتعلقة بهم، وهذا هو شأن الخطاب أبداً، فلا يغتر جاهل بأن ذكر «زيد» بالحكم يقتضي نفيه عن «عمرو»، كذلك قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم، كما أنه إذا قال القائل لغيره: أدِّب ولدك، لا يدل أنه أراد ألا يؤدب غلامه، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم في هذا المقام تأديب الولد، لأن القصد مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له: وغلامك أيضاً أدِّبه، وإنما بدأت بالولد لاهتمامي به، ولا يقول عاقل إن كلامه الثاني

---

(١) وكتب إلى كسرى عظيم الفرس ما لفظه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس»، نصب الراية (٤/ ٤٢٠)، صبح الأعشى (٦/ ٣٧٨)، زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/ ٦٠ . ٦٣].

(٢) أي القرآن الكريم.

مناقض للأول.

وكذلك قرابته (عليه السلام) هم أوْلى الناس ببره (عليه السلام) وإحسانه وإنقاذه [لهم] من الهلكات، فخصهم بالذكر كذلك، لا أن غيرهم غير مراد كما ذكرنا في صورة الولد والعبد.

وبالجملة: فهذه الألفاظ لغتنا، ونحن أعلم بها، وإذا كان (عليه السلام) هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه[1]، ولو فهموه[2] لأقاموا به الحجة عليه، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك، فما فهمه إلا هذا النصراني الذي ساء سمعاً وفهماً فساء إجابةً.

فمن أراد الهدى فطريقه واضحة، فليأخذ سبب النجاة قبل الموت، ويستدرك للسعادة قبل الفوت، فما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار، وليس عند العاقل أهم من سعادة نفسه، فليحصلها بل حلول رمسه[3] والله تعالى هو المعين على الخير كله.

الشبهة الثانية:

أنه قال: «إن القرآن الكريم ورد بتعظيم عيسى (عليه السلام) وبتعظيم أمه مريم (رضى الله عنها) وهذا هو رأينا واعتقادنا فيهما فالدينان واحد فلا ينكر المسلمون علينا».

والجواب من وجوه:

أحدها: تعظيمهما لا نزاع فيه ولم يُكَفَّر النصارى بالتعظيم، إنما كُفِّرت بنسبة أمور أخرى إليهما لا تليق بجلال الربوبية ولا بدناءة البشرية من: الأبوة، والبنوة، والحلول والاتحاد، واتخاذ الصاحبة والأولاد، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً، فهذه مغالطة في قوله: «موافق لاعتقادنا»، ليس هذا هو الاعتقاد المتنازع فيه، نعم لو ورد القرآن الكريم بهذه الأمور الفاسدة المتقدم ذكرها ـ وحاشاه ـ كان موافقاً لاعتقادهم، فأين أحد البابيين من الآخر.

وثانيها: أنه إذا اعترف بأن القرآن الكريم ورد بما يعتقد أنه حق فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق، فإن الباطل لا يؤكد الحق، بل المؤكد للحق حق جزماً، فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً، وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى، وهو أنهم اختبروا ما جاء به (عليه السلام) فوجدوه موافقاً لما يعتقدونه من الحق، فجزموا بأنه حق،

---

(١) و(٢) أي لم يدعو ولم يفهموا أن رسالة النبي خاصة لقومه، ولم يقولوا بذلك.
(٣) الرمس: القبر.

وأسلموا واتبعوه، وما زال العقلاء على ذلك يعتبرون كلام المتكلم، فإن وجدوه على وفق ما يعتقدونه من الحق اتبعوه؛ وإلا رفضوه.

وثالثها: أن هذا برهان قاطع بالحق على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان فإنه مشتمل على تعظيم جملة الرسل وجميع الكتب المنزلة، فالمسلم على أمان من جميع الأنبياء (عليهم السلام) على كل تقدير، أما النصراني فليس على أمان من تكذيب محمد ﷺ فتعين رجحان الإسام على غيره، ولو سلمنا تجويز صحة ما يقوله النصراني من البنوة وغيرها، يكون المسلم قد اعترف لعيسى (عليه السلام) ولأمه (رضي الله عنها) بالفضل العظيم والشرف المنيف، وجهل بعض أحوالهما ـ على تقدير تسليم صحة ما أدعاه النصارى ـ والجهل ببعض فضائل من وجب تعظيمه لا يوجب خطراً، أما النصراني فإنه منكر لأصل تعظيم النبي محمد ﷺ، بل ينسبه للكذب والرذائل والجراءة على سفك الدماء بغير إذن من الله تعالى، ولا خفاء في أن هذا خطر عظيم، وكفر كبير، فيظهر من هذا القطع بنجاة المسلم قطعاً، ويتعين غيره للضرر والخطر قطعاً، فليبادر كلُ عاقل حينئذ للإسلام فيدخل الجنة بسلام.

الشبهة الثالثة:

أنه قال: إن القرآن الكريم ورد بأن عيسى (عليه السلام) روح الله تعالى[١] وكلمته[٢]، وهو اعتقادنا.

الجواب على الشبهة الثالثة:

والجواب من وجوه:

أحدها: أن من المحال أن يكون المراد «الروح» و «الكلمة» على ما تدعيه النصارى، وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى (عليه السلام) بصفة، وينادي بها على رؤوس الأشهاد، ويطبق بها الآفاق ثم يُكَفِّر من اعتقد تلك الصفة في عيسى (عليه السلام)!!، ويأمر بقتالهم وقتلهم، وسفك دمائهم وسبي ذراريهم[٣]، وسلب أموالهم، بل هو بالكفر أولى لأنه يعتقد ذلك مضافاً إلى تكفير غيره والسعي في وجوه ضرره، وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه (عليه الصلاة والسلام) من أكمل الناس في الصفات البشرية خَلْقاً وخُلُقاً وعقلاً ورأياً، فإنها أمور محسوسة، إنما النزاع في الرسالة الربانية، فكيف يليق

---

(١) انظر القرآن الكريم ـ سورة يوسف الآية ٨٧.
(٢) انظر القرآن الكريم ـ سورة النساء الآية ١٧١.
(٣) الذراري: جمع ذُرّية وهي نسل الثقلين، والمراد هنا أسر أولادهم.

به (عليه الصلاة والسلام) أن يأتي بكلام هذا معناه؟!! ثم يقاتل معتقده ويكفره، وكذا أصحابه (رضي الله عنهم) والفضلاء من الخلفاء من بعده، فهذا برهان قاطع على أن المراد على غير ما فهمه هذا القائل، وغير ما تعتقده النصارى.

ثانيها: أن «الروح» اسم للريح الذي بين الخافقين، يقال لها: ريح وروح لغتان، وكذلك في الجمع رياح وأرواح، واسم لجبريل (عليه السلام) وهو المسمى بروح القدس، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيواني[١].

و«الكلمة» اسم لِلَّفظة المقيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفساني، ولذا يقال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

والعالم مطبق على أن نفس الإنسان تحدثه بالخير والشر، وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات، ولهذا يُقال: هذه الكلمة خط حسن ومكتوبة بالحبر.

وإذا كانت «الروح» و «الكلمة» لهما معان عديدة فعلى أيهما يحمل هذا اللفظ؟؟، وحُكم النصراني اللفظ على معتقده حكم بمجرد الهوى المحض.

وثالثها: وهو الجواب بحسب الاعتقاد لا بحسب الإلزام أن معنى الروح المذكورة في القرآن الكريم في حق عيسى (عليه السلام) هو الروح الذي بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان، ومعنى نفخ الله تعالى في عيسى (عليه السلام) من روحه: أنه خلق روحاً نفخها فيه، فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله[٢]، وروح كل حيوان هي روح الله تعالى، فإن الإضافة في لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى الملابسة، كقول أحد حاملي الخشبة للآخر: طرفي مثل طرفك، وشل طرفك يريد طرف الخشبة، فجعله طرفاً للحامل..، ويقول: طلع كوكب زيد إذا كان نجم عند طلوعه يسري بالليل، ونسبة الكوكب إليه نسبة المقارنة فقط، فكيف لا يضاف كل روح إلى الله تعالى وهو خالقها ومدبرها في جميع أحوالها؟؟!!

---

(١) تناول ابن قيم الجوزية مفهوم «الروح» في القرآن الكريم، وذكر أنها على خمسة أوجه فيه، هي: الوحي، والقوة والثبات والنصرة من الله، وجبريل، وروح الإنسان، وعيسى ابن مريم [تفصيل ذلك في كتاب «الروح» ٢٠٨ ـ ٢١٠]

(٢) قلت: وهذا استدلال صحيح، ومثله نفخ الروح في آدم (عليه السلام) عند خلقه، قال جل ذكره ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وكذلك يقول بعض الفضلاء لما سُئل عن هذه الآية فقال: نفخ الله تعالى في عيسى (عليه السلام) روحاً من أرواحه، أي جميع أرواح الحيوان أرواحه، وأما تخصيص عيسى (عليه السلام) بالذكر؛ فللتنبيه على شرف عيسى (عليه السلام) وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه، كما قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، و﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥] مع أن الجميع عبيده وإنما التخصيص لبيان منزلة المُخصَّص.

وأما «الكلمة» [1] فمعناها: أن الله تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن، فلما أوجد الله تعالى عيسى (عليه السلام) قال له: كن في بطن أمه، فكان، وتخصيصه من أن صفة من صفات الله حلت في ناسوت عيسى (عليه السلام) وكيف يمكن في العقل أن تفارق الصفة الموصوف، بل لو قيل لأحدنا إن علمك أو حياتك انتقلت لزيد لأنكر ذلك كل عاقل، بل الذي يمكن أن يوجد في الغير مثل تلك الصفة، وأما أنها هي في نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال لأن الحركات من صفات الأجسام، والصفة ليست جسماً، فإن كانت النصارى تعتقد أن الصفات أجسام، والأجسام صفات، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد، سقطت مكالمتهم وذلك هو الظن بهم، بل يقطع بأنهم أبعد عن ذلك من موارد العقل، ومدارك النظر.

وبالجملة: فهذه كلمات عربية في كتاب عربي، فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته في إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل به، ومن ليس كذلك فليقلد أهله العلماء به، ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه.

الشبهة الرابعة:

ومنها أنه قال[2]: ورد في الكتاب العزيز: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

---

(١) يؤمن النصارى بعقيدة التثليث، وهي كما يزعمون أن اللاهوت ثلاثة أقانيم متساويين في الكمالات الإلهية وممتازين في الأم والعمل، و«الكلمة» و«الروح القدس» اثنان منهم ويدعي الأقنوم الأول: [الأدب]، وعندهم أن هذه التسمية هي مصدر كل الأشياء ومرجعها، وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية. والأقنوم الثاني: [الكلمة] لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية وأن وسيط المخابرة بين الله والناس ويدعي أيضاً الابن. والأقنوم الثالث: [الروح القدس] للدلالة على النسبة بين الأب والابن وعلى عمله في تنوير أرواح البشر وحثهم على طاعته.
قلت: وهو فساد ووهم صدر عن نفوس مريضة، وهو مردود عليه من علماء الإسلام وأهل التوحيد الخالص وستجده بين صفحات كتابنا هذا.

(٢) يعني في حق عيسى (عليه السلام).

الجواب عليها:

إن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا فيه أنه ابن الله، وسلكوا مسلك المتأخرين هؤلاء الدبر[1]، فإن اتباع الإنسان موافقته فيما جاء به، وكون هؤلاء المتأخرين اتبعوه محل نزاع، بل متبعوه هم الحواريون ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث[2]، وأولئك هم الذين رفعهم الله في الدنيا والآخرة، ونحن منهم وهم منا، ونحن إنما نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ما كان عليه أولئك، فإنهم قدس الله أرواحهم آمنوا بعيسى وبجملة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين وكان عيسى (عليه السلام) بشرهم بمحمد ﷺ كما ستقف على نصوصه آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فكانوا ينتظرون ظهوره ليؤمنوا به (عليه الصلاة والسلام)، وكذلك لما ظهر (عليه الصلاة والسلام) جاءه أربعون راهباً من نجران فتأملوه، فوجدوه هو الموعود به، فآمنوا به في ساعة واحدة بمجرد النظر والتأمل لعلاماته، فهؤلاء هم الذين اتّبعوه، وهم المرفعون المعظمون، أما هؤلاء النصارى فهم الذين كفروا به[3] مع من كفر، وجعلوه سبباً لانتهاء حرمة الربوبية بنسبة واجب الوجود المقدس عن صفات البشر إلى الصاحبة والولد، الذي ينفر منها أقل رهبانهم، حتى أنه قد ورد أن الله تعالى إذا قال لعيسى (عليه السلام) يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] يسكت أربعين سنة خجلاً من الله تعالى، حيث جُعل سبباً للكفر به وانتهاك حرمة جلاله، فخواص الله تعالى يألمون ويخجلون من إطلاعهم على انتهاء حرمة الله تعالى، وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق، فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة ؟؟!!، ومن عاشر أماثل الناس ورؤساءهم وله عقل قويم وطبع مستقيم، غير طبع النصارى، أدرك هذا فما آذى أحد عيسى (عليه السلام) مثل ما آذته هؤلاء النصارى، نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه.

الشبهة الخامسة:

أنه قال: إن القرآن الكريم شهد بتقديم بِيَع النصارى وكنائسهم على مساجد المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

---

(١) الدبر من كل شيء عقبة ومؤخرته.

(٢) لم يكن التثليث قد ظهر دفعة واحدة في المسيحية بل توارد عليها شيئاً فشيئاً إلى أن أعلن نهائياً عند غالبيتهم في نهاية القرن الرابع الميلادى [بالتحديد في مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م].

(٣) قلت: انظر الآيتين [٧٢ . ٧٣] من سورة المائدة، والآيتين [٣٠ . ٣١] من سورة التوبة.

فقد جعل الصوامع والبيع[1] مقدمات على المساجد، وجعل فيها ذكر الله كثيراً، وذلك يدل على أن النصارى في زعمهم على الحق، فلا ينبغي لهم العدول عما هم عليه؛ لأن العدول عن الحق إنما يكون للباطل.

الجواب على هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: أن المراد بهذه الآية أن الله تعالى يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار في كل عصر[2]، فما من زمان إلا وفي يهله من الأخيار، فيكون وجود الأخيار سبباً لسلامة الأشرار من الفتن والمحن، فزمان موسى (عليه السلام) سلم فيه أهل الأرض من بلاء يعمهم، بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية، وزمان عيسى (عليه السلام) سلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة العيسوية، وزمان محمد ﷺ يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الأستقامة على الشريعة المحمدية، وكذلك سائر الأزمان الكائنة بعد الأنبياء (عليهم السلام)، كل من كان مستقماً على الشريعة الماضية هو سبب لسلامة البقية، فلولا أهل الإستقامة في زمن موسى (عليه السلام) لم تبق صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك فينقطع الخير بالكلية، وكذلك في سائر الأزمان فلولا أهل الخير في زماننا لم يبق مسجد يُعبد الله فيه على الدين الصحيح، ولغضب الله تعالى على أهل الأرض.

الصوامع: أمكنة الرهبان في زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالى فيها على دين صحيح، وكذلك «البيعة» و «البيعة» و «المسجد»، وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله تعالى فيها وبدلت شرائعه، وكانت محل العصيان والطغيان، لا محل التوحيد والإيمان، وهذه المواطن في أزمنة الاستقامة لا نزاع فيها، إنما النزاع لما تغيرت أحوالها وذهب التوحيد وجاء التثليث، وكُذِّبت الرسل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وصار ذلك يُتلى في الصباح والمساء فحينئذ هي أقبح بقعة على وجه الأرض وألعن مكان يوجد فلا تجعل هذه الآية دليلاً على تفضيلها.

ثانيها: أن الله تعالى قال: (صوامع وبيع وصلوات) بالتنكير، والجمع المنكر لا يدل عنه العرب على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع بالاتفاق، ونحن نقول إنه قد وقع في الدنيا ثلاث من البيع، وثلاث من الصوامع، كانت أفضل مواضع العبادات بالنسبة إلى

---

(١) سيلي في نهاية الرد على هذه الشبهة شرح لمعنى كلمات «الصومعة» و «الصلاة» و «المسجد».

(٢) في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «مهلاً عن الله مهلاً، فإنه لولا شباب خُشَّع، وبهائم رُتّع، وشيوخ رُكّع، وأطفال رُضّع لصُبّ عليكم العذاب صبا» أخرجه البيهقى (٦١٨٣)، وأبو يعلى (٦٤٠٢، ٦٦٣٣).

ثلاثة مساجد، وذلك أن البيع التى كان عيسى (عليه السلام) وخواصه من الحواريين يعبدون الله تعالى فيها هي أفضل من مساجد ثلاثة أو أربعة لم يُصَلِّ فيها إلا السفلة من المسلمين، وهذا لا نزاع فيه، إنما النزاع في البيع والصوامع على العموم، واللفظ لا يقتضيه لأنه جمع منكر، وإنما يقتضيه إن كان مُعَرَّفًا كقولنا: «البيع» بالألف واللام.

ثالثها: إن هذه الآية تقتضي أن المساجد أفضل بيت عند الله تعالى، على عكس ما قال هذا الجاهل بلغة العرب، وتقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله تعالى أقرب إلى الهلاك من العظيم المنزلة، والقاعدة العربية: أن الترقي في الخطاب إلى الأعلى فالأعلى أبداً، في المدح والذم والتفخيم والامتنان، فيقال في المدح: الشجاع البطل، ولا يقال: البطل الشجاع، لأنك تعد راجعاً عن الأول.. وفي الذم: العاصي الفاسق، ولا يقال: الفاسق العاصي..، وفي التفخيم: فلان يغلب المائة والألف، ولا يقال: فلان يغلب الألف والمائة..، وفي الامتنان: لا أبخل عليك بالدرهم ولا بالدينار، ولا يقال بالدينار والدرهم.

والسر في الجميع أنك تعد راجعاً عن الأول كقهرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه.

إذا تقرر ذلك ظهرت أفضلية المساجد ومزيد شرفها على غيرها، وإن هدمها أعظم من هدم غيرها، لا يوصل إليه إلا بعد تجاوز ما يقتضي هدم غيرها، كما نقول: لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال والأمراء، فترتقي أبداً للأعلى فالأعلى؛ لتفخيم أمر عزم السلطان[1]، وأن وجوده سبب عصمة لهذه الطوائف، أما لو قلت: لولا السلطان لهلك الأبطال والصبيان، لعُدَّ كلامك متهافتاً.

رابعاً: أن الآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وضع على وجه الأرض للعابدين من وجه آخر، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنما يحكم بعودها على أقرب مذكور هذا على احتمال خلاف قوة الكلام وسياقه على وجه المشروح لا أن الضمير راجع إلى جماعة ما ذكر، فإذا قلت: «جاء زيد وخالد وأكرمته» فالإكرام خاص بخالد لأنه الأقرب، فقوله تعالى: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ يختص بالأخير الذي هو المساجد، لأن قوله فيها ضمير يختص بالقريب وهذا قول المفسرين فتكون المساجد قد اختصت بكثرة ذكر الله تعالى، وهو يقتضي أن غيرها لم يساوها في كثرة الذكر، فتكون أفضل وهو المطلوب.

---

(١) عزم السلطان: قوته وصرامة أمره.

فائدة: [في معنى: «الصومعة» و «الصلاة» و «المسجد»]:

الصومعة: موضع الرهبان، وسميت بذلك لحدة أعلاها ودقته، ومنه قوله العرب: أصمعت الثريدة، إذا رفعت أعلاها، ومنها قولهم: رجل أصمع القلب إذا كان حاد الفطنة.

والصلاة: اسم لمتعبَّد اليهود، وأصلها بالعبراني صلوتا فَعُرِّبَت.

والبيع[1]: اسم لمتعبد النصارى، اسم مرتجل غير مشتق.

والمسجد: اسم مكان السجود، فإن مَفْعِلاً في لسان العرب اسم للمكان واسم للزمان الذي يقع فيه الفعل نحو: «المَضْرِب» لمكان الضرب وزمانه.

الشبهة السادسة:

قال: إن القرآن دل على تعظيم الحواريين[2] والإنجيل وأنه غير مُبَدَّل لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي من التوراة والإنجيل، وإذا صَدَّقهما لا تكون مُبدَّلة زلا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك، لشهرتها في الأعصار والأمصار فيتعذر تغييرها، ولقوله تعالى في القرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١ - ٢]، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو الإنجيل، لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٤] و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا هو الإنجيل، ولأنه تعالى لو أراد القرآن لقال بهذا، . ولقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥].

الجواب على هذه الشبهة:

إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه، وأنهم من خواص عباد الله اتبعوا عيسى (عليه السلام) ولم يبدلوا، وكانوا معتقدين بظهور محمد ﷺ في آخر الزمان، على ما دلت عليه كتبهم، وهو ما سأذكر في الباب الرابع إن شاء الله تعالى، وإنما كفر وخالف الحادثون بعدهم.

وأما تصديق القرآن لما بين يديه فمعناه: أن الكتب المنزلة المتقدمة عند نزولها قبل

---

(١) مفردها: بيعة.

(٢) ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾ [الصف: ١٤]

تغييرها وتخبيطها، كانت حقاً موافقة للقرآن، والقرآن موافق لها، وليس المراد الكتب الموجودة اليوم، فإن لفظ التوراة والإنجيل إنما ينصرف إلى المنزلين، وسأبيّن أن الموجود الآن غيرهما في كثير من المعاني والوجوه.

وأما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وأنه المراد به الإنجيل فمن الافتراء العجيب والتخيل الغريب، بل أجمع المسلمون قاطبة على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلا، وقد أخبر الناطق بهذا اللفظ، وهو رسول الله ﷺ أن المراد هذا الكتاب[1]، كيف يليق أن يحمل على غيره، فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه في قول نفسه، إنما ينازع في تفسير قول غيره إن أمكنت منازعته.

للإشارة في اللغة العربية ثلاثة أحوال:

وأما الإشارة بـ (ذلك) التي اعتز بها هذا السائل، فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال:

«ذا» للقريب...

«ذاك» للمتوسط...

«ذلك» للبعيد...

لكن البعد والقرب يكونان: تارة بالزمان وتارة بالمكان، وتارة بالشرف، وتارة بالاستحالة، ولذلك قالت زليخا[2] في حق يوسف (عليه السلام) لما اجتمعت مع نسوة بالمدينة، ويوسف (عليه السلام) بالحضرة وقد قطعن أيديهن من الدهشة بحسنه: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] إشارة لبعده (عليه السلام) فى شرف الحسن، وكذلك القرآن الكريم لما عظمت رتبته في الشرف أشير إليه بـ «ذلك»، وقيل: أشير إليه بـ «ذلك» لبعد مكانه لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وقيل: لبعد زمانه لأنه وُعد به في الكتب المنزلة قديماً، وقيل: لما كان أصواتاً والصوت يستحيل بقاؤه فصار بسبب هذه الاستحالة في غاية البعد لأن المستحيل أبلغ من البعيد.

وأما قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ فاعلم أن اللام[3] في لسان العرب تكون:

لاستغراق الجنس: نحو: حرم الله الخنزير والظلم.

---

(١) أي القرآن الكريم.
(٢) انظر تفسير الحافظ ابن كثير [٢/ ٤٩٠].
(٣) يعنى: أل، أي ألف ولام التعريف.

وللعهد: نحو قولك لمن آراك أهنت رجلاً: «أكرمت الرجل بعد إهانته»، ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها.

فتحمل في كل مكان على حسب ما يليق بها، فهي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ للعهد، لأنه موعود به، مذكور على ألسنة الأنبياء (عليهم السلام) فصار معلوماً فأشير إليه بلام العهد..، وهى في قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ للجنس، إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة [وليس] المراد ههنا [غير ذلك].

ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهماً متقناً.

وقوله تعالى لنبيه (عليه السلام) [وهو] أمر له بأن يقول ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥] فالمراد الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمتري فيه عاقل.

عدم موثوقية الأناجيل المتداولة:

ونحن ننازعهم في أن ما بأيديهم الكتب المنزلة بل هي مبدلة مغيرة وفي غاية الوهن والضعف وسقم الحفظ والرواية والسند، بحيث لا يوثق بشيء منها.

الأناجيل التى يعترف بها نصارى اليوم:

وبيانه أن الأناجيل خمسة، يعرف النصارى منها أربعة مشهورة، والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم.

فالأربعة:

الأول: إنجيل متى[1] وهو من الحواريين الإثني عشر؛ وبشر بإنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين، بعد صعود المسيح (عليه السلام) إلى السماء بثمان سنين، وعدة

---

(١) إنجيل متّى: كتبه متى وهو أحد تلاميذ الإثني عشر ويسميهم النصارى رسلاً. مات سنى ٧٠ ببلاد الحبشة على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة، قيل أنه طعن برمح سنة ٦٢ بالحبشة، وقد اتفق جمهور النصارى على أنه كتب الإنجيل بالعبرية أوالسريانية، واختلفوا في تاريخ تدوينه، كما اختلفوا في تاريخ ترجمته إلى اليونانية، كما لا يُعرف من الذي ترجمه، ولا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي. [محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٨ فما بعدها]

إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحاً[1].

الثاني: إنجيل مرقس، وهو من السبعين[2] وبشر بإنجليه باللغة الفرنجية[3] بمدينة رومية[4] بعد صعود المسيح (عليه السلام) بإثنى عشر عاماً وعدد إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحاً.

الثالث: إنجيل لوقا[5] وهو من السبعين [6] وبشر بإنجيله بالإسكندرية باللغة اليونانية وعدد إصحاحاته ثلاثة وثمانون إصحاحاً.

الرابع: إنجيل يوحنا[7] وهو من...

---

(١) قلت: ذكر المُصَنِّف . رحمه الله . فيما يلي من الصفحات أن عدد إصحاحات الأناجيل الأربعة المتداولة في عصره كالآتى: متى ٦٨ إصحاحاً، مرقس ٤٨ إصحاحاً، لوقا ٨٣ إصحاحاً، يوحنا ٣٣ إصحاحاً. أما ما بين أيدينا من الأناجيل المتداولة اليوم فقد وجدنا أن عدد إصحاحاتها كل منها كالآتى: متى ٢٨ إصحاحاً، مرقس ١٦ إصحاحاً، لوقا ٢٤ إصحاحاً، يوحنا ٢١ إصحاحاً..

(٢) يقول المؤرخون إن اسمه يوحنا ويلقب بمرقس، ولم يكن من الحواريين الإثني عشر الذين تتلمذوا للمسيح، وأصله من اليهود، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور المسيح، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم من بعد رفعه، وألهموا التبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها. وقد كتب هذا الإنجيل باليونانية.

(٣) أجمع مؤرخو النصارى على أنه كتب باليونانية.

(٤) هى روما عاصمة إيطاليا اليوم.
وقد اختلف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل وفي كتابه [انظر كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ٥٥ فما بعدها].

(٥) تبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، فمن قائل أنه أنطاكى ولد بأنطاكية، ومن قائل أنه رومانى ولد بإيطاليا، ومن قائل أنه كان طبيباً، ومن قائل أنه كان مصوراً، وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه، كما اختلفوا في القوم الذين كتب لهم، وفي تاريخ تأليفه، وقد كتب باليونانية. [كتاب الشيخ أبو زهرة، مرجع سابق ص ٥٧ فما بعدها].

(٦) قلت: لم يكن لوقا من السبعين ولم ير المسيح وإنما سمع عن المسيح من القوم الذين شاهدوه، وأول إنجيله شاهد بذلك إذ يقول فيه: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس».
وقد ذكر الفراقى . رحمه الله . ما يؤيد هذا الرأي في موضع لاحق عند حديثه عن تناقض الأناجيل وسيأتي بعد قليل.

(٧) يقول جمهور النصارى إن كاتب الإنجيل هو يوحنا الحواري بن زبدي الصياد الذي كان يحبه المسيح، حتى أنه استودعه والدته وهو فرق الصليب على زعمهم وهو من أخطر الأناجيل لأنه تكلم بصراحة عن ألوهية المسيح والتثليث، وقد اختلفوا في تاريخ تدوينه ما بين سنة ٦٨ حتى ٩٨ ميلادية، وقد انفرد بذكر ألوهية المسيح، وهذا مما لم تقله الأناجيل الثلاثة السابقة عليه. =

الإثني عشر[١]، بشر بإنجليه في مدينة أفسس من بلاد رومية[٢] بعد صعود المسيح (عليه السلام) بثلاثين سنة، وعدة إصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحاً.

الإنجيل الخامس[٣]: يسمى إنجيل الصبوة ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح في حال طفولته ينسب لبطرس عن مريم (عليهما السلام)، وفيه زيادة ونقصان وقد ترك كثيراً من أعلام المسيح (عليه السلام) ، ومشاهير معجزاته، ويذكر فيه قدوم المسيح (عليه السلام) وأمه (رضي الله عنها) ويوسف النجار إلى صعيد مصر، ثم عودته إلى ناصرة (قرية عند بيت المقدس وإليها ينسب النصارى).

= وفى دائرة المعارف البريطانية التي وضعها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه: أما إنجيل يوحنا فإنه ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما يوحنا ومتى، وقد أدعي هذا رابطة بينها وبين من نسبت إليه [محاضرات في النصرانية ٦٠ . ٦١ بتصرف].

(١) ليس مقطوعاً بالضبط أن يوحنا أحد الإثني عشر، والغرض من هذا الإنجيل إثبات ألوهية المسيح، وذلك في نهاية القرن الأول الميلادى، فلابد أن يكون يوحنا آخر سوى الحواري.

(٢) ليس المراد أنها في إيطاليا، بل هي بلاد الأناضول، لأن أفسس ليست من بلاد إيطاليا، بل هي قبالة زاوية خليج الإسكندرية، وتوجد أفسس أخرى قرب أزمير.

(٣) الأناجيل الأربعة السابقة هي التي تعرف بها الكنائس، وتقرها الفرق النصرانية وتأخذ بها، ولكن التاريخ يروي لنا أنه كانت في العصور العابرة أناجيل أخرى، قد أخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجليها، فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب مانى إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح في زعمهم، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس، والنصارى ينكرونه، وإنجيل برنابا وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة، وإنجيل سرن تهس، وقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في اعتقادها فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة أبان ذلك.
[كتاب محاضرات في النصرانية ص ٤٩، ص ٦٨]
وأضيف: أن الدكتور سعادة مترجم إنجيل برنابا قال في مقدمته بعد أن أفاض في الاحتمالات والآراء في إنجيل برنابا: «بيد أن هناك انجيلاً يسمى بالإنجيل الأغنطسي طمست رسومه وعفت آثاره» أ.هـ.

بيـــان
تناقض الأناجيل الأربعة

وفى هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها البعض أمر عظيم، حتى إن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى وأن أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم وأن نقلته أفسدوه بما ألحقوا فيه من حكايات، وأمور غير مسموعة من المسيح (عليه السلام) ولا من أصحابه، مثل حكاية صورة الصلب، والقتل واسوداد الشمس، وتغير لون القمر، وانشقاق الهيكل، وهذه الأمور إنما جرت في زعمهم بعد المسيح (عليه السلام) بسبب قتله كما يزعمون فكيف تُجعل من الإنجيل، والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح (عليه السلام)[1] وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل، لا سيما وهو أربعة والمنزل واحد، وهذه الأربعة أمليت في أقطار الأرض المتباعدة، بلغات مختلفة، وأقلام متابينة، مع أن كل واحد منها ذكر من الأقاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر، فليت شعري، أي منها أو فيها هو من المنزل من عند الله تعالى؟؟!!، والمنزل واحد بلغة واحدة على نظام واحد، ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين بل نقلا عن غيرهما عن المسيح (عليه السلام)، فهما نقلا كلام غير المسيح (عليه السلام)، والحجة إنما هي في كلامه (عليه السلام) فلا حجة في هذين الإنجيلين[2] البتة.

وقد قال لوقا في صدر إنجليه: **«إن أناساً راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون، كما عهد إلينا، أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكتب إليك أيها الأخ العزيز تأويلاً تعرف به حقائق الأمر الذي وعظت به»**[3].

---

(١) انظر محاضرات في النصرانية [ص ٦٦ - ٦٨] للشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - ط. رئاسة الإفتاء والإرشاد السعودية [الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ].

(٢) يعني إنجيل لوقا وإنجيل مرقس.

(٣) فيما بين أيدينا من نسخ إنجيل لوقا المتداولة اختلاف عما سطره القرافي، ولعل هذا راجعاً لاختلاف ترجمات إنجيل لوقا من اليونانية إلى العربية.

فقد اعترف أنه لم يلقَ المسيح (عليه السلام) ولا خدمه، وإنما كتابه تأويلات جمعها مما وعظ به خدام الكلمة.

وها أنا أسرد تناقضاتها لتعلم تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها، فإنه ليس البعض أولى من البعض.

التناقض الأول: قال يوحنا: من يوسف خطيب مريم (عليهما السلام) وهو المسمى النجار إلى إبراهيم (عليه السلام) اثنان وأربعون ولادة.

وقال لوقا: أربع وخمسون.

التناقض الثاني: قال لوقا: قال جبريل الملك لمريم بناصرة: «إنك ستلدين ولداً اسمه يسوع يجلس الرب على كرسي أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب».

وكذبه يوحنا وغيره فقال: بل حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد «بيلاطس»، وقد ألبسه شهرة الثياب، وتَوَّجَهُ بتاج الشوك، وصفعوه وسخروا منه، ففاوضه بيلاطس طويلاً فلم يتكلم، فقال له: أما تعلم أن لي عليك سلطاناً، إن شئت صلبتك، وإن شئت أطلقتك، فأجابه يسوع (عليه السلام): **«لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك عليَّ سلطان، ومن أجل ذلك خطيتي التى أسمتني إليك عظيمة»**[1]، وصلبه بعد ذلك.

وهو تناقض فاحش، أحدهما يجعل يسوع (عليه السلام) ملكاً عظيماً لبني إسرائيل، والآخر يصفه بصفة الذلة والمهانة، ثم إن هذا الملك لم يتفق قط إما على رأيهم فلأنه

---

(١) قلت تنبيهاً: أكثر النصوص التي كتبها القرافي ـ رحمه الله ـ من الإنجيل في كتابه الذي بين أيدينا الآن نجد أنها لا تتطابق تماماً مع النصوص التي بين أيدينا من الأناجيل المتداولة اليوم، بل أحياناً لا تجد للنص أثراً في الأناجيل المتداولة، وهذا أفسره بشيئين.

١ ـ الترجمة من لغة لأخرى تعطى اختلافاً في النص، والأناجيل إنما كتبت بلغات غير العربية، بل وقد تكون ترجمت على لغات أخرى غير التي كتبت بها ثم نقلت من اللغات الأخرى إلى العربية، مما يعطي اختلافاً في معاني النصوص يختلف بحسب المترجم.

٢ ـ أما في حالة عدم وجود نص يماثل نصاً أورده القرافي فلعل هذا يرجع إلى تحريف أحدثه بعضهم ـ في النصوص القديمة ـ وحذف وتزوير.

وفى عدد مجلة آخر ساعة رقم ٢٤٦٠ في ١٦/١٢/١٩٨١ ما نصه: «ظل العالم النصراني الذي يقرأ الإنجيل بالإنجليزية محافظاً على الترجمة المعروفة باسم الملك جميس الأول، وكان المتعلمون من النصارى يقرءون الإنجيل قبل هذا باللغة اللاتينية، فلما ظهرت القوميات الأوروبية المختلفة بدأ في ترجمة الإنجيل من اللاتينية ومن العبرية إلى اللغات الأوروبية الحديثة، ومرت على هذه الترجمة أكثر من ثلاثمائة سنة، إذ ظهرت في سنة ١٦٦١م وفي خلال هذه القرون الثلاثة حلت في اللغة السائدة بين الناس كلمات جديدة مكان الكلمات القديمة، وتغير تركيب الجمل والعبارات، فقام الأمريكيون منذ بضع سنوات بوضع صياغة جديدة للإنجيل تتماشى مع التغييرات السائدة في أيامنا هذه وعرفت هذه الصياغة الجديدة باسم الطبعة الشعبية للإنجيل، ولم يعترض رجال الدين عليها».

صُلب وهو في غاية الخمول، وإما على رأينا فلأن الله تعالى رفعه من غير ملك ولا مهانة، فهذا لا أصل به، ثم إن محاورة تجري بين جبار وعيسى (عليه السلام) أي شيء أدخلها في الإنجيل المنزل من السماء؟؟، بل نقطع بأن هذا غير منزل.

التناقض الثالث: قال لوقا: لما نزل بيسوع (عليه السلام) الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متوتراً وصار عرقه كعبيط[1] الدم.

ولم يذكر ذلك متّى ولا مرقس ولا يوحنا، وإذا تركوا ذلك لم يُؤمَن أن يتركوا ما هو أهم من الفرائض والأحكام، وإن كان الترك صحيحاً فتكون الزيادة كذباً في النسخ الأخرى، وهذا هو التحريف والتبديل، مع أن نقل لوقا يقتضي رفع المسيح (عليه السلام) إلى السماء، لأن المَلك لا تغلبه اليهود، وما نزل إلا للعصمة من الأذى والرفع، هذا ظاهر الحال وهو مبطل معتقد النصارى في الصلب.

ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فمحال؛ لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره، وإن كان للناسوت فحينئذ هو غير اللاهوت، فمتى حصل الاتحاد الذي يقولونه.

التناقض الرابع: قال يوحنا وهو أصغر الأربعة: «إن أول آية أظهرها المسيح (عليه السلام) تحويل الماء خمراً».

ولم يذكرها الثلاثة، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين وإن كانت لم تتضح عندهم، فكيف ينقل دين عن شخص واحد وهو يوحنا وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟؟!!

التناقض الخامس: قال يوحنا: إن المسيح (عليه السلام) غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان في وسطه وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع.

ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر، فإن كان كذباً دخل الخلل، وإن كان صدقاً فَلِم أغفلوه؟ فدخل الخلل.

التناقض السادس: قال يوحنا: قال يسوع (عليه السلام): «**إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادة باطلة، ولكن غيرى يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي وأبي أيضاً يشهد لي أنه أرسلني..**»، وقالت توراتكم إن شهادة رجلين صحيحة، فجعلوا الله تعالى رجلاً، وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطلانها، وهذا كلام ينزه عنه المسيح (عليه السلام) وأصحابه.

---

(١) العبيط من الدم: الخالص الطري.

التناقض السابع: قال يوحنا: لما مضى المسيح (عليه السلام) ليوحنا المعمداني[1] ليتعمد منه، قال له المعمداني حين رآه: هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت لكم أنه يأتي به بعدي وأنه أقوى مني.

وقال متّى: لما رآه المعمداني قال: إني المحتاج إلى أن أنصبغ على يديك، فكيف جئتني تنصبغ على يدي. . ، وأرسل إليه بعد ذلك: أأنت الآتي أو ننتظر غيرك؟

ومرقس لم يقل شيئاً من ذلك.

فاختلف الثلاثة: فجزم الأول، وجعله الثاني غير عالم حتى يسأله، وسكت الثالث بالكلية.

التناقض الثامن: قال متّى: يوسف خطيب مريم (عليها السلام) اسم أبيه يعقوب.

وقال لوقا: أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف ابن هال. . ، فجعل اسم أبيه هال، والأول جعله يعقوب، وهو تكاذب.

ثم إن قضية عيسى (عليه السلام) فى كونه ولد من غير أب كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل حتى آذوا مريم (عليها السلام) إيذاء عظيماً يرميها بالزنا ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى (عليه السلام) ذلك ثلاثين سنة؟؟!!

التناقض التاسع: قال متّى: صُلب مع المسيح (عليه السلام) لصان، عن يمينه وعن شماله، كانا يهزءان به جميعاً ويعيّرانه.

وقال لوقا: إنما هزأ به أحدهما، .وكان الآخر يقول لصاحبه، أما تتقي الله تعالى، أما نحن فبالعدل جوزينا، وأما هذا فلم يعمل قبيحاً. ثم قال للمسيح (عليه السلام): اذكرني في ملكوتك، فقال: حقاً إنك تكون معي اليوم في الفردوس.

فكذب قول متّى أنهما يهزءان به، وأغفل هذه القضية مرقس ويوحنا، ومن المحال أن يحدث مثل هذا ولا يشيع في ذلك الوقت، فإن كان صحيحاً فلم تركاه؟؟، أو كذباً فِلِمَ اختلقه الآخر؟؟

التناقض العاشر: قال لوقا: إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس؛ ولكن لينجي.

وقال الباقون: ابن الإنسان لم يأت ليلقي على الأرض سلاماً، ليكن سيفاً ويضرم فيها ناراً.

---

(١) يعنى النبي يحيى (عليه السلام)، وكان ابن خالة المسيح عيسى (عليه السلام).

وهذا كلام تبرأ التلاميذ منه؛ لأن الأول جعله رحمة للعالمين، والآخرون جعلوه نقمة عليهم.

التناقض الحادى عشر: قال متّى: إن مريم (عليها السلام) خادمة المسيح (عليه السلام) جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا فليس يسوع هنا، قد قام من بين الأموات، ثم لقيتا المسيح وقال: لا بأس عليكما، قولا لإخواني ينطلقون إلى الجليل.

وقال يوحنا: جاءت وحدها يوم الأحد بغلس[(١)]، فرأت الصخرة رُفعت عن القبر فأسرعت إلى شمعون وتلميذ آخر، فأخبرتهما أن المسيح (عليه السلام) قد أخذ من المقبرة ولا أدري أين دفن؟؟، فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فبينما هي كذلك التفتت فرأت (عليه السلام) قائماً، فلم تعرفه، وحسبته حارس البستان، فكلمها فعرفته، وقال لها إني لم أصعد بعد، إذهبي إلى إخواني فقولي: «**إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**».

فأحدهما يقول: إن الملك هو الذي أَمَّنَها، والآخر يقول هو المسيح (عليه السلام):

وأحدهما يقول عشية السبت، والآخر يقول يوم الأحد.

وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر عنها مع غيرها.

ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلاً لاعتقادهم، ويقولون قد قال: «**إني منطلق إلى أبي**»، ويغفلون عن قوله: «**وأبيكم**» وعن قوله: «**وإلهي**» دون ذكر «**وإلهكم**»، ويقبلون في أصل دينهم قول امرأة واحدة مع أن هذا الكلام لو وجد في كلام المغفلين لم يُقبل واسْتُهْجِن، ولا يظهر في مرآة عقلهم كيف يعبدون من وُلد في رطوبات الأرحام ودمائها، ونشأ في ضعف الطفولة ولأوائها[(٢)]، تعتوره[(٣)] الأمراض والأسقام والأفكار والآلام والحاجة إلى الشراب والطعام والمنام، ثم يُصفع على زعمهم، ويُصلب، ويُهان، ويبكى عليه، ويندب بالثكلان، ويلتبس على من رآه بناطور[(٤)] البستان، فلو أن اليهود بالغوا في الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان[(٥)].

---

(١) الغلَس: ظُلمة آخر الليل. (٢) اللأواءُ: الشدة.

(٣) اغْتَوَرُوا الشيء: تداولهُ فيما بينهم.

(٤) الناطور: الحارس.

(٥) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: من المعلوم أن هذه الأمة ـ يعني النصارى ـ ارتكبت محذورين عظيمين، لا يرضى بهما ذو عقل، ولا معرفة.
أحدهما: الغلو في المخلوق، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءاً منه، وإلها آخر معه، وأنفوا أن يكون عبداً له. =

التناقض الثاني عشر: صعود المسيح (عليه السلام) إلى السماء أغفله يوحنا ومتّى وهما من الحواريين الإثني عشر، وذكره لوقا ومرقس وليسا من الحواريين واختلفا، فقال مرقس: إن سيدنا يسوع لما قام كلَّم تلاميذه تكليماً ثم صعد من يومه، وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوماً، مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغي أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم.

التناقض الثالث عشر: قال متّى: قال يسوع: «**حقاً أقول لكم، إن قوماً من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته**»؛ ومات القيام ومن بعدهم، فدل على أن هذا الكلام كذب وافتراء، وهو يحزم الثقة بجميع ما يقولونه.

التناقض الرابع عشر: قال متّى: قال المسيح (عليه السلام) للتلاميذ الإثني عشر: «**أنتم تكونون في الزمن الآتي جلوساً على اثني عشر كرسياً، تدينون اثني عشر سبطاً من بني إسرائيل**».

فشهد للكل بالفوز والزعامة.. ثم نقض ذلك متّى بنفسه فقال: «مضى على التلاميذ الإثني عشر، وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة فارتشى على يسوع بثلاثين درهما وجاء بالشُّرَط[1] إليه، فقال له اليسوع: الويل لك، خير لك أن لا تولد».

التناقض الخامس عشر: قال متّى: لما حُمل يسوع إلى بيلاطس القائد قال: أي شر عمل؟؟، فصرخ اليهود وقالوا: يُصلب يُصلب، فأخذ القائد ماء وغسل يده، وقال: أنا بريئ من دم هذا الصديق، وأنتم أبصر.

= والثاني: تَنقُّص الخالق وسَبُّه، ورميه بالعظائم، حيث زعموا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ عن قولهم علواً كبيراً. نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو [وهو ما يخرج من البطن من ريح وغائط]، وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن، ثم خرج من حيث دخل، رضيعاً يمص الثدي، ولُفَّ في القمط، وأودع السرير، يبكي ويجوع، ويعطش ويبول، ويتغوط، ويحمل على الأيدي والعواتق، ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه، وربطوا يديه، وبصقوا في وجهه، وصفعوا قفاه، وصلبوه جهراً بين لصين، وألبسوه إكليلاً من الشوك، وسمَّروا يديه ورجليه، وجرَّعوه أعظم الآلام، هذا وهو الإلٰه الحق الذي بيده أتقنت العوالم، وهو المعبود المسجود له، ولعمر الله إن هذه مَسبَّة لله سبحانه ما سبَّه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم، كما قال تعالى فيما يحكى عنه رسوله الذي نزَّهه ونزه أخاه المسيح عن هذا الباطل الذي: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ [مريم: ٩٠]، فقال: شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته [إغاثة اللهفان ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤].

قلت: ليس مقطوعاً بالضبط أن يوحنا كان في الإثني عشر، وقد ذكرتُ ذلك سابقاً.

(١) الشُّرَط: جمع شُرطة وشرطي.

وكَذَّبَهُ يوحنا فقال: «بل ضرب يسوع ثم سَلَّمه إليهم». . ، وهو تناقض صريح.

نكتفي بهذا القدر: ولنقتصر على هذه النبذة من تهافت الأناجيل وما اشتملت عليه من الذلة والأباطيل، ومَن طالع كتبهم وأناجيلهم، وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقولهم تفرق أيدي سبأ(١)، وأنّ القوم لا يلتزمون مذهباً.

والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ، وكلام كفْرة وكهنة وتلاميذه وغيرهم، حتى أني أحلف بالله الذي لا إلٰه إلا هو أن تاريخ الطبري عند المسلمين أصح نقلاً من الإنجيل ؟؟، ويعتمد العاقل عليه أكثر، مع أن التاريخ لا يجوز عند المسلمين أن يُبنى عليه شيء من أمر الدين، وإنما هو حكايات في المجالس، ويقولون مع ذلك: الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا، وأمر السيد المسيح باتباعه، فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى؟؟، وأين كلماته من بين هذه الكلمات؟؟

ثم الذي ينقلونه عن عيسى (عليه السلام) من لفظة ـ وهو القليل ـ لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله تعالى؛ لأنه المسيح (عليه السلام) كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضي الطباع البشرية، وغير ذلك، فهذا كله ليس من عند الله؛ ولذلك لا يقول المسلمون كل ما تكلم به محمد ﷺ من القرآن، ونقل عنه القرآن نقلاً متواتراً يقطع بصحته خلفاً وسلفاً، أما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبداً، فضلاً عن نقله بعد تعيينه، فانظر هذه الحال ما أشد بُعدها عن الصواب، وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون ويجاهرون بقولهم: «نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وهو مضبوط عن الخلل بريئ من الزلل». . ، فهم جديرون بأن يُضحك عليهم أبد الدهر، وإن شئت قلت: يُبْكى عليهم.

وأعجب من ذلك: صومهم الذي يتكرر عليهم في كل عام(٢)، يصومون نحو الشهر

---

(١) يقال: «تفرقوا أيدى ـ وأيادي ـ سبأ»، يعني مثل تفرق أولاد سبأ بن يشجب حين أرسل عليهم سيل العرم، والأيدي يكنى لها عن الأولاد الأسرة لأنهم في القوة بمنزلة الأيدي.

(٢) لابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: إذا شئت أن ترى التغيير في دينهم، فانظر إلى صيامهم الذي وضعوه لملوكهم وعظمائهم، فلهم صيام للحواريين وصيام لماري مريم، وصيام لماري جرجس، وصيام للميلاد وتركهم أكل اللحم في صيامهم مما أدخلوه في دين المسيح، وإلا فهم يعلمون أن المسيح (عليه السلام) كان يأكل اللحم، ولم يمنعهم منه لا في صوم ولا فطر.

وأصل ذلك: أن المانوية كانوا لا يأكلون ذا روح فلما دخلوا في النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيُقتَلوا، فشرعوا لأنفسهم صياماً، فصاموا للميلاد والحواريين، وماري مريم، وتركوا في هذا الصوم أكل اللحم محافظة على ما اعتادوه من مذهب ماني، فلما طال الزمان تبعهم على ذلك النصارى فصارت سنة متعارفة بينهم.

[ببعض التصرف / إغاثة اللهفان (٢/ ٢٨٧)]

والشهرين، فيهما واجب وغير واجب بإجماعهم، وإذا سألتهم: ما عدد الواجب؟؟ لم تجد من يعرفه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولقد عذرت بعض الفضلاء لما سمعته يقول: النصارى عُرَّة[1] على ولد آدم.

الشبهة السابعة:

أنه قال: إن القرآن الكريم أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] والظالمون إنما هم اليهود عبدة العجل[2] وقتلة الأنبياء[3]، وبقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ولم يقل: «كونوا لهم مسلمون».. وبقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ [المائدة: ٨٢]، فذكر حميد صفاتنا وجميل نياتنا، ونفى عنا الشرك بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ وسَوَّى بيننا وبين غيرنا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة: ٦٢].

الجواب على هذه الشبهة:

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ إلى آخرها فمعناها: إن قريش قالت له (عليه الصلاة والسلام) أعبد إلٰهنا عاماً ونعبد إلٰهك عاماً، فأمره الله تعالى أن يقول لهم ذلك، فليس المراد النصارى، ولو كان المراد النصارى لم ينتفعوا بذلك؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ معناه: الموادعة والمتاركة، فإن الله تعالى أول ما بعث نبيه محمداً ﷺ أمره أولاً بالإرشاد والبيان ليهتدي من قصده الاهتداء، فلما قويت شوكة الإسلام أمره بالقتال بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩].

---

(١) يقال: فلان عُرذَة أي قذر، وهو يَعُرُّ قومه أي يُدخل عليهم مكروهاً يلطخهم به.
(٢) انظر القرآن الكريم ـ سورة البقرة ٩٢، ٩٣ وسورة طه ٨٨.
(٣) في القرآن الكريم: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١].

قال العلماء: نسخت هذه الآيات نيفاً وعشرين آية[1]، منها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝﴾ [الغاشية: ٢٢]، وغير ذلك.

وليس في المتاركة والاقتصار على الموعظة دليل على صحة الدين المتروك وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ دليل على أنهم على الباطل فإنهم لو كانوا على الحق ما احتجنا للجدال معهم، فهي تدل على عكس ما قالوا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ المراد من طغى، ولم يقصد الاسترشاد من كل طائفة، ولا يختص ذلك باليهود، فإنا نعدل معه عن الدليل والبرهان إلى السيف القاطع والبيان. .، وأمره تعالى بأن نؤمن بما أنزل على أهل الكتاب صحيح ولكن أين المُنَزَّل؟؟، والله أن وجوده أعز من عنقاء مغرب[2]، وقد تقدم بيانه في تناقض الأناجيل.

وأما قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝﴾ فخاص بنا، أمرنا تعالى أن نقول ذلك لنتبع فيه فهو دليل أمرهم بالإسلام عكس ما قاله، ولو لم يكن لهم أمر لكانوا مأمورين بآيات غير هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝﴾ [آل عمران: ٦٤]، وبقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧] وغير ذلك كثير.

وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة، وأنهم متواضعون فَمُسَلّم، لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين في النار وغضب الجبار؛ لأن السجايا الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيمان كالشجاعة والظرف واللطف وجودة العقل، فليس فيه دليل على صحة دينهم.

وأما نفي الشرك عنهم فالمراد الشرك بعبادة الأصنام لا الشرك بعبادة الولد واعتقاد

---

(١) قال الحافظ السيوطي في «الناسخ والمنسوخ»: هذه الآية مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وهي آية محكمة.

(٢) في شعر العرب:

وعلمت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفي

والغول هي صنف من الجن والشياطين تتغول للناس فتهلكهم، وقيل هم سحرة الجن، وهم حقيقة وفي الحديث: «إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان»، والعنقاء طائر خرافي عظيم معروف الاسم مجهول الجسم.

التثليث، وسببه أنهم مع التثليث يقولون: الثلاثة واحد، فأشاروا إلى التوحيد بزعمهم بوجه من الوجوه، ويقولون نحن لا نعبد إلا الله تعالى لكن الله تعالى هو المسيح، ونعبد المسيح والمسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم، فهذا وجه التوحيد من حيث الجملة، ثم يعكسون ذلك فيقولون: الله ثالث ثلاثة، وأما عبدة الأوثان فيصرحون بتعدد الآلهة من كل وجه، ولا يقول أحد منهم أن الصنم هو الله تعالى، وكانوا باسم الشرك أولى من النصارى، وكان النصارى باسم الكفر أولى، حيث جعلوا الله تعالى بعض مخلوقاته، وعبدوا الله تعالى وذلك المخلوق فساروا عبدة الأوثان في عبادة غير الله تعالى، وزادوا بالاتحاد والصاحبة والإد فلا يفيدهم كون الله تعالى خصص كل طائفة من الكفار باسم هو أولى بها في اللغة مدحاً لا تصويباً لما هم عليه.

الشبهة الثامنة:

أنه قال: في مدح قرباننا وتواعدنا إن أهملنا ما متعنا به قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥].

فالمائدة هي القربان الذي يُتقرب به في كل قداس[(١)].

والجواب:

إن من العجائب أن يدعي أن المائدة التى نزلت من السماء هي القربان الذي يتقربون به، مع أن الذي يتقربون به من مصنوعات الأرض..!!، وأين المائدة من القربان؟؟ نعوذ بالله تعالى من الخذلان، بل معنى الآية أن الله تعالى طرد عادته وأجرى سنته أنه متى بعث للعباد أمراً قاهراً للإيمان لا يمكن للعبد معه الشك، فمن لم يؤمن به بعد عجّل له العذاب، لقوة ظهور الحجة، كما أن قوم صالح لما أخرج الله لهم الناقة من الحجر فلم يؤمنوا عجل لهم العذاب، وكانت هذه المائدة جسماً كينونياً عليه خبز وسمك ينزل من السماء يُقَوِّت القليل منه الخلق الكثير العظيم العدد، فأمرهم. أن يأكلوا ولا يدخروا، فخالفوا وأدخروا فمسخهم الله تعالى.

---

(١) انظر الباب الثالث من الفصل الثالث من كتاب «*تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب*» للمهتدي عبد الله ابن الترجمان الذي كان قسيساً وهداه الله فأسلم فقد فضح فيه هذه النقطة ورد عليها بأناجيلهم كما ذكر صفة القربان وكيف يصنعونه.. إلخ، وقد يسر الله لنا تحقيق هذا الكتاب.

ونزول مثل هذا من السماء كخروج الناقة من الصخرة الصماء فأخبر تعالى أن من لم يؤمن بعد نزول المائدة عجلت له العقوبة، ولا تعلق للمائدة بقربانهم البتة، بل المائدة معجزة عظيمة خارقة، والقربان أمر معتاد ليس فيه شيء من الإعجاز البتة، فأين أحد البابين من الآخر؟؟، لولا العمى والضَّلال.

الشبهة التاسعة:

ومنها: أنه قال: إن الله تعالى أخبر خبراً جازماً أنا نؤمن بعيسى (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، فكيف نتبع من أخبر الله تعالى عنه أنه شاك في أمره بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]، وأمره في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية على صراط مستقيم: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٤]، والمنعم عليهم هم النصارى والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون عبدة الأصنام.

والجواب:

إن النصارى لما لعبوا في كتابهم بالتحريف والتخليط صار ذلك لهم سجية، وأصبح الضلال والإضلال لهم طوية، فسهل عليهم تحريف القرآن، وتغيير معانيه لأغراضهم الفاسدة، والقرآن الكريم بريئ من ذلك، وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل ولا برهان بل بمجرد الأوهام والوسواس.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ ففيه تفسيران:

أحدهما: إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت ظهر لهم منه الإنكار عليه بسبب ما كان عليه من الكفر، فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه ويؤمن بالحق على ما هو عليه؛ فإن الدار الآخرة لا يبقى فيها تشكك ولا ضلال، بل يموت الناس كلهم مؤمنين موحدين على قدم الصدق ومنهاج الحق، وكذلك يوم القيامة بعد الموت، لكنه إيمان لا ينفع ولا يعتد به، وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكناً من الكفر، فإذا عدل عنه وآمن بالحق؛ كان إيمانه من كسبه وسعيه فيؤجر عليه، أما إذا أضطر إليه فليس فيه أجر[١]، فما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بنبوة عيسى (عليه السلام) وعبوديته لله تعالى، قبل موته، لكن قهراً لا ينفعه في الخلوص من النيران وغضب الديان.

---

(١) وهو مثل فرعون عندما أعلن إيمانه عند الغرق فلم ينفعه.

التفسير الثاني: إن عيسى (عليه السلام) ينزل في آخر الزمان عند ظهور المهدي بعد أن يفتح المسلمون قسطنطينية من الفرنج فيكسر الصليب ويقتل الخنزير[1]، ولا يبقى على الأرض إلا المسلمون، ويستأصل اليهود بالقتل، ويصرح بأنه عبد الله ونبيه، فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ لإخباره لهم بذلك.

وعلى التفسيرين ليس فيه دلالة على أن النصارى الآن على خير.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ فهو من محاسن القرآن الكريم؛ لأنه من تلطف الخطاب وحسن الإرشاد، فإنك إذا قلت لغيرك: أنت كافر فآمن، ربما أدركته الأنفة فاشتد إعراضه عن الحق، فإذا قلت له: أحدنا كافر ينبغي أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله تعالى فهلم بنا نبحث عن الكافر منا فنخلصه، فإن ذلك أوفر لداعيته في الرجوع إلى الحق والفحص عن الصواب، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر فَرّ من الكفر من غير منافرة منك عنده، ويفرح بإسلامه ويسر منك بالنصيحة.

هكذا هذه الآية سهلت الخطاب على الكفار؛ ليكون ذلك أقرب لهدايتهم، ومنه قول صاحب فرعون المؤمن لقوم موسى (عليه السلام): ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ٢٨ ـ ٢٩]، فخصهم أولاً بالملك والظهور لتنبسط نفوسهم، مع علمه بأنه وبال عليهم وسبب طغيانهم ولم يجزم في ظاهر اللفظ بصدق موسى (عليه السلام) مع قطعه بصدقه، بل جعله معلقاً على شرط لئلا ينفرهم فيحتجبوا عن الصواب، فكل من صح قصده في هداية الخلق سلك معهم ما هو أقرب لهدايتم. وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون في حق فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، وقوله لمحمد صلوات الله عليهن أجمعين: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فهذا كله من محاسن الخطاب، لا من موجبات الشك والارتياب.

وأما أمره تعالى لمحمد ﷺ ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم فلا يدل

---

(١) انظر حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٨١٦) وغيرهم.

على عدم حصول الهداية في الحال؛ لأن القاعدة اللغوية أن الأمر والنهي والدعاء والوعد والوعيد والشرط وجزاءه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضي والحاضر، فلا يطلب إلا المستقبل ؛ لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه فلا معنى لطلبه، والإنسان باعتبار المستقبل لا يدري ماذا قضى عليه، فيسأل الله العظيم الهداية في المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة، كما أن النصراني إذا قال: اللهم أمتنى على ديني لا يدل على أنه غير نصراني إلى وقت الدعاء، ولا أنه غير مصمم على صحة دينه، وكذلك سائر الأدعية.

وأجمع المسلمون على أنه المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى، فتبديل ذلك بما قاله مصادمة ومكابرة ومغالطة وتحريف وتبديل، فلا يُسمع من مدعيه.

الشبهة العاشرة:

ومنها: أنه قال: ليس من عدل الله تعالى أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا، ولا وقفنا عل كتابه بلساننا.

والجواب:

أنه علية السلام لو لم يرسل إليهم فليت شعري ما كتب إلى قيصر هرقل ملك الروم[1]، وإلى المقوقس[2] أمير القبط يدعوهم إلى الإسلام ولولا لم يسلط السيف على النصرانية إلى اليوم ستمائة سنة:

وليس يقر في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

الشبهة الحادية عشر:

ومنها: أنه قال: لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا علينا، فإن مرادنا بالأب: الذات، وبالابن: النطق الذي هو قائم بتلك الذات، وروح القدس: الحياة، الثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون، ونحن لم نطلق ذلك من قِبل أنفسنا، بل في الإنجيل قال عيسى (عليه السلام): «**اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوها باسم الأب والابن والروح القدس**»، وفي أول القرآن: بسم الله الرحمن الرحيم. . ، فاقتصر على هذه الثلاث: الأب والابن وروح القدس.

ونريد بقولنا: «المسيح ابن مولود من الله تعالى» فلا حدث قبل الدهور وأنه لم يزل

---

(١) تقدم ذكره وتخريجه.

(٢) تقدم ذكره وتخريجه.

نطقًا ولم يزل الله تعالى ناطقاً، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له، فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم (رضي الله عنها)، ووُلد منا بالطبيعة البشرية لا بالٰهية، فإذا قلنا: المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية، وأن له ولداً من صاحبة، وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد: ٣].

وسبب تجسيم كلمة الله تعالى إنساناً أن الله تعالى لا يخاطب إلا بحجاب؛ لأن اللطائف لا تظهر إلا في الكثائف، فظهر في الإنسان لأنه أشرف خلقه كما خاطب موسى (عليه السلام) من العوسجة[١]، ففعل المعجز بلاهوته[٢] وأظهر المعجز بناسوته[٣]، والفعلان للمسيح (عليه السلام) كما تقول: زيد ميت بجسده باق بنفسه، ولذلك صُلب الناسوت دون اللاهوت.

كما أن الحديدة المحماة يُطرق حديدها أو يُقطع دون ناريتها.

وكذلك سمى القرآن عيسى (عليه السلام) روح الله[٤] وكلمته[٥] واسمه عيسى، فيكون الخالق واحداً وهو الأب ونطقه وحياته، ولا يلزم تعددها تعدد الخالقين، كما تقول: الخياط خَيَّط الثوب، ويد الخياط خيطت الثوب، ولا يلزم أن يقال: خَيَّط الثوب خياطان، بل خياط واحد، كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إلٰه واحد، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة، كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس[٦].

والجواب:

أما قوله: «نريد بالأب: الذات، وبالابن: النطق، وبروح القدس: الحياة» فلا كفر فيه، وإنما الإطلاق منكر.

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئاً يُعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل ولا مضبوط العين، ولا يوثق بشيء منه في الدين، وقد تقدم ذلك في تناقضه، وأما ما في القرآن من: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فتفسيركم له غلط

---

(١) هذا في التوراة وليس من القرآن، والعوسج نوع من الشجر طيب الرائحة.
(٢) أي بخاصته الإلٰهية.
(٣) أي بخاصته الإنسانية الآدمية.
(٤) و(٥) القرآن الكريم، تقدم تخريجه ص٥٤.
(٦) قلت: لماذا لم يقل: عقل الإنسان ونطقه وحياته وإحساسه وإبصاره وتذوقه ستة، أعني لماذا اقتصر على ثلاث صفات فقط؟!!

وتحريف، كما فعلتم في الإنجيل؛ لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه: الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال، و «الرحمن الرحيم»: وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته فإن صفات الله تعالى منها سلبية نحو: «الأزلي» أي لا أول له، و«الصمد»: أي لا جوف له. . ، ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهى سبعة:

١ ـ العلم. ٢ ـ الإرادة. ٣ ـ القدرة. ٤ ـ الحياة.

٥ ـ الكلام. ٦ ـ السمع. ٧ ـ البصر.

ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به نحو: «الرزق والهبات والخلق والإحسان، فتسميته «الرازق»، «الوهاب»، «الخالق»، «المحسن» باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته، «فالرحمن» معناه: المحسن في الدنيا والآخرة لخلقه بفضله، والرحيم معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله؛ لذلك يقال: «يا رحمٰن الدنيا والآخرة ويا رحيم الآخرة»، «فالرحمٰن»، أبلغ من «الرحيم» لشموله الدارين، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما في «الرحمن الرحيم» بل هو تحريف منه للقرآن، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حُرِّم هذا الإطلاق، فإن إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى وليس هو عندكم، فكنتم عصاةً بهذا الإطلاق.

وأما قولكم: «أن النطق مُوجِد» فغلط، فإن «المُوجد» إنما هو: القدرة دون غيرها.

وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها:

فالقدرة: تُوجِد.

والإرادة: تُخَصِّص الممكن بأزمانه وأحواله.

والعلم: يكشف الممكنات والواجبات والمستحيلات على ما هي عليه.

والسمع: إدراك يختص بالكلام النفسي والصوت اللساني.

والبصر: إدراك خاص يختص بالموجود دون المعدوم، بخلاف العلم فإنه يعمها.

والكلام النفسي الذي هو النطق: يكون منه الأمر والنهي والخبر والاستخبار دون التأثير، فلا يجوز أن يُعقد أن الإيجاد إلا للقدرة ليس إلا.

والبراهين على هذه المطالب في كتبنا الكلامية، ليس هذا موضعها.

وقوله: «ونُريد ببنوة المسيح ولادته من الله تعالى بلا حدث، إنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله تعالى ناطقاً. .» قلت: هذا كلام غير معقول أصلاً إلا على وجه لا يبقى لدين

النصرانية أثر، وتقريره: إن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى، وقد سلمتم ذلك فهو من المعاني لا من الأجسام، بل هو كالعلم والحياة والإرادة، فإن أردتم أن عيسى (عليه السلام) المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان، فضلاً عن كونه لم يزل كذلك، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً، والعلم يكون طعاماً، والرائحة تكون لوناً، وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً، فهذا التفسير غير معقول ولا متصور، وإن أردتم أنه لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى (عليه السلام) فى أزله، فهو صحيح مقصود؛ لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء (الموجودات والمعدومات، الماضيات والحاضرات والمستقبلات)، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود، فإن خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى (عليه السلام) يتعلق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقاً بهذا التفسير فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود ابناً لله تعالى ولا مزية لعيسى على أحد من اليهود في ذلك، بل ولا على أحد من الحشرات.

وإن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه، فإنه غير معقول من قولكم: «لم يزل المسيح (عليه السلام) نطقاً»، فظهر أن أحد الأمرين لازم وهو: إما إبطال مذهب النصارى، أو: يكون كلامهم غير معقول، فضلاً عن إقامة الدليل عليه فإنهم لا يتكلمون إلا بكلام مثل هذا لا ليتحصل منه شيء.

قوله: «ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة».. هذا غلط وعمى وعدم بصيرة، فإن إرسال الشيء اتصاله بغيره المباين له، وهو غير معقول في كل صفة من الصفات (النطق وغيره)، فيستحيلُ إرسال الألوان والطعوم والروائح والعلوم والظنون إلا مع انتقال محالها، أما بمفردها فمحال ببديهة العقل، ومن شك في ذلك فليس بعاقل، ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال، فإنه ليس بجسم باتفاق الفريقين.

وأما «إرسال الشمس لضوئها»: فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير، بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس، فهٰهنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة، لم يرسل منها صفة واحدة بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه.

فإن أردتم: أن الله تعالى خلق في عيسى (عليه السلام) نطقاً بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره، فكذلك سائر الأنبياء (عليهم السلام)، بل العلماء والمشرعون كذلك خَلَقَ الله تعالى في نفوسهم الأخبار عن أحكامه تعالى، فإن كان عيسى (عليه السلام) بهذا ابناً فالعلماء كلهم كذلك، وإلا فلا أحد من خلق الله تعالى ابناً وهو الحق.

وإما إرسال الإنسان كلامه لغيره عن فكره فذلك:

١ ـ إما بالكتابة: فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود في أجسام بيض، ونطقه القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه.

٢ ـ وإما أن يوصي من يخبره بمقاصده مشافهة: فهو صوت صدر على لسانه وسمعه رسوله فقال هذا الرسول أصواتاً لذلك الغير، والأصوات من خواص الإنسان وقصبة الرئة لا تكون إلا في الأجسام، لذلك أحلناها على الله تعالى لأنه ليس بجسم، بل الثابت لله تعالى إنما هو الكلام النفسي الذي ليس بأصوات، والأصوات دالة عليه.

وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسي ولا الصوتي، بل النفسي قائم بنفسه والصوتي سمعه رسوله، وعُدِمَ لحينه لم يأخذه الرسول معه، فعلم أن هذا التمثيل غير مطابق لداعوكم بل جهل بالحقائق وأحاكمها وما هي عليه.

فإن قلتم: إن الله تعالى أمر عيسى (عليه السلام) فقال ما يدل على أحكام الله تعالى للخلق، فهو والأنبياء سواء في ذلك فلا معنى لاختصاصه بالبنوة.

وقوله: «فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم (رضي الله عنها) إلى آخر كلامه».

قلت: هذا موضع الخبط والجهل والكفر وعدم الإنسانية بالكلية، كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسماً؟؟، وذلك كقول القائل: الألوان والطعوم والروائح صارت جمالاً وبراذين[1]، فمن قام به لون قام به برذون، ومن قام به رائحة قام به جمل أو فرس، وكيف يتخيل عاقل أن المعاني تنقلب أجساماً مع أن المعاني مفتقرة للمحال لذاتها، والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها، فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنياً لذاته؟؟!!، وذلك كانقلاب الممكن واجباً لذاته، والزوج فرداً، والفرد زوجاً، والسواد بياضاً..، فإن كنتم تجوزون هذا كله وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الأحكام وهو الظن بكم سقطت مكالمتكم؛ لأن الكلام مع البهائم عبث وسفه..، وإن كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم: «تجسم النطق الرباني في عيسى ابن مريم»، واعترفوا ببطلان البنوة المبنية عليه، وإن عيسى (عليه السلام) فيه وجهان واعتباران: هو من وجه إله، ومن وجه إنسان..، فالآفات والصلب ترد على الوجه الإنساني، ويصير هذا الكلام كله كفراً وجنوناً؛ لأن المبني على الأصل الفاسد فاسد.

---

(١) البرذون: البغل.

قوله: «إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾».

قلت: هذا افتراء على الله تعالى وعلى كتابه وعلى المسلمين، إنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته، فليس للنصراني أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه.

قوله: «وسبب تجسم الكلمة أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف كما خاطب الله موسى (عليه السلام) من العوسجة».

قلت: هذا أيضاً من جهالات النصرانية، فَلِم قلتم أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف؟؟، بل يجوز أن يخلق الله تعالى لنا علماً ضرورياً لكل لطيف على ما هو عليه، من غير أن يحل ذلك اللطيف في غيره ولا يتحد بسواه، كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلا بدلالة صنعته عليه قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث في زمن عيسى (عليه السلام) ، ويلزم النصارى في هذا المقام أمور شنيعة أما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغِنَى عن الكثيف، أو يكون [أبو] الخلائق آدم (عليه السلام) وغيره من الأنبياء (عليهم السلام) وجميع الخلائق لم يظهر لهم من صفات الله تعالى وكمال ذاته شيء قبل عيسى (عليه السلام) إن لم يكن قبله اتحاد؛ لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم، وإن كان الظهور حاصلاً قبله كان الاتحاد الحاصل لعيسى (عليه السلام) حاصل لجميع الخلائق العالمين بالله تعالى وبصفاته، وللذين ظهرت لهم الصفات الربانية والمعارف الإلٰهية، وحينئذ لا اختصاص لعيسى (عليه السلام) ولا مزية له حتى يُجعل ابن الله تعالى دون الناس أجمعين.

ولم يتحد الكلام لموسى (عليه السلام) بالعوسجة، بل سمع كلام الله تعالى وهو قائم بذاته، وقد تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف، فكيف ينتقل كلام الله تعالى للشجرة حتى يسمعه موسى (عليه السلام)؟؟، فهذا أيضاً من الافتراء على قصة موسى (عليه السلام).

ومن أين للنصارى عقل يفهمون به أفعال الأنبياء (عليهم السلام) في دقائق الملكوت وعجاب أسرار الربوبية، مع أنهم جهلوا أحكام المعاني، وجوزوا عليها أن تكون أجساماً، ولذلك عدلت عن بيان كيفية سماع موسى (عليه السلام) لكلام الله تعالى وهو قائم بذاته بغير حرف ولا صوت، وهو مبسوط في كتابنا الكلامية، وقد ذكرته مستوعباً في «شرح الأربعين للإمام فخر الدين» فمن أراده نظره هناك، وبهذا التقرير يظهر فساد تمثيلهم بالحديدة والخَيّاط، فإن ذلك فرع تجسد المعنى وانتقاله للناسوت وقد ظهر بطلانه.

وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى (عليه السلام) روح الله وكلمته فقد تقدم الجواب عنه.

قوله: «الله وكلمته وروحه إلٰه واحد، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة، كما تقول: الإنسان وعقله وحياته ثلاثة وهو إنسان واحد».

قلنا: بل يلزمكم لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح (عليه السلام) فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء، والروح القدس الذي هو الحياة، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضاً لما فيه من إيهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى، وتقولون في صلاتكم: «والروح القدس مساوٍ لك في الكرامة»، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع فلكم ثلاثة آلهة بالضرورة.

ووزانه في الإنسان أن تعتقد أن عقله قد انتقل للجَمل فاستحق تعظيماً كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل، وروحه أيضاً تستحق تعظيم الإنسانية، والإنسان في نفسه يستحق تعظيم الإنسانية، فيكون لنا ثلاثة أناس جزماً، وإنما كان الإنسان واحداً لأن صفاته لم تتعداه ولم تعدل صفة من صفاته ذاته في التعظيم، بل المعظم واحد وهو الإنسان لما اشتمل عليه من كمال العقل وجميل الصفات، فكان ينبغي للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون: المعظم باستحقاق العبادة والعبودية واحد، وهو الله تعالى؛ لكمال صفاته وشرف ذاته، وليس شيء من صفاته مستحق للعبادة كان منتقلاً لوجود الانتقال، أو كانت الصفة قائمة بذاته، ولا يستحق للعبادة الموجبة للألوهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال، لا شيء من صفاتها ولا غير صفاتها، فهذا هو التوحيد المحقق الذي عليه المسلمون.

أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات ومن حل فيه بعضها، فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة؛ فلا معنى لقولهم أن هذا لا يلزمنا، إنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا: المسيح (عليه السلام) لا يستحق العبادة ولا نصلي له ولا نعبده ومن عبده كفر، لأنه عبد من جملة خلقه حلت فيه صفته، فهو غير الله تعالى. . . ، [ومَنْ عَبَدَهُ فهو مشرك، بل من عظم صفة من صفات الله تعالى (علمه، أو كلامه، أو حياته، أو سمعه، أو بصره) تعظيم الله تعالى؛ فهو كافر مشرك مع الله غيره قائل بتعدد الآلهة، فلا معنى لإنكار ذلك منهم.

ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإلٰه ولا أي شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية، فلذلك عبدوا ثلاثة آلهة وهم لا يشعرون!!، فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل، ثم يقتل، ثم ينكر على من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه!!، فينبغي لهذه الطائفة النصرانية أن تبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين،

فإذا وهبها الله تعالى عقلاً سألت عن حقيقة الألوهية حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخصوص ماهيتها، وما يجب للألوهية وما يستحيل عليها، وأي شيء إذا فقد لا يكون المحل مع هذه إلٰهاً، وإذا علمت هذه الأمور كلها كما علمها المسلمون استيقظت من سكر جهلها، وظهر لها أنها تعبد ثلاثة آلهة وأن المتعين ألا يُعبد إلا إلٰه واحد.

فإن قالوا: نحن لا نعبد المسيح (عليه السلام) ولا نعظم الكلمة تعظيم العبادة ولا نصلي لها، حلت الكلمة أم لا ولا يستحق العبادة إلا الله وحده دون صفاته العلا، فصفات الله واجبة الكمال لموصوفها وهي قديمة باقية يجب لها التنزه حلت أم لا فهذا حق لا ننكره عليهم ويكونون موحدين، وإنما يبقى الإنكار في القول بالحلول والاتحاد على اختلاف مذاهبهم وجحد النبوة، فبهذه الطريقة نكفرهم لا بتلك إن صرحوا بما ذكرته، والمصرح بهذا هم النسطورية(١) دون اليعاقبة(٢) والملكانية(٣)، وهم أقرب النصارى إلى الصواب، وليس للمسيح (عليه السلام) عندهم ميزة على سائر الأنبياء إلا أنه أفضلهم فقط، كما نقول نحن أن محمداً (عليه الصلاة السلام) أفضلهم.

الشبهة الثانية عشرة:

ومنها أنه قال: إذا احتججنا ببعض القرآن لا يلزمنا بقيته؛ لأنه كمكتوب أخرجه

---

(١) ينسبون إلى نسطور وقد كان بطريركا بالقسطنطينية ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين = = وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد إلٰهاً بل ولدت فقط الإنسان، ثم اتحد الإنسان بعد ذلك بالأقوم الثاني، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً، أو ذلك الاتحاد ليس اتحاداً حقيقاً بل اتحاداً مجازياً، لأن الإلٰه منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج ولا شك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم، وحوكم وعوقب في زعمهم. لم يكن فيهُ عنصر إلٰهي قط فلم يكن إلهاً ولا ابن الإلٰه وفي مجمع أفسس سنة ٤٣١م اجتمع النصارى وقرروا لعن نسطور وطرده فأبعد وفي حتى وصل مصر وأقام في أخميم إلى أن مات.
[محاضرات في النصرانية. للشيخ أبو زهرة ص١٦٥، ١٩٢] وانظر أيضاً [إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٧٤ . ٢٧٦].

(٢) اليعاقبة: هم أتباع يعقوب البراذعي ويقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة امتزج فيه عنصر الإلٰه بعنصر الإنسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب البراذعي لأنه من أنشط الدعاة إليه لا لأنه مبتدعه ومنشؤة، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، وأول من أعلن هذا المذهب بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي.
[انظر محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة ٢ص ١٦٨، ١٦٩، ١٩٤].

(٣) أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم يَرُون بقاء التثليث مع وجود اتحاد الله بجسد المسيح وامتزاجه به، وأطلقوا لفظ النبوة على المسيح والأبوة على الله، وسيلي إن شاء الله ضمن هذا الكتاب في السؤال الثامن عشر من الباب الثالث تعريف المصنف . أعني القرافي . بهذه الفرق واعتقادها، فليراجع في موضعه.

صاحب الدين بمائة دينار وفيه مكتوب أنه قد وفا، فإن ذلك لا ينفع المديون.

الجواب عليها:

قلنا: هذا التمثيل غير مستقيم، فإن كتاب الدين إن كانت البينة فيه على القبض والوفا نفع المديون، وإن كانت البينة على القبض دون الوفا فهذا هو الذي لا ينفع.

وبيانه: صحة القرآن هي المعجزة الدالة على عصمة الرسول (عليه الصلاة والسلام) والمعصوم كلامه كله حق وصدق فهو كالمكتوب الذي فيه البينة على القبض والوفا؛ [فيحتج] بجميع ما فيه.

الشبهة الثالثة عشرة:

ومنها أنه قال: إن قالوا[1]: لِمَ أطلقتم لفظ الابن والروح والأقانيم مع أن ذلك يوهم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة وأن الآلهة ثلاثة أشخاص مركبة وأنكم تعتقدون بنبوة المباضعة، قلنا للمسلمين: هذا كإطلاق المتشابه عندكم من لفظ «اليد» و «العين» [2]، ونحوها يوهم التجسيم وأنتم لا تعتقدونه.

الجواب عنها:

قلنا: إنما يطلق المسلمون المتشابه بعد ثبوته نقلاً متواتراً، يقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته امتحاناً لعباده؛ ليضل من يشاء وليعظم ثواب المهتدين حيث [حصلوا] الهداية بعد التعب في وجوه النظر، ويعظم عذاب الضالين حيث قطعوا لا في موضع القطع، ولم ينقلوا ذلك عن امرأة كما اتفق ذلك في الإنجيل، [ولم يقتصر] المسلمون على العدد القليل بل اعتمدوا على العدد الذي يستحيل عليهم الكذب، فلما تحققوا أن الله أمرهم بذلك نقلوه.

وأما النصارى فأطلقوا بعض ذلك من قِبل أنفسهم، كالأقانيم والجواهر، وبعضها نقلوه نقلاً لا تقوم به حجة في أقل الأحكام فضلاً عن أحوال الربوبية!!، فهم عصاة الله تعالى حيث أطلقوا عليه ما لم يثبت عندهم بالنقل، بل لو طُولبوا بالرواية لإنجيلهم لعجزوا عن الرواية فضلاً عن النقل القطعي، فلا تجد أحداً له رواية في الإنجيل يرويه واحد عن

---

(١) يعني المسلمين.

(٢) يعني تصريح القرآن بـ «يد الله» أو عين الله تبارك وتعالى، وهذا كما اتفق علماء السلف يُفهم في ضوء قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] دون تجسيد أو تجسيم أو تشبيه بخلق.

واحد إلى عيسى (عليه السلام)، وأقل الكتب عند المسلمين من [الأحاديث] وغيرها يروونها عن قائلها؛ فتأمل الفرق بين الاثنين والبون[1] الذي يبين الدينين!!، هؤلاء المسلمون ضبطوا كل شيء والنصارى أهملوا كل شيء، ومع ذلك يعتقدون أنهم على شيء!!

الشبهة الرابعة عشرة:

ومنها أنه قال: المسلمون ينكرون علينا إطلاق الجوهر على الله تعالى وليس بمُنْكَرٍ!!، لأن الموجودات منحصرة فى: الجواهر والأعراض، ولأن الموجود إما:

١ ـ غير مفتقر في الوجود إلى غيره (وهو الجوهر)

٢ ـ أو مفتقر في وجوده إلى غيره (وهو العَرَض)

ولا وساطة في قولنا مفتقر في وجوده وغير مفتقر، ويستحيل عليه تعالى أن يكون عَرضًا، فيتعين أن يكون جوهراً لضرورة الحصر فيهما.

وأما قول المسلمين: «إن الجوهر هو الذي يقبل العرض فيشغل الحيز فيستحيل إطلاقه على الله تعالى»؛ فليس كذلك، بل الذي يشغل الحيز ويقبل العَرَض هو الجوهر الكثيف، أما اللطيف كالضوء والنفس والعقل فلا.

الجواب على هذه الشبهة:

قلنا: هذا كلام من لا يعلم الجوهر ولا يعرف العَرَض، ولا يضبط علماً من العلوم كهذا النصراني فإن هذه خصيصتهم، أما ما يفتقر في وجوده لغيره فهو الممكن، وما لا يفتقر بوجه من الوجوه فهو الواجب، فهذا تفسير الواجب والممكن لا تفسير الجوهر والعَرَض، فأين أحد البابين من الآخر، بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر في وجوده إلى غيره، فنتبرع للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق فنقول:

الجوهر: هو المتحيز لذاته الذي لا يقبل القسمة، فقولنا «لذاته» احتراز من العَرَض فإنه متحيز لأجل قيامه بالجوهر. .، وقولنا: «لا يقبل القسمة» احتراز من الجسم فإنه يقبل القسمة، فالجسم هو المتحيز لذاته الذي يقبل القسمة، وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم.

والعَرَض: هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به، لا أنه يفتقر إليه في وجوده، بل وجود العرض وغيره من الله تعالى.

---

(١) البَوْن: الفضل والمزية والفرق.

إذا تقرر هذا ظهر خطؤهم في إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى فظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعَرَض، بل على تفسيرهم للعرض يلزم ألا يكون القابل للعرض والشاغل لحيز جوهراً؛ لأن وجوده من الله تعالى بل الله تعالى هو خالق المتحيزات وغيرها.

ومن العجيب قوله: «إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيزاً ولا يقبل عرضاً»، ثم مَثَّلَه بالنفس والعقل والضوء.

أما النفس: فإنها متحيزة وهي تقوم بها الأعراض لأنها تقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات والآلام واللذات وغير ذلك، وكلها أعراض نفسانية، لكن لا يعرف حقيقة العرض؛ فلذلك نفي الأعراض عن النفس.

وكذا العقل يقوم به الفكَر والِعبَر والعلوم والمعارف وغيرها، وهي أعراض.

وأما الضوء: فعرض يقوم بجواهر الهواء، ليس من الجواهر في شيء، وهو يعتقد أنه جوهر فمَثَّله به !!

فحديث النصارى كله عجب!!؛ حتى لو وجد عندهم صواب كان عجباً!!

الشبهة الخامسة عشرة:

أنه قال: الله له عدل وفضل، وهو سبحانه وتعالى يتصرف بهما، فأرسل موسى (عليه السلام) بشريعة العدل لما فيها من التشديد، فلما استقرت في نفوسهم وقد بقي الكمال الذي لا يصنعه إلا أكمل الكملاء وهو الله تعالى ولما كان جَوّاداً تعين أن يجود بأفضل الموجودات، وليس في الموجودات أجود من كلمته[١] يعني نطقه[٢]، فجاد بها واتحدت بأفضل المحسوسات وهو الإنسان لتظهر قدرته، فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد الكمال إلا النقص.

الجواب عن هذه الشبهة:

قلنا: أما شريعة موسى (عليه السلام) فكانت عدلاً وفضلاً وقَلَّ أن يقع في العالم عدل مجرد، وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة، كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة.

وتقرير هذا الباب: أن كل جود وإحسان فهو من فضل الله تعالى وجود لا يجب عليه فعله، فما عرى عن الخير والإحسان البتة فهو العدل المحض؛ لأن الملك ملكه،

---

(١) يعني المسيح (عليه السلام).
(٢) أي المسيح (عليه السلام).

والتصرف في الملك المملوك كيف كان عدل ليس بظلم، وإنما يكون الظلم في مملوك الغير، فإن وقع الخير المخض فهو التفضيل المحض، وهذا هو شأن أهل الجنة.

إذا تقرر هذا فشريعة موسى (عليه السلام) كان فيها من الإحسان أنواع كثيرة فتلك كلها فضل؛ كتحريم القتل والغَصْب والزنا والقذف والمسكر من الخمور المغيبة للعقول؛ وإنما أباح اليسير الذي لا يصل إلى حد السكر[١]، وكإباحة الفواكه واللحوم والزواج وغير ذلك، وهذه كلها أنواع من الفضل، ثم عيسى (عليه السلام) جاء مقرراً لها وعاملاً بمقتضاها ومستعملاً لأحكامها، ولم يُزد شيئاً من الأحكام، وإنما زاد المواعظ والأمر بالتواضع والرقة والرأفة، فلم يأتِ عيسى (عليه السلام) بشريعة أخرى حتى يقال إنها الفضل، بل مقتضي ما قاله أن تكون شريعة الفضل هي شريعتنا؛ لأنها هي الشريعة المستقلة التي ليست تابعة لغيرها ولا مقلدة سواها، وهذا هو اللائق لمنصب الكمال أن يكون متبوعاً لا تابعاً، فهذه الحجة عليه لا له.

ثم قوله: «لا يصنع الأكمل إلا هو سبحانه»، فهو باطل، لأنه لا حجر عليه سبحانه في ملكه، فيأمر بعض خلقه بوضع الأكمل، ويرسل الناس بأوامر وشرائع هي غاية في جلب المصالح ودرء المفاسد، كما هي شريعتنا المعظمة.

ثم قوله: «الله تعالى جواد بأعظم الموجودات وهي كلمته فجعله متحداً، فأفضل المحسوسات وهو الإنسان» باطل لوجوه:

أحدها: أن الجود بالشيء فرع إمكانه، فإن الكرم بالمستحيل محال، فينبغي أن يبين أولاً تصور انتقال الكلام النفسي من ذات الله تعالى إلى مريم (رضي الله عنها) ثم يقيم الدليل على وقع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه، وقد تقدم استحالة ذلك.

ثانيها: سلمنا أنه ممكن، لكن لِمَ قلتم إن الكلام هو أفضل الموجودات؟؟، ولِمَ لا يكون العلم أفضل الموجودات؟؟، ولِمَ لا يكون العلم أفضل منه لأن الكلام تابع للعلم؟؟

ثالثها: أن الذات الواجبة الوجود التي الصفات قائمة بها أفضل من الصفات، لأن الصفات تفتقر للذات في قيامها، والذات لا تفتقر للمحل بخلاف الصفات.

رابعها: أنهما صفتان من الصفات، والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام وحده، ولم يقل أحد باتحاد هذا، فالأفضل لم يحصل حينئذ.

ولما كان كلام النصراني نوعاً من الوسواس اتسع الخرق عليه والرد، فإنا نبين أن صفة الكمال والجود والفضل ظهرت في شريعتنا أكثر من جملة الشرائع وبيانه من وجوه:

---

(١) هذا في شريعة اليهود، وليس في شرعنا، فإن كل ما كان كثيره مسكراً فقليله حرام في شرع الإسلام الحنيف.

أحدها: أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها، فوقع الخبط في تلك الشرائع بعد طول المدة وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات، وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة فطغوا وبغوا وضلوا وأضلوا، ودُثرت تلك الشرائع بهذا السبب، فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض، ومعجزة شرعنا هي القرآن الكريم بوصفه ونظمه وما اشتمل عليه من المغيبات، وحلاوة السماع حلاوة لا يخلقها[1] الآباد ولا يسأمها أحد بالترداد، ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة في كتب هذا الشأن، واحدة منها كافية، فكيف بالجميع!!؟؟، وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف والأبناء بعد الآباء فلا يزيد الإسلام، إلا قوة، ولا الإيمان والتوحيد إلا جِدّة، ولله الحمد على ذلك، فتمت المصلحة واستمرت، ودحضت الضلالات ودثرت، فهذا هو الكمال الأشرف والفضل المُنَوَّف[2].

وثانيها: أن كل نبي بُعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بُعث للثقلين معاً الإنس والجن[3] على اختلاف أنواعها، بيان ذلك أن أكمل الشرائع المتقدمة شريعة التوراة مع أن موسى (عليه السلام) لم يبعث إلا على بني إسرائيل، ولما أخذهم من مصر وعبر البحر لم يعد لمصر ولا وعظ أهلها ولا عرج عليهم، ولو كان بُعث إليهم لما أهملهم،بل إنما جاء لفرعون ليسلم له بني إسرائيل فقط[4]، فلما انقضى له الغرض أهملهم ولم يعد لمصر البتة، وإذا كان هذا حديث موسى (عليه السلام) فغيره أولي، وقد أخبرنا سيد المرسلين بذلك، لا شك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل، وهو المطلوب.

وثالثها: أن هذا الأمة خير أمة أُخرجت للناس، فتكون شرائعها أفضل الشرائع، أما أنها أفضل فلقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف في ملة من الملل حتى إن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب[5] في المجلدات العديدة المتباينة، ولعله لا يوجد إلى شريعة الإسرائيليين كلهم من

---

(١) خَلُقَ الثوب أي: بَلَى، ومثله كلمة: أخلَق أي أبلى.
(٢) المُنَوَّف: أي الزائد.
(٣) انظر رسالة «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين» [ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ص٩] فما بعدها.
(٤) قال سبحانه وتعالى لموسى وهارون: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝١٧﴾ [الشعراء: ١٦ ـ ١٧]
(٥) منهم مثلاً الحافظ جلال الدين السيوطي الذي قال: «لو سُئلت في أي مسألة لصنفت فيها كتاب»، ويكفيه فخراً موسوعته جمع الجوامع، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر حتى أن لسرعته في التأليف كان قلمه يجرى بوصل الكلمات من أول السطر إلى آخره فلا يرفع القلم إلا بانتهاء السطر أو بجفاف المداد.

النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد فيكون العالم منا قدر شريعتهم بجملتها وكم فيها من عالم، ولأن العلوم القديمة كلها إنما تحررت فيها من الحساب والهندسة والطب والموسيقى والهيئة والمنطق وغير ذلك، وجددت هي علوماً لم تكن لغيرها من النحو، واللغة العربية البديعة، وبسط وجوه الإعراب الذي صنُفت فيها الدواوين العظيمة، وعلوم الحديث على اختلاف أنواعها، وعلوم القرآن على سعتها، وعلوم العروض والشعر والنظم وغير ذلك من العلوم الخاصة بها، وهم أولى بعلوم غيرهم لتخليصها وإظهار بهجتها، وإزالة فاسدها عن صحيحها، وبسطها بعد قبضها عن غيرها، فصار علم الوجود منحصراً فيها أولاً وأخيراً فتكون أفضل، ولأن ما وهبه الله تعالى لهم من جودة العقل وقوة الإدراك وتيسير ضبط العلم لم يحصل لغيرها، مضافاً لقوة الحفظ وجودة الضبط الذي لم يُنقل عن أمة من الأمم وهو دليل كثرة علومها ولولا ذلك لم تكثر العلوم فيها ولها.

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم تكون شريعتنا أفضل الشرائع؛ فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها واتباع نبيها ﷺ ومتى كانت الثمرة أفضل كان المثمر أفضل.

ورابعها: أن الله تعالى جعل عبادة هذه الأمة في هذه الشريعة على نسق الملائكة. عليهم السلام. تسويةً بين الملائكة وهذه الأمة في صفة العبادة، فكل الأمم يصلون همجاً من غير ترتيب إلا هذه الأمة تصلي صفوفاً كما تصلي الملائكة لقوله تعالى إخباراً عن قول الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦]، والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها، فشريعتنا أفضل الشرائع.

وخامسها: إن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشياطنية فقط، وهذه الأمة[1] أمروا بذلك وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر بالوضوء والغسل واجتناب النجاسات والقاذورات، . . [بينما يقف] الراهب يناجي ربه ويمتثل بين يديه لخطابه والعذرة[2] قد تحجرت على سوأته والقاذورات قد غلبت على أطرافه وسحنته[3]، حتى لو وقف ذلك الراهب قدام شيخ الضيعة[4] لمقته وقَبّح حالته فكيف بملك الملوك ورب الأرباب؟؟!! [5]، وأمر المسلم إذا ناجى ربه أن يكون نقي الباطن نظيف الظاهر حسن

---

(١) يعني أمة محمد ﷺ.
(٢) البُراز.
(٣) السَّحَنَة والسَّحْنَة: الهيئة.
(٤) قرية صغيرة.
(٥) في طوائف الروم وغيرهم لا يستنجون بالماء فيبول أحدهم ويتغوّط ويقوم بأثر البول والغائط إلى صلاته بتلك الرائحة الكريهة، فيستقبل المشرق ويُصَلِّب على وجه، ويُحَدِّث من يليه بأنواع الحديث كذباً كان أو فجوراً أو غيبة أو سباً وشتماً، ويخبره بسعر الخمر ولحم الخنزير وما شاكل ذلك ولا يضر ذلك في الصلاة ولا يبطلها . في زعمهم .، وإن دعته الحاجة إلى البول في الصلاة بال وهو يصلي صلاته. [إغاثة اللهفان ٢/ ٢٨٥].

الهيئة مستقبلاً أفضل الجهات[1] ملازماً للسكينة والوقار تاركاً للعبث والنفار، فكل حالته هي إعلام بعمل مع أفضل الملوك.

فإن كان النصراني لا يدرك الفرق بين هاتين الشريعتين ولا بين الهيئتين فهو معذور؛ لأنه قد فسد مزاج دماغه بروائح العذرات وعمى قلبه بملابسة القاذورات في المطعومات والمشروبات، حتى إنهم يقولون: ليس ثمة نجاسة البتة!!، وبمثل هذا وأقل منه تعذر الناس في فساد عقولهم.

وسادسها: إن هذه الشريعة أُمرت باستقبال أفضل الجهات وهو البيت الحرام لأنه أفضل من [بيت المقدس] لأمور منها:

١ ـ أنه أقدم بناء منه بأربعين سنة والتقدم دليل الفضل.

٢ ـ أن آدم إنما تيب عليه عنده بعرفة.

٣ ـ ومنها أن جميع الأنبياء منذ آدم فمن دونه حجه بخلاف بيت المقدس، وجميع الشرائع إنما أمرت بالتوجه في الصلاة إلى بيت المقدس.

وسابعها: أن الله تعالى جوز في شريعة موسى أن يتزوج الرجل من شاء من النساء، فراعى مصلحة الرجال دون النساء، فإنهم يتضررن بالغيرة والإهمال إذا كثرن، وحجز في شريعة عيسى (عليه السلام) على ما زاد على المرأة الواحدة، فراعى مصلحة النساء دون الرجال، لأنهم يتضررون بالاقتصار على الواحدة فقد لا [تتوافق] فيكون[2] في حيز العدم، وفي شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين فجعل للرجل أربع نسوة[3] فلا ضرر عليه، و[لا] يكثر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث، فكانت شريعتنا أتم، واليهود لا يزيدون على الأربع تشبهاً بالمسلمين.

وثامنها: إن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم في الصلاة في البِيَع، وشريعتنا وردت بالصلاة في كل موضع طاهر في جميع أقطار الأرض[4]، ومعلوم أن الصلاة فيها تعظيم الله تعالى وبها نكون أكثر من الأول[5] لأن الإنسان قد يتعذر عليه البيعة لكونه في البرية

---

(١) وهو بيت الله الحرام. (٢) أي الزواج.

(٣) قلت: ذلك مشروط بالعدل بينهن.

(٤) عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُجلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». الحديث رواه البخارى (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، وغيرها.

(٥) يعني أننا نكثر تعظيم الله تبارك وتعالى أكثر من النصارى واليهود، لكثرة مواضع السجود والصلاة على امتداد الأرض كلها دون تخصيصها بموضع معين.

والسفر، أو يتيسر له لكن تفتر عزيمته قبل وصوله إليها فتكون الصلاة وتعظيم الله تعالى وإجلاله في غاية الكثرة، فتكون هذه الشريعة[1] أفضل الشرائع وهو المطلوب.

وتاسعها: أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد، بل تقدم للنيران فتحرقها، وأحلت الغنائم في هذه الشريعة[2]، ومعلوم بالضرورة أن صون المالية عن الضياع والاستعانة على الدنيا والدين بها واقع في نظر الحكمة وأتم في مراعاة المصلحة، فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب.

وعاشرها: إنا لا نعلم في شريعة من الشرائع إعلاماً بالأوقات المعينات للصلوات بشيء يشتمل على مصلحة غير [الإسلام]، فاليهود يُعْلِمُون بالبوق، والنصارى بضرب خشبة على خشبة أو نوع آخر من الجمادات يسمونه الناقوس، وغير هاتين الملتين تُعْلِم بالنار، ومعلوم أن هذه الأمور لا تحصل لمصلحة الإعلام، وشرع في هذه الشريعة وحدها الأذان فحصل الإعلام، ومصلحة أفضل وهي الثناء على الملك العلاّم، وتجديد كلمة الإيمان، وتفخيم قدر رسول الملك الديان، والحض على الصلاة وجميع سبل النجاة بقوله: «حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح»، و«الفلاح»: خير الدنيا والآخرة، وكلمة «حيّ» أمر وتخصيص على ما بعدها، وفيه إيقاظ الغافلين وانتشار ذكر الذاكرين بالمجاوبة للمؤذنين، وفيه إعلان لشعار التوحيد وأنواع التمجيد، الأصوات بين الأرض والسماوات على أعلى البنايات، وأين هذا من النفخ في البوقات وفراقع الخشبات؟؟!!، ومعلوم أن هذه مصالح جليلة ومناقب فضيلة لم تقرر إلا في هذه الشريعة المحمدية، وهذه الأمة الطاهرة الزكية، وذلك مما يوجب شرفها على غيرها وهو المطلوب.

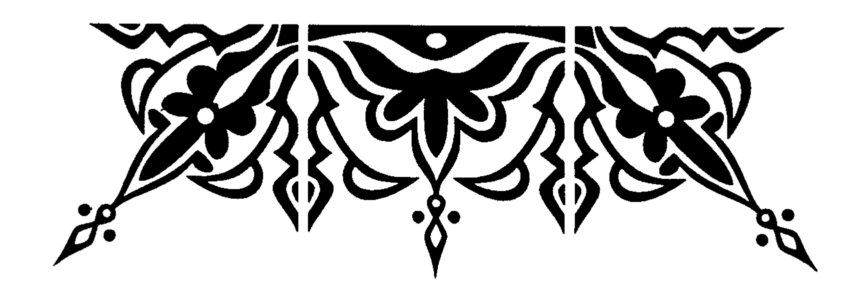
ولنقتصر على هذه النبذة في هذا المختصر اللطيف، وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عددها، ولا يخبو زندها[3]، وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها.

---

(١) يعني الإسلام.

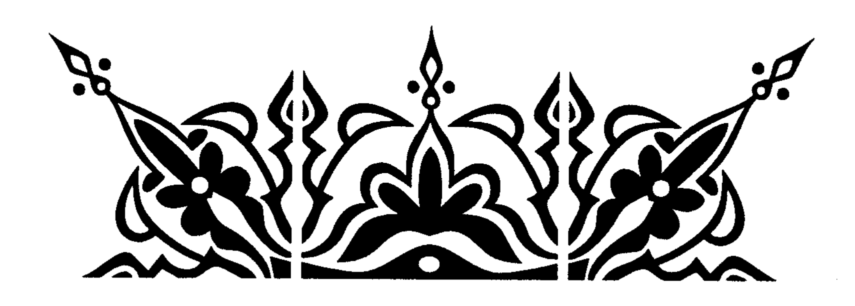
(٢) مَرَّ حديث: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي» وفيه: «وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي» [وقد تقدم تخريجه قريباً]..

(٣) الزَّند: عود يُقدح به النار.



الباب الثاني

في الجواب عن أسئلة عبثوا بها



في الجواب
عن أسئلة عبثوا بها

ولنذكر منها خمسة عشر سؤالاً تكميلاً للفائدة:

السؤال الأول:

قالوا: اليهود والنصارى أمتان عظيمتان، طبقوا مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم يخبر أن المسيح (عليه السلام) صُلب، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، والإنجيل أيضاً مخبر عن الصَّلب، فإذا جوزتم كذبهم، وكذب ما يدعي أنه الإنجيل، وأن هؤلاء ممكن تواطؤهم على الكذب، لزم المحال من وجوه:

أحدها: يتعذر عليكم كون القرآن متواتراً.

وثانيها: أن قاعدة التواتر تبطل بالكلية؛ فإن غاية خبر التواتر يصل إلى مثل هذا.

وثالثها: أن إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة فلا يسمع، فلو قال إنسان الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه، وعُدَّ خارجاً عن دائرة العقلاء، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق، وأن أخبار القرآن والمسلمين عند عدم ذلك مشكل.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن جميع النصارى واليهود على كثرتهم يوردون هذا السؤال، وهم لا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه، وإنما فهم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية والملة الإسلامية؛ لشرفها وعلو قدرها، واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمتها دون غيرها، وها أنا أوضح ذلك فأقول:

التواتر له شروط:

الشرط الأول: أن يكون المخبر عنه أمراً محسوساً، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن

الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة وهي باطلة؛ كإخبار المعطلة عن عدم الصانع، والمجسمة عن التجسيم، والفلاسفة عن قدم العالم وهم كثيرون مع بطلانه، **وسببه**: أن مجال النظر بحجة الغير يكثر فيها وقوع الخطأ فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان العقلي يعضد ذلك الخبر؛ فحينئذ يقطع ذلك الخبر، أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ، وإنما يقع الخلل من التواطؤ على الكذب فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب جُعل القطع بصحة الخبر.

الشرط الثاني: استواء الطرفين والواسطة، وتحرير هذا الشرط: أن المخبرين لنا إذا كانوا عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب، وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم، إن لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك الأمر المحسوس، بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك، فلابد أن يكون الغير المباشر عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب، فإنه إن جاز الكذب عليه وهو أصل هؤلاء المخبرين لنا فإذا لم يبق الأصل لم يبق الفرع عليه، فلا يلزم من كون المخبرين لنا يستحيل تواطؤهم على الكذب حصول العلم بخبرهم لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه، فيتعين أن يكون الأصل عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب، فهذا معنى قولنا: استواء الطرفين في كونهما عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب شرط؛ فإن كان المخبر لنا عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب وأصلهم الذي ينقلون عنه كذلك [لزم التسليم بما يقولون]، لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس، بل ينقل عن غيره آحاد أيضاً، فأصل ذلك الأصل يجب أن يكون عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب أيضاً لما تقدم، وفي هذه الصورة حصل طرفان وواسطة، فانظر: فإن المخبر لنا والمباشر الأول والواسطة التي بينهما، فيجب استواء الطرفين والواسطة والوسائط مهما كثرت شرط في كونهم عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب، فينقسم بهذا التحرير التواتر إلى: طرف فقط، وإلى طرفين بلا واسطة، وإلى طرفين وواسطة، والثلاثة أقسام مشتركة في هذا الشرط، إذا تقرر حقيقة التواتر فنقول:

الحس إنما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة، وأما عيسى (عليه السلام) نفسه أو غيره، فهذا لا يقيده الحس البتة بل إنما يعلم بقرائن الأحوال نفسه أو غيره، فهذا لا يقيده الحس البتة بل إنما يعلم بقرائن الأحوال إن وجدت، أو بأخبار الأنبياء (عليهم السلام) عن الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، والذي يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات: أننا لو وضعنا في إناء رطلاً من الماء أو الزيت أو نحو ذلك وأريناه لإنسان ثم رفعنا ذلك المائع، ووضعنا فيه رطلاً آخر من ذلك المائع، ثم أريناه لذلك الإنسان، وقلنا له: هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله؟، فإنه إذا

أنصف يقول الذي أدركه بحسي أن هذا ماء بالضرورة، أما أنه عين الأول أو مثله فلا أعلم؛ لكون الحس لا يحيط بذلك، هذا في المائعات، وكذلك كف من تراب، أو أوراق الأشجار، أو أنواع الحبوب كالحنطة إذا أُخذ منها حقتان ونحو ذلك، وكذلك الحيوانات الوحشية شديدة الالتباس على الحس، إذا اتحد النوع في اللون والسن والغلظ، وإنما كثرت الفروق في الحيوانات الإنسية، وسر ذلك: أن أسباب النشأة في الوحشية مشتركة كالمياه والمراعي والبراري، والحيوان الأنسي يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه اختلافاً كثيراً، فينشأ بحسب دواعي بني آدم في السعة والضيق وإيثار نوع من العلف على غيره، ومكان مخصوص على غيره، وإلزام الحيوان أنواعاً من الأعمال والرياضة دون غيرها، فيختلف الحيوان الإنسي بحسب ذلك، ثم يتصل ذلك بالنطف في التوليد، مضافاً إلى ما يحصل للولد من داعية مريبة فيعظم الاختلاف، والحيوان الوحشي سلم عن جميع ذلك، فتشابهت أفراد نوعه، ولا يكاد الحس يفرق بين نوعين منه البتة، إذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثيلين ولا التمييز بين الشيئين؛ فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى (عليه السلام) دون شبهه أو مثله ليس مدركاً بالحس، وإذا لم يكن مدركاً بالحس؛ جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى (عليه السلام) بخلق شبهه في غيره كما أخرق العادة في إحياء الموتى وغيره، ثم برفعه ويصونه عن إهانة أعدائه، وهو اللائق بكريم آلائه في إحسانه لخاصة أنبيائه وأوليائه، وإذا جوز العقل مثل هذا مع أن الحس لا مدخل له في ذلك بقى إخبار القرآن الكريم عن عدم الصلب سالماً من كل معارض، مؤيداً بكل حجة، وسقط السؤال بالكلية.

وثانيها: سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة بين المثيلين، والتمييز بين الشبيهين، لكن لا نُسَلِّم أن العدد المباشر للصَّلب كانوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب، ويدل على أنهم ليسوا ذلك: إن الحواريين فروا عنه؛ لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى، فخبر النصارى عن أسلافهم لا يفيد علماً، بل هو حزر وتخمين لا عبرة به، ولذلك قال الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ . ١٥٨] أي هم لا يتيقنون ذلك. بل يحزرونه[1] بالظن والتخمين.

وأما من جهة الملة اليهودية: فلأن المباشر منهم للصلب، إنما هم الوزعة وأعوان الولاة، وذلك في مجرى العادة يكون نفراً قليلاً كالثلاثة ونحوها، فيجوز عليهم الكذب ولا يفيد خبرهم العلم، ويكون العادة خولفت، وخرج للصلب عدد يستحيل تواطؤهم على

---

(١) حَزَّر الشيء: أي قَدَّره وخمَّنَهُ على التقريب.

الكذب يفتقر إلى نقل متواتر، فإنه لو وقع ونُقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب، فإن التواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة العلم لجواز كذب الناقل، فلا يكون عدد التواتر حاصلاً في نفس الأمر، والنصارى واليهود إنما يعتمدون على التوراة والإنجيل، ولا يوجد يهودي ولا نصراني على وجه الأرض يروي التوراة والإنجيل عدلاً عن عدل إلى موسى أو عيسى (عليهما السلام) وإذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل، فأولى أن يتعذر التواتر، ولم يبق في الكتابين إلا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جداً بحيث أن التواريخ الإسلامية أصح منها لقرب عهدها، مع أنه لا يجوز الاعتقاد في وقوع فروع الديانات على شيء من التواريخ، فضلاً عن أصول الأديان، وإذا ظهر أن مستند هذين الأمتين العظيمتين في العدد في غاية الضعف؛ كان في إخبارها في نفسها في غاية الضعف؛ لأن الفرع لا يزيد على أصله.

وثالثها: أن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متضافرة دالة على عدم صلب عيسى (عليه السلام) بخصوص، وذلك من وجوه:

أحدها: قال لوقا: «صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا، فبينما هو يصلي إذ تغير مظهر وجهه عما كان عليه، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلتهم فوقع النوم على اللذين معه». . ، فظهور الأنبياء (عليهم السلام) وتظليل السحاب، ووقوع النوم على التلاميذ دليل على الرفع إلى السماء وعدم الصلب، وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات.

وثانيها: ما في الأناجيل: «المصلوب استقى اليهود فأعطوه خلا مذاقاً بمر فذاقه ولم يسغه، فنادى إلٰهي إلٰهي لم خذلتني؟» والأناجيل مصرحة بأنه (عليه السلام) كان يطوي[1] أربعين يوماً وأربعين ليلة ويقول التلاميذ: «أن لي طعاماً لستم تعرفونه»، ومن يصبر أربعين يوماً على الجوع والعطش؛ كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه وأعداء الله بسبب عطش يوم وليلة؟؟، فإنه عندهم لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة، لإجماع الأناجيل على أن الصلب في [الساعة] الثالثة من يوم الجمعة ثم أنزل من يومه، وكفن ليلة السبت وأقام يوم السبت كله مدفوناً، ثم طُلب ليلة الأحد بغلس[2] فلم يوجد، ومنهم من قال: أقام ليلة الأحد، هذا مالا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء؟؟! فكيف بالرب تعالى عما يدعونه فيكون حينئذ المدعي للعطش غيره، وهو المطلوب.

---

(١) الطَّوَى: الجوع.
(٢) الغلَس: ظُلمة آخر الليل.

وثالثها: قوله: «إلٰهي إلٰهي لم خذلتني فتركتني»، وهو كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى وعيسى (عليه السلام) منزه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره، ولاسيما وهم يقولون: «إن المسيح (عليه السلام) إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه ويخلصه من الشيطان ورجسه»، فكيف يروون عنه أنه تبرم بالإيثار؟ واستقال مع العثار؟، ومع روايتهم في توراتهم أن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون (عليهم السلام) لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى سعيهم، ثم لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا استقالوا مذاقه ولا عابوه، مع أنهم عبيده، والمسيح بزعمهم ولد ورب، فكان ينبغي أن يكون أثبت منهم؟، ولما لم يكن كذلك دل على أن المصلوب غيره، وهو المطلوب.

السؤال الثاني:

قالوا: «القول بإلقاءَ الشبه على غير عيسى (عليه السلام) يُفضي إلى السفسطة، والدخول في الجهالات وما لا يليق بالعقلاء».

وبيان ذلك: أننا إذا جوزنا إلقاه شبه الإنسان على غيره، فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه، لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليهم، ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه، وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة، بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله، ولعله مكان آخر ألقى عليه الشبه، فلا يثق بوطنه ولا بسكنه ولا بشيء مما يعرفه ويألفه، بل إذا أغمض الإنسان عينيه عن صديقه بين يديه ثم فتحها في الحال ينبغي له ألا يقطع بأنه صديقه لجواز أن يلقي شبهه على غيره، لكن جميع ذلك خلاف الضرورة، فيكون القول بالشبه خلاف الضرورة فلا يسمع؛ كالقول بأن الواحد نصف العشرة!!

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا تهويل ليس عليه تعويل، بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم، وأن حكم الشيء حكم مثله، فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم إلا وهو قادر على خلق مثله، إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه في نفسه فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلاً، بل جملة العالم وهو محال بالضرورة.

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم، فجميع صفات جسد عيسى (عليه السلام) لها أمثال في حيز الإمكان في العدم، يمكن خلقها في محل آخر

غير جسد عيسى (عليه السلام) فيحصل الشبه قطعاً، فالقول بالشبه قول بأمر ممكن، لا بما هو خلاف الضرورة، ويؤنس ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصا موسى (عليه السلام) وهو أعظم من الشبه، فإن جعْل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً، وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى، كما أجمعوا على قلب النار لإبراهيم (عليه السلام) برداً وسلاماً، وعلى قلب يد موسى (عليه السلام) وعلى انقلاب الماء خمراً وزيتاً للأنبياء (عليهم السلام) وإذا جوزوا مثل هذا فيجور إلقاء الشبه من غير استحالة.

وثانيها: أن الإنجيل ناطق بأن المسيح (عليه السلام) نشأ بن أظهر اليهود وكان في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم ويناظرهم ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله، حتى يقولون: أليس هذا ابن يوسف، أليست أمه مريم؟ أليس أخوته عندنا فمن أين له هذه الحكمة؟؟

وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، وقد نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهماً ليدلهم عليه فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ومعه جماعة من اليهود معهم السيوف والعصي من عند رؤساء الكهنة، وقال لهم التلميذ واسمه يهوذا «الرجل الذي أَقَبِّلَه هو مطلوبكم فأمسكوه»، فلما جاء قال: السلام عليكم يا معلم الخير، ثم قَبَّلَه، فقال له يسوع: ألهذا جئت يا صاحب؟، فوضعوا أيديهم عليه وربطوه، فتركهم التلاميذ كلهم وهربوا، وتبعه بطرس من بعيد، فقال له رئيس الكهنة: بالله الحى أنت المسيح؟، فقال له المسيح: أنت قلت ذاك؟، وأنا أقول لكم: أنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى تروه جالساً عن يمين القوة، آتيا في سحاب السماء.

فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاثين سنة في المحاورات العظيمة والمجادلات البالغة أدل على وقوع الشبه قطعاً.

وثالثها: أن في الإنجيل أنه أخذ في حندس[1] من الليل مظلم من بستان، شوهت صورته، وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال، ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه، فكيف بين الشيء وشبهه؟، فمن أين للنصارى أو اليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى (عليه السلام) دون شبهه؟؟، بل إنما يحسن الظن والتخمين كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

---

(١) الحِنْدِس: الليل الشديد الظُّلمة.

ورابعها: قال يوحنا: كان يسوع (عليه السلام) مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه فخرج إليهم (فجاء اليهود في طلبه فخرج إليهم (وقال لهم: من تريدون؟؟ قالوا: يسوع، وقد خفى شخصه عنهم، ففعل ذلك مرتين وهم ينكرون صورته، وذلك دليل الشبه ورفع عيسى (عليه السلام) لاسيما وقد حكى بعض النصارى أن المسيح (عليه السلام) قد أعطي قوة التحول من صورة إلى صورة!!

وخامسها: قال متّى: «بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع (عليه السلام) قال: كلكم تشكون فّي هذه الليلة؛ لأنه مكتوب أن أضرب الراعي فتفترق الغنم، فقال بطرس: لو شك جميعهم لم أشك أنا، فقال يسوع: الحق أقول لك: أنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك».

فقد شهد عليهم الشك، بل على خيارهم بطرس فإنه خليفته عليهم، فد انخرمت الثقة بأقوالهم وجزمهم بعدم إلقاء الشبه على غيره، وصح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧].

وسادسها: أن في الإنجيل لمتّى: «أن يهوذا دل عليه بثلاثين درهماً دفعها إليه اليهود»، وزاد مرقس: «أنهم لما قبضوه تخلى عنه التلاميذ وهربوا، فاتبعه شاب عريان وهو ملتف في ردائه، فراموا قبضه فأسلم الرداء، ونجا عرياناً»، وزاد لوقا: «أن بيلاطس القائد لما علم أنه من طاعة هيرودس بعثه إليه»، وزاد يوحنا: «أن المسيح (عليه السلام) تقدم للجماعة وقال لهم: من تريدون؟، فقالوا: يسوع، فقال: أنا هو، وكان يهوذا الدال عليه واقفاً معهم، فلما قال لهم: أنا هو تقهقروا إلى خلف، فتساقطوا في الأرض، ثم سألهم وقال: من تريدون. فقالوا: يسوع، فقال: قد قلت لكم أنا هو، فإن كنتم إنما تريدونني فأطلقوا هؤلاء».

وذكر لوقا أن يهوذا الدال عليه لما بصر ما فعل به ندم ورد الدراهم وقال: أخطأت إذ بعت دماً صالحاً، فقالوا له: ما علينا، أنت بريء، فألقى الدراهم في البيت، وتوجه إلى موضِع خنق فيه نفسه.

فنقول: هذه الأناجيل ليست قاطعة في صلبه، بل فيها اختلافات منها:

١ ـ أنه يحتمل أنه يهوذا كذب لهم في قوله: هو هذا، ويدل على وقوع ذلك ويقويه ظهور الندم بعد هذا، وقول المسيح (عليه السلام) له: يا صديق لم أقبلت؟، ولو كان مصراً على الفساد لما سماه صديقاً، ولأن الإنجيل شهد أن المسيح (عليه السلام) شهد للتلاميذ الإثني عشر بالسعادة، وشهادته حق، والسعيد لا يتم منه هذا الفساد العظيم إذا شرع فيه، ويهوذا أحد الإثني عشر فيلزم: إما كون يهوذا ما دل بالصدق، أو كون المسيح (عليه السلام) ما نطق بالصدق، أو أن كتابكم محرف، اختاروا واحدة من هذه الثلاثة.

٢ ـ ومنها أنه يُحتمل أن المسيح (عليه السلام) ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح (عليه السلام) وهذا ليس ببعيد في أتباع الأنبياء (عليهم السلام) لا سيما أتباع الإلٰه على زعمهم.

٣ ـ ومنها أن الأعوان اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه، كما أخذوا رداء الشاب المتقدم ذكره وأطلقوه، وإذا نقلتم أن يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه، فقبول الأعوان الرشوة في إطلاقه أقرب.

٤ ـ ومنها أنه يحتمل أن الله صور لهم شيطاناً أو غيره بصورته وصلبوه، ورفع المسيح (عليه السلام) ويدل على ذلك، أنهم سألوه فسكت، وفي تلك السكتة تغيبت تلك الصورة، وهذا ممكن والله تعالى على كل شيء قدير. وأنتم ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه لما بيّنا فيها من الاختلاف، واليهود أيضاً ليسوا قاطعين بذلك؛ لأنهم إنما اعتمدوا على قول يهوذا، فأي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب؟ الذي يفضي من ضعف عقولهم العجب العجاب؟.

عجبي للمسيح بين النصارى	وإلى أي والد نسبوه؟
أسلموه إلى اليهود وقالوا:	إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقاً	وصحيحاً فأين كان أبوه؟
حين خلى ابنه رهين الأعادي	أتراهم أرضوه أم أغضبوه؟
فلئن كان راضياً بأذاهم	فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه

وهذه الأبيات برهان قاطع على النصارى لا يحتاج معها إلى شيء آخر فلقد أصبحوا هُزءة للناظر، ومصنعة للمناظر، ولله سر في إبعادهم عن مقام الكرامة، وتخصيصهم تخصيص السخط والندامة، لما طبعوا عليه من الجهالة.

السؤال الثالث:

يشترك فيه اليهود والنصارى، وهو: أن المسلمين يدعون أن الشريعة المحمدية نسخت كثيراً من أحكام التوراة، كتحريم الشحوم ولحوم الإبل، وصيد السبت، ومخالطة الحائض، وتحريم اليسير من الخمر ونحو ذلك، وهو محال لأن القول بالنسخ يقتضي تجويز البدء أو الندم على الله تعالى وهو محال فالنسخ محال، فتكون شريعة التوراة مستمرة إلى قيام الساعة، والشريعة المدعية للنسخ باطلة وهو المطلوب.

ثم إنا نقول: الفعل إن كان مصلحة حسنه وهو حسن في نفسه وجب ألا يحرم، أو مفسدة في نفسه وجب ألا يؤمر به، فالقول بالنسخ يؤدي إلى انقلاب الحقائق بأن يصير الحسن قبيحاً، وقلب الحقائق محال، فالنسخ محال.

وأيضاً كلام الله تعالى قديم، وحكمه كلامه، فيكون الأمر والنهي قديمين فيجتمع الأمر والنهي في الفعل الواحد وهو محال، فيكون النسخ المفضي إليه محالاً وهو المطلوب.

والجواب من وجوه:[1]

أحدها: أن النسخ ليس فيه بداء ولا ندم؛ لأن البداء والندم أن يظهر ما لم يكن ظاهراً قبل ذلك، كما يبدو للإنسان في سفره أو يندم عليه إذا ظهر له أن الإقامة هي المصلحة، وقبل ذلك كان جاهلاً لمصلحة الإقامة، والله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، فالبداء والندم عليه محالان، لكن معنى النسخ أنه سبحانه علم في الأزل أن تحريم الشحوم مثلاً مصلحة للمكلفين في الزمن الفلاني ومفسدة للمكلفين في الزمن الفلاني، ويعلم في الأزل أنه تعالى يشرعه في وقت المصلحة وينسخه وقت المفسدة، فالحكم الناسخ والحكم المنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلاً وأبداً، ولم يتجدد في العلم ما لم يكن معلوماً حتى يلزم البداء، بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات واختلاف الأمم، وليس في هذا شيء من المحال.

وثانيها: اتفاق اليهود والنصارى على أن آدم (عليه السلام) شرع الله تعالى له تزويج الأخ من أخته التي ليست توأمته، مع اتفاقنا على تحريم ذلك بعد آدم (عليه السلام) وهذا هو حقيقة النسخ فقد اعترفوا به فلا يكون محالاً على الله تعالى.

وثالثها: أن من أحكام التوراة أن السارق إذا سرق في المرة الرابعة تثقب أذنه ويباع، وقد اتفقنا على نسخ ذلك، فيكون النسخ جائزاً إجماعاً، فلا يكون محالاً على الله تعالى.

ورابعها: أن فريقي النصارى واليهود متفقان على أن في التوراة: «أن الله تعالى قد أبدل ذبح ولد إبراهيم بالكبش»، وذلك أشد أنواع النسخ؛ لأنه نسخ قبل فعل شي من نوع المأمور أو أفراده، وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ فجواز غيره بطريق الأولى.

وخامسها: في التوراة: أن الجمع في النكاح بين الحرة والأمة كان جائزاً في شرع إبراهيم (عليه السلام) لجمعه بين سارة الحرة وهاجر الأمة، وقد حرمته التوراة.

وسادسها: أن في التوراة قال الله تعالى لموسى (عليه السلام) «اخرج أنت وشعبك

---

(١) للمزيد انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٣٢١] فما بعدها.

من مصر، لترثوا الأرض المقدسة التي وعدت بها أباكم إبراهيم أن أرثها نسله، فلما صاروا إلى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لأنكم عصيتموني»، وهو عين النسخ.

وسابعها: تحريم السبت فإنه لم يزل العمل مباحاً إلى زمن موسى (عليه السلام) وهو عين النسخ.

وثامنها: أن في التوراة ما هو أشد من الندم والبدء، ففيها: «مرض ملك اليهود حزقيال، وأوحى الله تعالى إلى أشعياء (عليه السلام) قل لحزقيال يوصي فإنه يموت من علته هذه، فأخبره فبكى خزقيال وتضرع، فأوحى الله تعالى إلى أشعياء أنه يقوم من علته وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام، وقد زيد في عمره خمس عشرة سنة»، ومثله في التوراة كثير.

وتاسعها: في السِفر الأول: لما نظر بنو الله بنات الناس حساناً ونكحوا منهن، قال الله تعالى: «لا تسكن الروح بعدها في بشر، وإقامتهم مائة وعشرين سنة»، فأخبرت التوراة أنه لا يعيش أحد أكثر من هذا، ثم أخبرت أن «أرفخشد» عاش بعد ما ولد له سالح أربعمائة وثلاث سنين، «وأرغو» مائتي سنة، وإبراهيم (عليه السلام) مائة سنة، وذلك كثير في التوراة.

وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور؛ لا يسمع كلامهم بعد ذلك في النسخ.

وعاشرها: أن النسخ على وفق رعاية المصالح، ورعاية المصالح جائزة على الله تعالى، بيان أن النسخ على وفق رعاية المصالح: أن الأمم يختلفون في القوة والضعف، واليسار والأعسار، ولين القلوب وغلظها، وإقبالها وعتبها، بل الإنسان الواحد تختلف أحواله في الأزمنة المختلفة، فإذا شرع الله تعالى حكماً لمعنى ثم تغير ذلك المعنى فمقتضى رعاية المصالح نسخ ذلك الحكم إلى ضده أو نقيضه، كما وجب الذبح على إبراهيم لإسحاق (عليهما السلام)[1]، ليظهر الإنابة والتسليم لقضاء الله تعالى من الاثنين، فلما ظهر ذلك منهما وحصلت مصلحة الابتلاء، فرعاية المصالح تقتضي نسخ وجوب الذبح فيكون النسخ على وفق رعاية المصالح، وأما أنه إذا كان على وفق رعاية المصالح يكون جائزاً فلأن رعاية المصالح جائزة على الله تعالى إجماعاً، وإنما اختلف الناس هل تجب أم لا؟ ومذهب أهل الحق عدم الوجوب؛ لما قد تقرر في أصول الدين.

---

(١) الصواب أن إبراهيم كان قد أتاه الأمر بذبح إسماعيل كما في القرآن وليس إسحاق، لكن اليهود يدعون أن الذبح كان لإسحاق وليس إسماعيل، وهذا لأنهم ينكرون إسماعيل (عليه السلام) كإنكار للعرب. انظر رد ابن القيم على ذلك في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٥٥) فما بعدها. مجموع فتاوى ابن تيمية وللحافظ جلال الدين السيوطي رسالة عنوانها: «القول الصحيح في تعيين الذبيح» ضمن كتاب الحاوي للفتاوى (١/ ٤٩٢ . ٤٩٨).

السؤال الرابع:

قال النصارى واليهود، القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح فلا يكون من عند الله، وبيان اشتماله على ذلك: ما ينقله المسلمون عنه من قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، ومريم ليست ابنة عمران، لأن عمران أبو موسى وبين موسى (عليه السلام) ومريم (رضي الله عنها) نحو ستمائة سنة، فأين عمران من مريم (رضي الله عنها) حتى يكون أباها؟؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: نقل أن أباها (رضي الله عنها) كان اسمه عمران، ولا يلزم من أن اسم أبى موسى عمران أن لا يسمى غيره عمران، واعتقاد وجوب ذلك جهل.

وثانيهما: سلمنا أن اسم أبيها ليس عمران إلا أن عمران أبو موسى (عليه السلام)جدها من بني إسرائيل، والإنسان يضاف لجده البعيد كما يضاف لجده القريب، ولولا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل في تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب (عليه السلام) ببني إسرائيل، لأن يعقوب (عليه السلام) هو إسرائيل ولم يلدهم، بل بينه وبينهم المئون من السنين، ومع ذلك فكل ما جاء إلى يوم القيامة يسمى من بني إسرائيل، وهذا لا غرو فيه، وإنما ينكر ذلك من هو جاهل بوضع اللغات وموارد الاستعمالات، وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم (عليه السلام) ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أحد أجداده دون أبيه[1]، إذا كان أشرف أو أشهر وعمران (عليه السلام) كان في غاية الشهرة؛ فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء ومحل الابتلاء فيها دون غيرها.

السؤال الخامس:

قال اليهود والنصارى مما يستدرك على المسلمين: ما في كتابهم من جعل مريم (رضي الله عنها) أخت هارون (عليه السلام) وبينهما ستمائة سنة فلا تكون أخته، فكيف يخبر كتابهم بأنها أخته؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه روي أنه كان في زمانها عابد يسمى هارون، وكانت (رضي الله عنها)

---

(١) قلت: ونحو ذلك ما ذكره القرآن في شأن يوسف (عليه السلام): ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف: ٦]، فالمعلوم أن إسحاق جَدُّ يوسف، وإبراهيم جد أبيه.

في غاية العبادة، فلما جاءت بعيسى (عليه السلام) من غير زواج، واتهمها (رضي الله عنها) بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ أي في العبادة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [مريم: ٢٥] متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، وأصل الأخوة التساوي في الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الاعراف: ٣٨] أي مساويتها في الكفر، ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ﴾ [الزخرف: ٤٨]. أي مساويتها في الدلالة وتقول العرب: هذه العروة أخت تلك العروة، وهذه الواقعة أخت تلك الواقعة، وهذه النعل أخت تلك النعل. ومنه مؤاخاة الفواصل في السجع وغيره، وأصل ذلك كله المساواة، وسمي أخو النسب أخاً لمساواته أخاه في الخروج من تلك البطن لأمهما، أو ذلك الظهر لأبيهما، ولما اجتمعت المساواة في الصفتين للشقيق قويت الأخوة فيه؛ فسمي شقيقاً كالعصا إذا شقت بنصفين فإن المساواة بينهما في غاية القوة، وقيل لآخر أخ للأب، وللآخر: أخ للأم؛ إشارة للجهة التي وقعت فيها المساواة، فلما حصلت المساواة بين مريم (رضي الله عنها) وبين ذلك العابد، سميت أخته على القاعدة.

وقيل: كان في ذلك الزمان فاسق يسمى هارون؛ فلما اعتقدوا فيها التهمة جعلوها أخته أي في ذلك الفعل القبيح.

وثانيها: قيل أنها من ذرية موسى (عليه السلام) وهو أخو هارون، فقيل لها: أخت هارون، كما جاء في التوراة في الفصل الحادي عشر في السفر الخامس: «أن الله تعالى قال: إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من أخوتهم مثلك، اجعل كلامي على فيه»، وأخوة بني إسرائيل بجملتهم هم بنو إسماعيل، فجعل بني أخي أبيهم أخوتهم، فكذلك سميت مريم (رضي الله عنها) أخت هارون (عليه السلام).

السؤال السادس

قالت النصارى: وافقنا المسلمون على أن المسيح (عليه السلام) كان يحيي الموتى، وإحياء الموتى مختص بالله تعالى فيصح قولنا أن المسيح هو الله تعالى ويبطل قول المسلمين: «أنه عبد الله من عبيد الله»؛ دليل قاطع على ذلك ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم ولم يكن فيهم من يحيى الموتي، فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا الله، ولذلك أن النمرود لما تعدى طور العبودية حاجة إبراهيم (عليه السلام) بأن الله يحيي ويميت، ولولا أن الإماتة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسبن ذلك من إبراهيم (عليه السلام) وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة على المسلمين بروبوبية المسيح (عليه السلام) وصحة قول النصارى وأن المسلمين هم المشركون؛ لجعلهم مع الله من يشاركه في إحياء الموتى، وأن النصارى هم الموحدون؛ لأنهم لم يشركوا مع

الله تعالى غيره في خواص ملكه، وهو سؤال عظيم على المسلمين مثبت لشركهم ووحدانية النصارى، وأعظم دليل على صحته تصديق القرآن لصحته بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، فجعل الله تعالى الإحياء لمن له الإنشاء، وعيسى (عليه السلام) أحياها، فيكون أنشأها أول مرة، وهذا هو الله قطعاً والعجيب من المسلمين كيف يغفلون عن مثل هذا وهو صريح القرآن؟؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أنكم لم تفهموا قول الله تعالى في القرآن، ولا قول المسلمين أن عيسى (عليه السلام) كان يحيي الموتى، فإن المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد من الخلق كائناً من كان، وأن عيسى (عليه السلام) لم يحي قط ميتاً ولا أبرأ أكمه ولا أبرص؛ وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح (عليه السلام) كان يفعل ذلك، كما أن موسى (عليه السلام) لم يكن يقلب لون يده، ولم يحول جمادية عصاه، بل الله تعالى هو الفاعل لذلك عند إرادته، فالمعجزة في اقتران إراداتهما بهذه الآثار لا أنهما الفاعلان لها، فهذا معنى قوله تعالى وقول المسلمين أن عيسى (عليه السلام) كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ومن جملة جهالات النصارى اعتقادهم أنه (عليه السلام) كان هو الفاعل لنفس الإحياء والإبراء، ولا عجب في ذلك فإن جهلهم أعظم من هذا، فالذي حاج به إبراهيم (عليه السلام) النمرود إنما هو نفس الإماتة والإحياء اللذين هما خاصان بالله تعالى فليعلم ذلك؛ ولذلك حسن احتجاجه (عليه السلام) وكذلك المراد نفس الإحياء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فلا يحيى على الحقيقة إلا المنشئ فاندفع الأشكال واجتمعت النصوص من غير تناقض وصح مذهب [المسلمين]، وأنهم الموحدون حقاً، وبطل الكفر، إن الباطل كان زهوقاً.

وثانيها: سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما، لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك، بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى (عليه السلام) يفعل كفعله، وأن داود (عليه السلام) أحيا ميتاً بعد مائتي سنة، وأن إلياس واليسع، وحزقيال وغيرهم كانوا يحيون الموتى فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية فليكن الحواريون كلهم، وداود (عليه السلام) آلهة مساوين للمسيح (عليه السلام) فى الألوهية، وجميع ما ينسب إليه، ولما لم يقل بذلك أحد؛ دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في ألوهية عيسى (عليه السلام).

فإن قالوا غير عيسى (عليه السلام) كان يحيي بإذن الله تعالى بخلافه، قلنا: هذا قائم في حق عيسى (عليه السلام) وهو أنه إنما كان يحيي بإذن الله تعالى فيستوون.

وثالثها: قال الله تعالى في نبوة أشعياء ويعنى المسيح (عليه السلام) «هذا فتاي الذي اصطفيت، وحبيبي الذي ارتاحت له نفسي، وأنا واضع عليه روحي، ويدعو الأمم إلى الحق»، فسماه عبداً مصطفى على لسان أشعياء مبعوثاً مأموراً بدعوة الأمم أسوة غيره من الأنبياء، وهذا هو ما نطق به القرآن[1] وهو المطلوب.

لا يقال الفتى هو الولد عندنا؛ لأنا نقول: ليس ذلك عندكم؛ لما في السفر الأول من التوراة: «لما بلغ إبراهيم (عليه السلام) أن الملوك أغاروا على سدوم، وسبوا لوطاً ابن أخي إبراهيم (عليهما السلام) عبى فتيانه ثلاث مائة وثمانية عشر رجلاً وسار في طلب العدو فهزمه، واستنقذ لوطاً وماشيته وجميع ماله». ولم يكن أولاد إبراهيم (عليه السلام) هذا العدد باتفاق اليهود والنصارى، ففي الإنجيل لمتّى: «مر المسيح (عليه السلام) بعد قيامه من الدفن على جماعة من تلاميذه يصيدون السمك فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟، فأطعموه جزءاً من حوت وشيئاً من شهد العسل.

وإطلاق لفظ الفتى في التوراة والإنجيل على غير الولد كثير وقد جمله النصارى في هذا الموضع على الولد، فأتوا للفظ الضلال فيه وحملوه على الضلال وهو شأن أهل الشقاوة والعناد، وإنما اللائق إذا ورد لفظ الضلال حُمل على الهداية، كما هو شأن أهل السعادة والرشاد، فسبحان من جعل الجهل شعارهم والضلال دثارهم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

إذا تقرر معنى ما في الإنجيل فحينئذ نقول: «قد صرح متّى: بأن الله تعالى معطٍ ومنعم، وأن المسيح (عليه السلام) معطٍ ومُنعم عليه، وفتى من فتيان بني آدم». وهو المطلوب.

ورابعها: قال متّى: «أخذ إبليس يسوع المسيح (عليه السلام) وأخرجه إلى البرية ليجربه، وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة تصير خبزاً، فقال المسيح (عليه السلام): «أنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من الله تعالى». فأخذه إبليس ومضى به، حتى أقامة على أعلى جبل في أرض وأراه جميع ممالك العالم، وقال: هذا كله لي، وأنا أعطيكه إن سجدت لي سجدة واحدة فقال أغرب عنى يا شيطان، فإنه مكتوب للرب إلهك أسجد، وله وحده أعبد، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من ههنا إلى أسفل، فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجلك بحجر، فقال المسيح (عليه السلام) ومكتوب أيضاً: لا تجرب

---

(١) قال تعالى على لسان المسيح في كتابه الكريم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠].

الرب إلهك، ومضى عنه إبليس وتركه، وجاءت الملائكة تحرسه، وصام المسيح (عليه السلام) عند ذلك ثلاثين يوماً بلياليها»، فقد صرح المسيح (عليه السلام) فى هذه القصة: بأنه يعبد الله تعالى ويسلك الأدب معه على سنن العباد في عدم تجربّه الرب تعالى، وكيف يجرب إبليس المسيح (عليه السلام) ويسحبه من مكان إلى مكان؟ ويسومه السجود له؟؟ وهو خالق كل شيء وإله العالم عندكم؟، وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له فيه، فلما طمع فيه عامله بتلك المعاملة واعترف المسيح (عليه السلام) بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى دل ذلك على أنه عبد لا رب، وهو المطلوب.

وخامسها: قال متّى: «سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع (عليه السلام)، فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعمل معه؟؟، وكان هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان في السجن وهو يحيى بن زكريا وأعطى رأسه لابنة هيروديا، وكانت قد تمنت عليه ذلك يوم رقصت في مجلس لمولود ولد له، فجاء التلاميذ فأخبروا يسوع (عليه السلام) بمصاب يوحنا فجزع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذي كان فيه منفرداً، والله تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بسائر الكائنات، قادر على جميع الممكنات، جلباً ودفعاً وإعطاء ومنعاً، فلَم لم يعلم المسيح (عليه السلام) حتى أخبره التلاميذ وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبابرة؟، كان ذلك دليلاً قاطعاً على أنه محتاج خلق من جملة الخلق له ما لهم وعليه ما عليهم، وهو المطلوب.

فإن قالوا: نحن نسلم أن يسوع (عليه السلام) يخاف ويتألم، ويجوع ويعطش وتصيبه جميع آفات البشر، لكن ذلك مخصوص بناسوته دون لاهوته.

قلنا: الاتحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزاً عن الناسوت، فذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بها.

وسادسها: قال متّى: «قال رجل للمسيح (عليه السلام): يا معلم صالح، فقال له: لا تقل لي صالحاً لا صالح إلا الله تعالى الواحد»، فأضاف المسيح (عليه السلام) لربه الوحدة، وخصصه بالصلاح ونفاه عن نفسه، وذلك ينافي الألوهية ويثبت العبودية ويبطل التثليث وهو المطلوب.

وسابعها: قال متّى: «مر يسوع (عليه السلام) بشجرة وقد جاع، فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق، فقال: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها، فتعجب التلاميذ فقالوا: كيف يبست؟، فقال لهم: الحق أقول لكم: إنه لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل تعال واسقط في البحر لفعل، وكان كل ما سألتموه تنالونه». وذلك يدل على عدم ربوبيته من وجوه:

أحدها: جوعه وهو ينافي الربوبية ويثبت العبودية.

ثانيها: عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة والله تعالى بكل شيء عليم، فدل على أنه بشر لايعلم إلا ما علم، وذلك يثبت عبدويته وينافي ألوهيته.

ثالثها: غضبه على الشجرة لأنه لما انحزم عليه أمله قوي غضبه، وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية.

رابعها: تعجب التلاميذ من يبسها بقوله: ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لم يعجبوا من ذلك، فإن اليسوع عن النصارى هو الحق الخالق العالم، والذي تاب على آدم وبيده كل شيء، والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك، فدل على عبوديته (عليه السلام) وضلال النصارى.

خامسها: قوله لهم: «لو كان لكم إيمان بغير شك لطاوعكم الجبل ونلتم ما شئتم، ودل ذلك على أنه إنما ظهرت كرامته (عليه السلام) في الشجرة بإيمانه الصادق لا بكونه إلٰه العالم، وإلا كان يكون الجواب: «لو كنتم مثلي آلهة وأبناء الله، لفعلتم مثل فعلي»، ولا كان يحسن ذكر الإيمان، ولما علل به كل ذلك على أنه نبيه وعلى إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته وهو المطلوب.

وثامنها: قال لوقا: «ورد أمر قيصر بتدوين الناس، فمضى يوسف ومريم (رضي الله عنهما) وهي حامل بالمسيح (عليه السلام) ليكتتبا مع الناس، فضربها الطلق فولدته (عليه السلام) ولفته في الخرق وتركته في مدود حيث نزلا، فلما تمت له ثمانية أيام سموه يسوعا، ولما أكملوا أيام تطهيرهم أقاموه ليقربوا عنه زوج يمام أو فرخي حمام كسنة الناموس، ثم رجعوا إلى نصارتهم، فكان الصبي ينشأ ويتقوى بالروح ويمتلأ بالحكمة، وكانت نعمة الله تعالى عليه، فلما تمت له اثنتا عشرة سنة مضوا به إلى أورشليم، وضعاه في الهيكل بين العلماء والشيوخ يناجيهم ويسمع منهم ثم أخذاه وانصرفا به».

فنشأته في الأرحام ولفه في الخرق، ونشأته نشأة الصبيان أولاً فأول، وتعلمه من العلماء ما لا يعلمه، وتفهمه ما لم يكن يفهمه، واستفادته ممن تقدمه من الشيوخ، كل واحد من هذه دليل قاطع على أنه عبد مربوب لا رب معبود، وتعالى رب الأرباب أن تحويه معالف الدواب، بل لا تحويه الأقطار ولا يحده المقدار، بل لا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات. فالنجا النجا من هذا المذهب الذميم، والوحا الوحا في حل عقد هذا التصميم.

وتاسعها: قال لوقا: «قال رجل ليسوع (عليه السلام) أتبعك إلى حيث تمضي يا سيدي، فقال له يسوع (عليه السلام) للثعالب أحجار، وللطيور أوكار، وابن الإنسان ليس له موضع يسند رأسه» فتسمية نفسه ابن الإنسان مناقض لما يقوله النصارى، وقد كرر (عليه

السلام) هذه العبارة في مواضع كثيرة من الإنجيل، ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء (عليهم السلام) أن يكون اطلع على ما سيقوله النصارى فيه، وما يجترئون على الربوبية بسببه، فكان (عليه السلام) يكرر ما يكون سبباً للهداية لمن اهتدى، وعذراً له (عليه السلام) إذا سئل عن ذلك في الموقف غداً، ومع ذلك فلم يفد ذلك النصارى لفرط جهلهم، وشدة ضلالهم؛ ووصف نفسه (عليه السلام) بغاية التخلي عن الملك، حتى لا يملك مسقطاً لرأسه، ولا يحوز شيئاً لنفسه وهذا غاية العبودية.

وعاشرها: قال مرقس في إنجيله على لسان المسيح: «إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خر على وجهه يصلي لله تعالى وقال: أيها الرب كل شيء بقدرتك أخرّ عنى هذا الكأس، لكن كما تريد لا كما أريد أنا».

وهو يدل من وجوه:

أحدها: أنه وصف نفسه بالحزن والله تعالى لا يحزن، بل هو من خصائص البشر.

ثانيها: قول مرقس: «يصلي لله تعالى»، والمعبود غير العابد فلا يكون هو الله.

ثالثها: أنه أخبر عنه أنه سأل الله تعالى تأخير الموت، والسائل غير المسئول فلا يكون هو الله تعالى.

رابعها: قوله: «كما تريد لا كما أريد» جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته فلا يكون هو الله تعالى، وهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية وإثبات العبودية وهو المطلوب.

السؤال السابع:

قالت اليهود: أجمع المسلمون معنا على صحة شريعة موسى (عليه السلام) وأنه الصادق البر، وقد قال تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض، فلا يكون بعده رسالة أخرى فتبطل رسالة عيسى (عليه السلام) ولأنها إنما تثبت بالمعجزة، والمعجزة إنما تحصل بالعلم لمن باشرها، حتى يفرق بينها وبين السحر والسيمياء(١) والشعبذة.(٢)

قالوا: ونحن أيها اليهود باشر أسلافنا أمر عيسى (عليه السلام) وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، وحققوا أمره فوجوده يتعاطى نوعاً من السيمياء فيظن الناس [أنه] أحيا الموتى وليس كذلك، وكذلك جميع ما يعتقده المسلمون أنه معجزة دالة على صدقه، فينبغي تقليدنا لأننا المبشرون لحقيقة ما جاء [به]، ونحن يستحيل تواطؤنا على الكذب فيكون خبرنا قاطعاً ضرورياً، فمن ادعى خلاف ذلك فدعواه باطلة بالضرورة.

---

(١) السيمياء قيل هو ضرب من الفن يخلط ما بين السحر والكيمياء.
(٢) يقال شعوذ وشعبذ بمعنى واحد، وهو أنه مهر في الاحتيال ليرى الناس الأشياء على غير حقيقتها.

والجواب عن شبهة اليهود وإثبات نبوة عيسى (عليه السلام) من وجوه:

أحدها: البرهان العقلي على نبوة عيسى (عليه السلام) أن النبي من جاء بالمعجزة وهو (عليه السلام) جاء بالمعجزة فيكون نبياً، أما أن النبي من هو كذلك فبالاتفاق، ولأننا لا نعني بكون (عليه السلام) نبياً غير هذا، وأما أنه (عليه السلام) جاء بالمعجزة، فلأن إحياء الموتى من أعظم المعجزات، وأما قولهم: لا يعلم المعجزة إلا من باشرها فممنوع، بل إذا نقلت أحوال الشخص مع ما ظهر على يديه جزم العقل بنبوته، وكذلك بالنقل تتفاوت مقامات الأنبياء (عليهم السلام) والأولياء والعلماء والملوك والأمم الماضية مما ينقل لنا عنهم، ويقطع بكثير من أحوالهم التي كانوا عليها، وأما قولهم: «إنهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب، فيكون مخالفهم مخالفاً للضرورة»، فليس بصحيح بل غلط محض وجهل صرف، فإن هذه المقدمة إنما تفيد في التواتر، والتواتر إنما يكون في أمور الحسيات كما تقدم بيانه، والرسالة والنبوة ليستا من الأمور الحسية فلا عبرة بكثرة الناقلين فيها، كما لو أخبروا عن قدم العالم فإنه لا يفيد خبرهم علماً، وأحوال المسيح (عليه السلام) فى زهده وصدقه وإيثاره لآخرته وإعراضه عن الدنيا أمر معلوم من التواريخ القديمة والرسائل المنزلة. التي قامت المعجزة على تصديق رسلها فيحصل القطع بنبوته (عليه السلام) وهو المطلوب.

وثانيها: وافقت اليهود لعنهم الله على ظهور الخوارق على يده، وإنما قالوا: هي من قبيل السيمياء، وتارة يقولون: هي من قبيل الشياطين، وعلى كل تقدير جميع ما يقولونه يلزمهم في قلب العصا ثعباناً، اليد بيضاء، فلق البحر، ونتق الجبل، وسائر معجزات رسلهم (عليهم السلام) فما هو جوابهم عن معجزات رسلهم (عليهم السلام) وهو جوابنا عن عيسى (عليه السلام) حرفاً بحرف.

وثالثها: أن نص التوراة يقتضي نبوته صلوات الله عليه أن فيها (لوياسور وشبيط ميهوذا ومحوقيق مبين رغلا) وتفسيره: «لا يزال الملك في اليهود من آل يهوذا، والراسم من ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح»، وكذلك كان وما زالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح (عليه السلام) صاروا ذمة محقورة ورعية مأسورة، وهذا شيء لا ينكرونه، وهو دليل قاطع على نبوة عيسى (عليه السلام) وأن موسى (عليه السلام) أخبرهم أنهم يكونون في ذلك الوقت على باطل، وأن الحق يأتي مع المسيح (عليه السلام) ، فيدحض الباطل بالحق، وهذه سنن المرسلين أبداً، وسنّة الله تعالى في خلقه ولذلك قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] وفي هذا المقام كابرت اليهود واشتد عنادها، وقالت: هو المسيح الدجال

الذي يأتي في آخر الزمان، ويزعمون أنه ينصر دين موسى (عليه السلام) ويظهر الحق على يده، مع أن ملكهم قد ذهب من نحو ألف سنة إلى اليوم، مع أن نص التوراة أنه يستمر حتى يأتي المسيح (عليه السلام) وهو مكابرة ظاهرة.

السؤال الثامن:

قالت اليهود والنصارى: لو ثبت الأكل والشرب والنكاح في الجنة مع أنها دار الكرامة العظمى والمنزلة العليا التي أبدع الله تعالى فيها حلائل الإحسان ومقامات الامتنان؛ لكانت محل الحاجات وإبداء العورات ومصب القاذورات، وذلك ينافي كمالها ويحرم تمامها، ولذلك فإن كثيراً ممن له أنفة المروءة وأبهة الرياسة يأنف من الأكل بمشهد من الناس، فإن تحريك الأشراق واختلاف اللهوات وطحن الأضراس وارتجاج الرأس عورة ظاهرة ومنقصة بادية، ولذلك يستعد لها الناس في المنازل والخلوات، ويأنفون من وقوعها في الطرقات والجلوات، حتى جعل من جملة قواعد الشرع أن ذلك مخل بالمروءات ومسقط للشهادات، فدل ذلك على أنه من أفحش العورات، وإذا كان في الأكل والشرب؛ فالنكاح أولى لأن فيه انكشاف العورتين وذهاب الحرمتين وارتفاع الحيائين، مضافاً لصب القاذورات من الفروج وما يحصل من الفضلات المستقذرة بسبب الولوج والخروج، ويكفي في نقائض هذه الأمور أنها من خصائص هذه البهائم المبعدة لطور الإنسان عن طور الملائكة، والمدخل في حيز البهيمية، فإن الملك عقل بلا شهوة، والبهائم شهوة بلا عقل، والإنسان عقل وشهوة، فلذلك توسط بين الفريقين وباين بوصفيه كلا الجهتين، فإذا ظهر ما في هذه الأمور من نقص، وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعمة وتمام الكرامة.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن النعيم الجسماني الذي يثبته المسلمون. ليس مفسراً بما ذكرتموه من التشنيع، بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية، وتقرير: أننا نجد في هذه الدار الملاذ الجسمانية تترتب على أسباب عادية، فالملاذ إما علوم خاصة حسية كإدراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايج المناسبة لجواهر النفس البشرية، وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع، وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة للنفس، وكذلك القول في بقية الحواس، وأما إدراك الأحوال النفسانية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاعتداء والإرواء، ونحو ذلك، فهذه هي الملاذ الجسمانية ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم: «هي إدراك الملائم»، فجمعوا الجميع في هذا الحد الشامل، وأما أسبابها العادية فهي المباشرة لأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك.

ثم هذه المباشرة تقترن بها في العادات حاجات للمتناولات وقاذورات تقترن بالمباشرات، فالمسلمون يدعون من هذه الأقسام الثلاثة الأولين فقط دون الثالث، فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات، فيقولون: الأكل والشرب والنكاح في الجنة من غير ألم جوع ولا عطش ولا بصاق ولا مخاط، ولا دمع ولا بول ولا غائط، ولا ريح منتن ولا حيض ولا منى ولا رطوبات مستقذرة، ولا إبداء عورة منقضة، ولا زوال أبهة معتبرة، ولا شيء مما يعاب بنوع نقيصه، بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنْفَس المآكل من غير بصاق ولا تلويث، ولا ألم جوع سابق ولا شيء لاحق، وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشرب عند مباشرة أشرف المشروبات، من غير عطش ولا حاجة سابقة ولا تلويث لاحق ولا شيء يعاب، وكذلك يحصل الجماع بمباشرة أجمل الموطوآت من الحوريات والآدميات، التي كل واحدة منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها وتحيرت عقولهم بكمالها، وبديع حسنها وفائق محاسنها، ورائق تركيبها في جملتها وتفصيلها، مكسوة من الحلي ما أقله خير من ملك الدنيا وما فيها، قد نشأت من السعادة الأبدية، وهيئت للكرامة الإلهية، وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية، ومع ذلك فقد تناسب خُلُقها وخَلْقها وطبعت على الميل من غير نفار، وعلى المحبة من غير أزورار، قد وصلت في محبة المؤمن وتعظيمه والأدب معه وإظهار المسرة به، والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات، وتجاوزت في الحسن والإحسان على أقصى النهايات، وللحسن والإحسان معنى ورونق إذا أمكن الإنسان الجمع بينهما. فنظرة إليها خير من جميع ممالك الأرض، وزورة منها وإليها تنسي مؤلمات يوم العرض، فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب والرونق الغريب، من غير إنزال فضلات، ولا رطوبات مستقذرات، منزه عن جميع الدناءات، بل كل حالة منها في غاية الرتب العليات، وكل جزء من أجزاء حسنها في غاية الشرف والجلالة فلا عورة لها ولا للمؤمن، ولا سوءة فيها ولا فيه؛ لأن العورة إنما تبدت في هذه الدار، لكونها مخرج النجاسات والشعر والنتن والرطوبات، فإذا ذهبت هذه المعيبات المقنصات ذهبت بذهابها العورات، وبقيت المحال شريفة عليه لا ينسب إليها خصلة دنية، وإذا كان هذا هو الذي يعتقده المسلمون من الجمع بين النعيم الروحاني المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة على ممر الأبد والنعيم الجسماني الذي تقدم تحقيقه؛ كان هو اللائق بالكرم الإلهي والإحسان الرباني، فإن الاقتصار على النعيم الروحاني تقصير من قائله في سعة النعمة وتمام الكرامة، وأن ما يقوله المسلمون يجزم العقل الشريف بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام، وأن يكون على غاية التمام، بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها لقال العقل الوافر لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل، وهي أولى بقول الشاعر:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا

فظهر إصابة المسلمين للصواب ببيان الجواب واندفع السؤال.

وثانيها: قال لوقا: «قال يسوع (عليه السلام) إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء ليكون مجازاتك في قيامة الصديقين، فقال من حضر: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله تعالى» فما فهم عنه الحاضرون إلا النعيم الجسماني.

وثالثها: قال جملة الإنجيل: «قال يسوع لتلاميذه: إني ذاهب أعد لكم مائدة في الملكوت لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا على كرسي المجد».

ورابعها: في الإنجيل: «شرب المسيح (عليه السلام) مع تلاميذه عصيراً، وقال: إني لست شارباً من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثاً في ملكوت السموات».

وخامسها: في الإنجيل: «قال المسيح (عليه السلام) إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبي»، فسمى الله تعالى أبا، أي يعامل بالإحسان كما يعامل الوالد، والنصارى إلى اليوم يقولون للقس: «يا أبونا» بهذا المعنى، و﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨] ومرادهم ما ذكرنا.

وسادسها: في الإنجيل قال المسيح (عليه السلام) «طوبى للجياع العطاش فإنهم يشبعون».

وسابعها: في الإنجيل قال المسيح (عليه السلام) لتلاميذه «اعملوا لا للطعام الفاني بل للطعام الباقي في هذه الحياة المؤبدة، لأن ذلك قد ختمه الله تعالى».

فصرح (عليه السلام) بأن في الجنة الأكل والشرب والشبع والتفكه.

وأما الجماع: فقال في الإنجيل: «من ترك زوجة أو بنين أو حقلاً من أجلي فإنه يعطى في الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة» فقد صرح بأنه يعطى في الجنة مائة زوجة ومائة بستان لأن الحقل الكرم، وهذه النصوص كلها حجج على النصارى.

وأما اليهود فمن وجوه.

أحدها: في السفر الأول من التوارة: «أن الله تعالى غرس فردوساً في جنة عدن وأسكنه آدم (عليه السلام) وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم، وتقدم إليه أني قد جعلت جملة شجر الجنة لك مأكلاً، سوى شجرة معرفة الخير والشر، ثم قال الله تعالى لا يحسن أن يبقى آدم وحده، فألقى عليه سباتاً ونزع ضلعاً من أضلاعه ثم أخلف له عوضه لحماً، ثم خلق الله تعالى من ذلك الضلع حواء فتزوجها آدم»، فنصت التوراة على أن المأكولات في الجنة.

وثانيها: في السفر الأول: «قبل أن تخسف بها يشبه فردوس الله تعالى».

وثالثها: في السفر الأول: «أما هابيل الشهيد فإنه يجزى بدل الواحد سبعة»، وهو دليل على المكافأة من جنس العمل، وكان قد قرب من أبكار غنمه فوعده الله تعالى الواحدة بسبع.

ورابعها: في نبوة أشعياء (عليه السلام) «يا معاشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء المورد، ومن ليس له فضة فليذهب يستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن». موافقة لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥].

فقد تضافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسماني وهو كثير في كتبهم ولكنهم قوم لا يعقلون.

تنبيه: كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل، حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن أكثر من ذكر البعث وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وهو كثير.

وخرج البيهقي مجلداً كبيراً فيما أملاه (عليه الصلاة والسلام) من أحوال القيامة[1].

وسبب الإكثار عندنا من ذكره أكثر من بني إسرائيل من وجوه:

أحدها: أن بني إسرائيل كثيفو الطباع، والتخويف بالمؤلمات المستقبلات والترغيب بالمثوبات المستقبلات؛ إنما يؤثر في وافر العقل كثير الحزم متوفر اليقظة، وأما الكثيف الطبع فكالبهم لا يؤثر في زجرها إلا المنخاس المباشر لجلدها، وأما ما يأتي في غد فلا يؤثر في استصلاحها، ولما جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس وافرة الحلوم كثيرة العلوم، شديدة الخشية مراعية للعاقبة، خصها الله تعالى بذكر الأهم من أمر المعاد، ليتوفر عملها لمعادها، ويكثر للقاء الله استعدادها، واقتصر في حق بني إسرائيل بوعدها بعمارة بلادها وصلاح أجسادها، وتنمية أرزاقها وأولادها.

وثانيها: أنهم كانوا عاتين متمردين، والمتمرد إنما يتحدث معه بالزواجر الحاضرة والمؤلمات العاجلة، وهذه الأمة أشرق إيمانها في صدورها إشراق الشموس، وأتت داعي ربها حين ناداها لهداها أتت ماشية على الرؤوس، وقالوا له: اقترح ما شئت فإنا له باذلون، ولسنا نقول: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة:

---

(١) يعني كتاب «البعث والنشور» للحافظ البيهقي.

٢٤](١) فعوملت بالتصريح عن المعنى الصحيح، وأطلعت على أسرار الغيب لأنها لا يعتريها الريب، ولله در الشاعر حيث يقول:

والخل كالماء يبدى لي سرائره   مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وثالثها: إن زمانهم كان أبعد عن القيامة من زماننا، ولم يكونوا يرد عليهم شيء من أشراط الساعة، ونحن قرب زماننا منها ووردت آياتها علينا وهو (عليه السلام) أول علامات الساعة، ثم وردت السنّة بعلاماتها ووقع الكثير منها، ونحن نباشره كما قال (عليه الصلاة والسلام) «تلد الأمة ربتها»، ويتعالى رعاء الشاة في البنيان، وتبيض القبور، وتشيد القصور، ولا يوقر الصغير الكبير، إلى غير ذلك مما وردت السنّة به، فكنا بالحديث في أمر الساعة والإكثار منه أولى منهم.

ورابعها: أنه سبق في علم الله تعالى بعث محمد (عليه الصلاة والسلام) وأنه يجعله أفضل الرسل وآخرهم، فأخّر الله تعالى بسط ذلك ليخصه به، فيكون (عليه السلام) أكثر علماً وإعلاماً، وهداية وإفهاماً، فتكون أمته أكثر فضلاً على الأمم بالعلوم والمناقب، كما فضل مذهبها في شرعها على سائر المذاهب.

إن هذا النبي الكريم أوفر نصيباً من نعيم الآخرة من سائر الأنبياء (عليهم السلام) وكذلك أمته أكثر إتساعاً في الآخرة في النعيم الجسماني والنفساني من سائر الأمم، وهم أكثر أهل النعيم عدداً، كما قال (عليه الصلاة والسلام) «أني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة» (٢) فزادوا على سائر الأمم نعيماً وعدداً.

فكان تخصيصهم ببسط أمر المعاد أنسب من غيرهم، فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق في المحشر من الوقائع وما يكون في القبور قبل ذلك، وما علم منه فإنه علم من أخبار هذه الأمة ولله الحمد، والله تعالى هو المحمود حمداً يليق بجلاله على ما خصنا به من الرسالة المحمدية والكرامات الأبدية والمواهب السرمدية.

السؤال التاسع:

قالت اليهود: من العجائب أن المسلمين يدعون أن التوراة فيها تبديل وتغيير، وأنها

---

(١) ففي يوم بدر قال المقداد للنبي (يا رسول الله، إن لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ۝٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن امض ونحن معك. . ، رواه البخاري في صحيحه (٣٩٥٢، ٤٦٠٩).

(٢) مسند الحميدي (٨٣١)، وانظر: مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٤).

ليست على وضعها المنزل من عند الله تعالى مع أنها منتشرة في المشرق والمغرب وسائر أقطار الأرض، وهي على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تغيير ولا تبديل. وينقلون عن قرآنهم أن فيه أن الله تعالى أخبر عنا أنا نحرف الكلم عن مواضعه، مع أننا ما حرفنا ولا بدلنا وهذه كتبنا تحكم بيننا وبينهم، هل فيها تبديل أم لا؟؟ فكيف يخبرون عنا بما لم يكن وذلك قدح عظيم في حقهم؟؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أن أحبار اليهود يعلمون علماً يقيناً أن هذه التوراة ليست المنزلة على بني إسرائيل بعينها، بسبب أن موسى (عليه السلام) صان التوراة عن بني إسرائيل ومنعها منهم، وخص بها بني عمه أولاد لاوى. وذلك قول التوراة (ويحنتوب موشى آت هنورا هزوت ونبياه الهكواهيم بنى لوى) تفسيره: «وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها لأئمة بني إسرائيل، وكان بنو هارون الأئمة قضاة اليهود وحكامهم»، ولم يبذل موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها أزينو) وهي التي علمها موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل، وذلك قول التوراة (ويحنتوب موشى آت مشيراً هزوت وويا مداه لبنى إسرائيل) تفسيره: «وكتب موسى (عليه السلام) هذه السورة وعلمها بني إسرائيل»، وهذا دليل على أن موسى (عليه السلام) لم يعط بني إسرائيل إلا هذه السورة، ولم يكن بنو إسرائيل يعلمون من بقية التوراة شيئاً، ثم أن الهارونيين الذين خصوا بالتوارة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنّة، بل كان الحفظ فيهم بعضها يقع بطريق الاتفاق، وعلى سبيل الفضيلة كما يحفظ المسلمون التواريخ وغيرها؛ ليكون ذلك لهم فضيلة بين الناس، لا أنهم مأمورون بها شرعاً، فإن كابروا في ذلك نطالبهم بنقل خلافة من التوراة فلا يجدونه.

تم قتل بختنصر الهارونيين على دم يحيى بن زكريا.

وكان أصل هذا أن يحيى بن زكريا (صلوات الله عليهما) أنكر على ملك بني إسرائيل في زمانه زواجه لابنة امرأته، فضرب عنقه ودفن[1] فبقي كلما ردم الدم مع طول الأيام، حتى قدم بختنصر فقال: ما هذا الدم؟، فقيل: أنه يفور كلما ردم، فقال: أنه يقول خذوا بثأري، فقتل من بني إسرائيل عليه سبعين ألفاً، فسكن الدم، فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وعدم كتابهم؛ جمع من محفوظاته ومن الفصول التي كان يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم[2]، وذلك بعد سبعين سنة بعد بختنصر،

---

(١) انظر إغاثة اللهفان [٢/٣٥٨ . ٣٥٩].
(٢) إغاثة اللهفان [٢/٣٥٩].

فلذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة ويزعمون أن التوراة تنزل على قبره إلى الآن فالذي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله تعالى.

وإذا اعتبرت فصولها دلت على أن الذي جمعها رجل جاهل بالصفات الربانية والآداب النبوية على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ولذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم، والندامة على ما مضى من أفعاله، وأنه ندم على الطوفان، وقد أقلع عن مثلها، وما زالت الأمم التي استولت عليهم كالكشدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى، يقصدونهم أشد قصد ويطلبون استئصالهم وخراب بلادهم وحرق كتبهم، حتى جاء الإسلام فوجدهم تحت ذمة الفرس إلا يهود العرب، وأشد من ذلك ملوكهم العصاة الطغاة الإسرائيليون الذين عبدوا الأصنام، وتركوا أحكام التوراة وشرعها الدهر الطويل، ومع تطاول هذه الآفات وتواترها من غيرهم ومنهم، ومنع الأمم لهم لاسيما الفرس منعوهم من الختان والصلاة[1]،لعلمهم أن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى العالم بالخراب سوى بلدهم التي هي أرض كنعان، ولذلك لما رأت اليهود ذلك اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولاً من صلاتهم وسموها بالخزانة. وصاغوا لها ألحاناً. وصاروا يجتمعون أوقات الصلاة على تلحينها وتلاوتها والفرق بين هذه الحزانة وبين الصلاة. أن الصلاة بغير تلحين يتلوها الكاهن وحده، ولا يجوز أن يجهر بالصلاة غيره، والحزانة تشارك في الجهر بها جماعة، فكانت الفرس إذا أنكرت عليهم قالوا: نحن نلحن وننوح على أنفسنا، فكفوا عنهم وعن دبرهم ذهب الفرس، وأقررناهم نحن على أديانهم وهم على الحزانة وقد جعلوها عبادة من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم عوضاً عن الصلاة وهي جملة دبرهم. وتغييرهم لشرعهم[2]. وقيل أن التوراة بالتحريف لما فقدت بالتحريف والتقطيع بعد القتل، أخبرتهم امرأة أن زوجها ترك توراة مكتوبة مدفونة في مكان فنبشوها بعد الدهر الطويل، فأخذوا منها ما تيسر، وتركوا منها ما تعفن وتعسر، فهذا أصل توراتهم كما تراه.

ثم أنهم مع هذا الأصل الواهي الذي لا يوثق بشيء منه، ليس على وجه الأرض منهم بشر يروي التوارة عدلاً عن عدل[3]، بل هي تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات بحيث أن التواريخ الإسلامية خير منها وأوضح بكثير؛ لقرب عهد زمانها، فإن بعد الزمان المفرط يقتضي مزيد عدم الوثوق أكثر، مع أن المسلمين لا يجيزون الاعتماد على التواريخ في شيء من الأحكام ألبتة، وهم يجعلون هذه التلفيقات والتواريخ عمدة لمعادهم وشريعة

---

(١) انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٣٦٦ . ٣٦٧].

(٢) إغاثة اللهفان [٢/ ٣٦٧].

(٣) السابق [٢/ ٣٥٠] فما بعدها.

لخالقهم، ومانعه مما ورد عليهم من الحق وهو غاية الخذلان، فظهر بهذا التقرير أن التوارة التي بأيديهم لا يقطع بها ولا يُظن أن شيئاً منها من عند الله تعالى وهو المطلوب.

وثانيها: أن في التوارة أن داود (عليه السلام) (ممزير) [(١)] وتفسيره عندهم أنه ابن زنا؛ لأنه عندهم أنه ابن نيشاي بن عابد. وأم عابد يقال لها: «روث الموآبة» من بني موآب، وقالوا في موآب: «لما أهلك الله تعالى أمة لوط (عليه السلام) ونجا بابنتيه فقط، توهمت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلاً، فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا لشيخ ولم يبق في الأرض من يأتينا كسبيل البشر، هلمي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه؛ لنستبقي من أبينا نسلاً، ففعلتا، فولدت إحداهما موآب بمعنى أنه من الأب، والثانية سمت ولدها عمون بمعنى أنه من قبيلتها» [(٢)] والولدان عند اليهود أولاد زنا، لأنهما من أب وابنتيه، وداود (عليه السلام) عندهم من هذه الذرية فهو ولد زنا عندهم لعنهم الله فما أجرأهم على أعراض الأنبياء (عليهم السلام)[(٣)]، بل على دمائهم ومثل هذه الحكاية كثير في التوراة يسمونها النجاسات، وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات فكيف يليق نسبته إلى الله تعالى، فيقطع العاقل أن شرب لوط (عليه السلام) الخمر وزناؤه بابنتيه كذب مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وأن الله تعالى شرفهم نسباً وخُلُقاً وسيرة وسريرة بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سبباً للطعن عليه، وهو مقتضي الحكمة، إلا لما صلح جعله رسولاً عن الله تعالى ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه، واهتضامهم لجهته، بل أقل الملوك في الدنيا لا يعتمد مثل هذا، فكيف برب الأرباب؟ ثم تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح امرأتين ثم وطئهما وتحبيلهما معاً في الليلة الواحدة؟، فهذه القصة غارقة في بحر البهتان، قاضية على التوارة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان، وسبب هذه الإفك العداوة التي مازالت بين بني إسرائيل وبين بني عمون وبين بني موآب بعثت الواضع على تلفيق هذا المحال، ليكون عاراً كبيراً في بني عمون وموآب لعنه الله فيما افترى لعناً كثيراً وسبب العداوة أن موسى (عليه السلام) كان قد وضع الأمانة في الهارونيين. ثم استولى الداوديون عليهم، فكان المرتب لهذا التوراة هارونياً فظهر اشتمال التوارة على التغيير والبهتان وهو المطلوب.

---

(١) في إغاثة اللهفان قال ابن القيم أن المقصود بهذه الكلمة هو أن المسلمين أولاد زنا. هكذا في زعم اليهود وزعموا أن عبد الله بن سلام وضع في دين الإسلام عامداً متعمداً ما يجعل أبناء المسلمين أولاد زنا، لأن شرع اليهود يقول بأن الزوج إذا راجع زوجته بعد أن نكحت غيره فأولادهما أولاد زنا [إغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٤].

(٢) انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٣٤٢ . ٣٤٣].

(٣) السابق [٢/ ٣٤١] فما بعدها.

وثالثها: في التوارة: قال الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام) «لقد وصل إلى إثم سدروم وعامور، فقلت أنزل الآن فانظر هل منعوا وأثموا كما بلغني وإلا عرفت ذلك»، وفي هذا الكلام نسبة الباري تعالى إلى عدم العلم بالمغيبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق، وأنهم متهمون عند الله تعالى.

ورابعها: في التوارة أن إبراهيم (عليه السلام) أطعم الملائكة خبزاً، وصنع لهم عجلاً سميناً، وسقاهم لبناً وسمناً، وأن لوطاً (عليه السلام) أطعمهم فطيراً مع أن أهل الكتاب ينكرون قول المسلمين بالنعيم الجسماني، ويقولون: لا طعام في الجنة ولا شراب ولا نكاح. بل حال أهل الجنة كحال الملائكة. لا يأكلون ولا يشربون وهذه غفلة عظيمة، فإن كان هذا صحيحاً فإنكارهم على المسلمين باطل، وإن كان باطلاً فتكون التوراة مشتملة على الباطل، فهي مشتملة على الباطل على كل تقدير، مع أننا نقطع أن الملائكة صلوات الله عليهم لم يأكلوا عندهما شيئاً؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: ٧٠].

وخامسها: في التوراة: «جمع إسرائيل (عليه السلام) بين أختين في عصمته، وهما آليا وراحيل ابنتا لابان»، والجمع بين الأختين حرام بنص التوراة، وهم لا يعترفون بالنسخ، فيكون هذا كذباً على إسرائيل (عليه السلام) لأنه معصوم ونبي مكرم، يجل عن الوطء الحرام وهو دليل اشتمال توراتهم على الكذب والبهتان وهو المطلوب.

وسادسها: في السفر الأول من التوراة: «أن الله تعالى لما رأى معاصي بني آدم قد كثرت على الأرض قال: لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل الطوفان فأباد ما على الأرض من الحيوان، وأنه لما فعل ذلك ندم أيضاً، قال لا أعود أفعل ذلك». وهو كلام يقتضي أن الله تعالى لا يعلم ما سيكون، وأنه تعتريه صفات البشرية من الندم والبدأ والأسف، ومن العجب أنهم ينكرون النسخ لئلا يلزم البدأ، وهم يعتقدون البدأ والندم، فما أدرى أي الأمرين أعجب؟!، ثم في هذا الكلام: الندم والندم على الندم، وهو لو فعله وإلى ضيعة لاستحق العزل، فكيف يليق نسبته إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى عن قول هذه الطائفة الملعونة؟، وذلك أبلغ دليل على اشتمال توراتهم على الكذب والجهل والكفر فضلاً عن التبديل والتغيير.

وسابعها: في التوراة: «إن نوحاً (عليه السلام) نام في خيمته فكشفت الريح عورته، فضحك منه ابنه حام، فدعا عليه وعلى عقبه»، فأين هذا الخُلق الذميم والطبع السقيم والعقوبة العظيمة على من جنَّ وعلى من لم يجن على جناية صغيرة من خلق العقلاء؟ فضلاً عن الأنبياء؟، وهل هذا إلا من تُرَّهات العوام، وخرافات العجائز اتخذته اليهود كتاباً

مقدساً يقرأ، وجعلوه أنزل من عند الله تعالى كلا والله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وجلت رسله ورسائله عن هذا الافتراء علواً كثيراً.

وثامنها: في التوراة: «إن روبيل بكر يعقوب (عليه السلام) زنا بسرية أبيه يعقوب (عليه السلام) وافترشها فلما حضرت يعقوب الوفاة قرعه وعيره بين إخوته، وقال له: نجست فراشي وامتهنته وليس أعطيك السهم الزائد»، وكان من سنة إبراهيم (عليه السلام) توريث البكر سهمين وغيره سهماً، فأي حكمة في ذكر هذه القبائح في التوراة يعبر بها سبط عظيم؟ ومآثر الآباء مفاخر الأبناء، ثم فيه من التناقض أن في التوراة أن إبراهيم (عليه السلام) وَرَّث ماله ولده إسحاق وحرم إسماعيل، مع أن في هذا الفصل أنه كان يورث البكر سهمين وغيره سهماً وهي غفلة من اليهود، وجهالة بكتب الله تعالى وما دخلها من التبديل والتغيير، وأنتم معاشر المسلمين تعلمون أن سيد المرسلين محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب (صلوات الله عليه) قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1]، فأخبر عن جميع الأنبياء (عليهم السلام) أنهم لا يورثون، وهؤلاء يخبرون في توراتهم أنهم يورثون، فيكون خبر المعصوم مقدماً على خبرهم، وإخباراً عن تبديل هذا الموضع وهم المطلوب.

وتاسعها: في التوراة: «أن يهوذا بن يعقوب (عليه السلام) زنا بكنته ناموز[2] ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه وصار شهرة في بنى إسرائيل»، مع أن في التوراة أنه كان حظياً عند أبيه، ودعا له بتخليد الملك والنبوة في قبه، فلا نبوة يهوذ صانوها عما يليق بأدنى السفلة من الفحشة وسوء السمعة لا دعاء يعقوب عليه السلام صانوه عن عدم الإجابة، بل أعقبوه بالعار والفضيحة، وذلك كله ينافيه ما للأنبياء عليهم السلام من العصمة بل ما وجب لهم من صون الله تعالى لهم في جميع أحوالهم، وعلو هممهم عما يوجب وصمهم واحتكارهم في نفوس شيعهم وأممهم، وذلك دليل التبديل والافتراء والكذب والبهتان على الله تعالى وعلى خاصته صلوات الله عليهم أجمعين.

وعاشرها: في التورة: «أن دينا ابنة يعقوب عليه السلام خرجت فرآها مشرك. وهو سجم بن حمور رئيس القرية فافترشها، وأنزل العار بيعقوب عليه السلام فوصل أبوه حمور إلى يعقوب عليه السلام وآمن والتزم الأحكام هو وأهل القرية، وأن بني يعقوب قالوا لأهل القرية: إن أحييتم سنتنا وديننا، فختتنوا لنصير شعباً واحداً، ومكروا بهم، فلما اختتن كل أهل القرية دخلوا عليه بالسلاح وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم فقتلوهم أجمعين،

---

(١) البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) عن مالك بن أوس.

(٢) في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤). أن اسمها: «تامار».

وأخذوا أموالهم وحريمهم ولما علم يعقوب عليه السلام بالقصة هرب ليلاً على جمل خوفاً، وترك البلاد». فحكموا على الأنبياء أولاد يعقوب عليه السلام بأنهم قتلوا المؤمنين ومن لم يؤذهم لسبب من الأسباب، وانتهبوا الأموال والحريم بعد صدور الإسلام منهم والإنابة إلى الله تعالى المقتضين لحسن المعاملة وبسط الإحسان، وهذه أمور لا تليق بأدنى السفلة من ذوي المروءات فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام مع أن هذه الأشياء ينقلونها على سبيل نقل التواريخ يسمونها النجاسات، لا أن الله أوحى بذلك إلى موسى عليه السلام، فأي صواب في نقل النجاسات الكاذبة والفضائح المستمرة على مر الأيام؟، لا سيما في حق الأنبياء عليهم السلام وإذ استهانوا بالتوراة إلى هذه الغاية فأي وثوق يبقى بما فيها، بل أقل التواريخ الإسلامية أثبت لقرب زمانه.

وحادي عشرها: في التورة قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: «**إن ذريتك ستستعبد بمصر أربعمائة سنة**»، وقال مؤرخهم: لم يمكثوا إلا مائتين وثلاثين سنة والخلف على الله تعالى محال، فهم وكتبهم الكاذبون.

وثاني عشرها: في التوراة في نسخة منها: «أن آدم عليه السلام عاش مائة سنة وثلاثين سنة، ثم ولد على شبهه ولداً، فسماه شيثا». وفي نسخة أخرى: «لم يرزق شيثاً إلا بعد مائة وخمسين سنة، وعاش بعد ولادته ثمانمائة سنة، فكان جميع عمره تسعمائة سنة وثلاثين سنة». وفي نسخة: «ألف وثلاثون سنة، ثم عاش شيث مائة وخمسين سنة، فولد أنوش، وعاش بعد ولادة أنوش تسعمائة واثني عشر سنة». وفي نسخة أخرى: «تعسمائة وسبع سنين»، واستمر هذا التكاذب والتناقض في مشاهير أولاد آدم عليه السلام ولا تكاد نسخة توافق أخرى، وإذا كان هذا تحريفهم وتبديلهم وتهاونهم فيما لا غرض لهم فيه من أعمار الأنبياء عليهم السلام، وفضائح أسلافهم ومعظمي رسلهم، فكيف يكون حالهم في كذبهم على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وما يتعلق لهم به غرض، ولنقتصر على هذا القدر من أمرهم، فهو أمر يملأ الصحف وتصدأ به الأسماع والقلوب، وإنما القصد بيان كذبهم في قولهم أن التوراة في غاية الضبط والتحرير وأنها سالمة من الكذب والتحريف، وقد ظهر ما هي عليه من دم النظام.

وثالث عشرها: في آخر السفر الخامس: «أن موسى عليه السلام توفي في أرض موآب، ودفن في الوادي في أرض موآب، بإزاء بيت فغورا، ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم، وكان قد أتى على موسى عليه السلام إذ توفي مائة وعشرون سنة، ولم يضعف بصره ولم يتشنج وجهه، وبكى بنو إسرائيل على موسى عليه السلام ثثين يوماً في غريب موآب، فلما تمت أيام حزنهم على موسى عليه السلام امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة لأن موسى عليه السلام كان قد وضع يده على رأسه في حياته، وكان بنو إسرائيل يطيعونه

ويملون كما أخبر الرب موسى»، هذا آخر كلام التوراة، وهو تاريخ حدث بعد موسى عليه السلام **بالضرورة**، فهو من غير المنزل قطعاً، بل هو كلام القائل، ولم يعرف إنسان موضع القبر إلى اليوم الذي كتب فيه هذا التاريخ، ولا يعترفون بأن التوراة زيد فيها ما ليس فيها؛ بل الجميع عندهم كلام الله تعالى وهو جهل عظيم منهم، وإذا زيد فيها مثل هذا أمكن أن يقال: أن تلك الحكايات الركيكة زيدت بالأهوية والأغراض وليست منزلة من عند الله تعالى بل يسقط الاحتجاج بجميع التوراة؛ لأن باب **الزيادة** والنقصان قد انفتح فلا يوثق بشيء بعد ذلك ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون مما زيد وهو محرم، كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة يحرم الجميع، والذي يغلب على الظن أن السفر الأول الذي هو سفر البدء والأنساب زِيد بجملته وهم لا يشعرون.

الرابع عشر: أنه قد تكرر في التوراة: «وكلم الرب موسى، وقال له: اقبض حساب بني إسرائيل، وكلم الرب موسى وقال: كلم بني إسرائيل» وهذه العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى ولا من كلام موسى عليه السلام بل حكايات من قول الغير لمعنى وقع، ولعل هذ الحاكي أخل باللفظ والمعنى، أو بالمعنى وحده، ولم يثبت عندنا عدالته ولا معرفته، بل لعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير، فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا يجوز الاعتماد على شيء منها، وأنها مغيرة قطعاً.

الخامس عشر: أن اليهود تعترف بأن سبعين كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة بعد المسيح عليه السلام في زمن القياصر، ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله تعالى كفر، وتحريفه لا يوثق به فيما يدعي أنه كتاب الله تعالى إذ لعله مما حرفه، والكوهن: هو المتقدم في أصول ديانتهم وصاحب هيكلهم ولا يكون إلا من ولد هارون عليه السلام واتفق اليهود على أن التوراة ما كانت توجد إلا عند الكوهان وحده فإذا كان هذا ثناؤهم الجميل فعلى من يحصل التعويل؟؟ بل يجزم العقل بوقوع التغيير والتبديل.

السادس عشر: طائفة من اليهود يقال لهم السامرية، اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفاً شديداً، والسامرية يدون عليهم مثل ذلك التحريف، ولعل الفريقين صادقان، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به من تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود؟! فكفونا بأنفسهم عن أنفسهم، وكذلك النصارى أيضاً يدون على اليهود أنهم حرفوا في التوراة والتواريخ، ونقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألفاً ونحو المائتين سنة، حتى تنازعوا في زمن ظهور المسيح عليه السلام وتقدموه، وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بد.تحريف. التوراة إلا معاند متعسف.

فإن قالوا: فقد كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام والأنبياء عليهم السلام معصومون عن الباطل، وهذا يبطل جميع ما يذكره

المسلمون، فإنهم وافقونا على حكم النبيين بها؛ لقول القرآن: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قلنا الجواب من وجهين:

أحدهما: لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

ثانيهما: نسلم أن كل شيء حكموا به هو صحيح، فلم قلتم أنهم حكموا بجملتها؟ ثم الذي حكموا به غير معين فسقط الاستدلال بالجميع ولا يفيدكم حكمهم شيئاً، ثم أن التغيير لم يعين له زمان فلعله كله وقع بعد النبيين، حتى وبعد المسيح عليه السلام.

السابع عشر: في التوراة. في سفر ملاحيم «أن داود عليه السلام اطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها، فعشقها وبعث إليها فحبسها أياماً حتى حملت ثم ردها، وكان زوجها يسمى أوريا غائباً في العسكر، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت به إلى داود عليه السلام فبعث داود عليه السلام إلى أدوناب بن صور قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا، فجاءه، فصنع له طاماً وخمراً حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها فينسب الحمل إليه ففهم أوريا ذلك، فتجانب ولم يمش إلى أهله، فلما يئس داود عليه السلام منه رده إلى العسكر وكتب إلى القائد أن يصدر به القتال مستقتلاً له، فقتل أوريا وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف، ففزع القائد من داود عليه السلام لقتل العدد العظيم، وقال للرسول: إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ورأيته قد غضب؛ فقل له سريعاً: إن أوريا قد قتل فيهم، ففعل الرسول وسكن داود عليه السلام بعد الغضب، وسر بموت أوريا، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين»، فانظر هذه الفواحش العديدة المنكرة والصفات المستقذرة، هل تليق بأولى الديانات فكيف بمعدن النبوات؟، وهل يحسن ذكرا من ذوي المروءات. فكيف يوحى بها إله الأرض والسموات؟، فلعنهم الله لعناً دائماً أبداً، ما أجرأهم على الله تعالى وعلى رسله، ولمَ لمْ يكن في التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها، وأنها لُفِقّتْ بالأهوية والأغراض.

الثامن عشر: في التوراة في سفر ملاحيم «أن سليمان بن داود صلوات الله عليهم ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر!!، كذبوا، قاتلهم الله أنى يؤفكون. وصدق الله العظيم وكتابه الكريم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلعنة الله ولعنة الملائكة أجمعين عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين.

ثم هذه الحكايات القبيحة والأكاذيب الشنيعة التي في التوراة تبطل من أن التوراة بما فيها من الثناء العظيم على هؤلاء الرسل الكرام ثناء يتعذر معه مقاربة هذه الأمور، فضلاً

عن ملابستها، وإذا أمعنت النظر في الفصلين جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات، وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات، ولنقتصر على هذا القدر من كذبهم، لأنه أمر يملأ الصحف وتصدأ به الأسمع والقلوب، وإنما القصد بيان كذبهم في قولهم: «إن التوراة في غاية الضبط والتحرير سالمة من الكذب والتحريف»، وقد ظهر ما هي عليه من عدم النظام، واشتمالها على ما يقطع بكذبه في حق الله تعالى وفي حق أنبيائه عليهم السلام.

السؤال العاشر:

قال الفريقان الملعونان اليهود والنصارى: «إن دين المسلمين في غاية الضعف، وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة والإخافة وسلب الذراري والأموال، ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر في دينهم حق».

والجواب من وجوه:

أحده: يختص بالنصارى وهو أن الإنجيل بين أيديهم ناطق مصرح بالمسالمة والتزام التواضع والمذلة، وهو: مَن ضَرَبَ خَدَّك حَوِّل الخد الآخر، ومن سامك نوعاً من الهوان فلا تنازعه، وأن يبتعدوا من القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة، وهذا نص الإنجيل: «قال المسيح عليه السلام: سمعتم ما قيل: العين بالعين والسن بالسن، ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك، ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه، وسمعتم ما قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك، وإنما أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا على من يطردكم ويخزيكم، لكي تكونوا بني أبيكم، كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل»، ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالباً وحرصاً على القتل والقتال وبسط الأيدي بالأذى في أقطار الأرض، بسلب النفوس والأموال مستبيحين لذلك، يعتقدونه من أعظم القربات وأوثق أسباب السعادات مع تحريم إنجيلهم عليهم ذلك، وإيجاب التزام الاستسلام لأعدائهم، ومن استحل حرمات الله تعالى فهو أشد الناس كفراً بالله تعالى وكتبه وأحكامه، وأما نحن وكتابنا فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره، وهم كفرته وأعداؤه، وكتابنا أوجب علينا القتال ونص على أنه من أعظم القربات وأتم أسباب السعادات.

وثانيها: أن المسيحي وغيره من مؤرخيهم نقلوا أن ابتداء دينهم إنما كان بسبب القتال مع اليهود، وأنهم كانوا يحرقونهم بالنيران، ويغرقونهم في السفن في البحار وعملوا في اليهود كل نوع من أنواع الأذى، ولولا ذلك لم يبق لهم اليهود أثراً، فإن الدولة كانت لهم، وقد قتلوا إلٰههم على زعمهم ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حواري وسبعين معارف هاربين خائفين ولو ظهر منهم أحد لقتل شر قتلة، فلو التزموا شريعتهم من المسالمة لم تقم لهم قائمة، ولم يبق منهم باقية، لكن أقاموا دينهم برفض معالمه، ونصروه بمحو

آثاره، والتزموا القتل والعسف ومع ذلك فلم ينص دينهم بذلك، حتى أضافوا لدينهم أنواعاً من الشعبذة والمخاريق وضروباً من التخيل للعوام والملوك، كبكاء الصور الجمادية عند قراءة الإنجيل وتعليق الأصنام والصلبان في هياكل الكنائس بحجارة المغناطيس في الهواء من غير شيء يمسكها، إلى غير ذلك مما تقدم في أول الكتاب من ترهاتهم التي يمشون بها دينهم فسؤالهم ينعكس عليهم، بل هو خاص بهم لأنه على خلاف كتبهم، وأما نحن فممتثلون لأمر الله تعالى ناصرون لدينه، قائمون بحقه في أرضه على خلقه، سعداء شهداء، أولياء أعزاء، نناظر بالمعجزات الباهرة والبراهين القاطعة، فندعو إلى مكارم الأخلاق وننهي عن لئامها، فمن اهتدى إليها ظفر بالسعادة وحاز أسباب السيادة، ومن أعرض عنها كان جديراً بالصغار والذل والعار، لا نحتاج إلى التتميم بالمحال، ولا نعتمد في الأقوال والأفعال إلا ما يثبت نقله عن ذي الجلال، ولا ندعو إلى عبادة الرجال ولا ربات الحجال، ولا نعبد من أوردته اليهود بأنواع النكال، فأين السماء من الأهد؟، وأين الدخان من العسجد؟، وأين الشموس من الظلمات؟، وأين القوي من المستجلد، لقد أشرق الحق في ديننا كما غاب عنهم إلى الموعد.

وثالثها: أن الكتب التي بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء عليهم السلام مع طوائف من الطاغية، كداود عليه السلام مع جالوت، وسليمان مع طوائف من أهل الكفر، ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم، وإذا كان القتال سنة الله تعالى وعادته لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنّة سالكون وبها عاملون، فتكون من مناقبنا لا من مثالبنا، ومن حسناتنا لا من سيئاتنا، بل الأمر بالعكس كما تقدم.

السؤال الحادي عشر:

قالت النصارى: القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر علينا، بيانه: أن فيه أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليماً، وأجمعت الملل على أنه كلمه بصوت، فنقول: هذا الصوت يستحيل أن يقوم به؛ لأنه تعالى ليس بجسم فيكون قائماً بشجرة العليق بوادي المقدس، وتكون الشجرة هي المتكلمة، وقد قالت: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤] وقالت أيضاً: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: ٤٣]، وقال موسى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]، فخاطبت بأنها الله تعالى وخاطبها موسى بأنها الله تعالى ولولا الاتحاد بين ذت الله تعالى وذات الشجرة لما صح الكلام ولا جوابه، ولا قول الملك أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليماً، بل إنما كلمته الشجرة حينئذ، وإذا صح الاتحاد بالشجرة صح بذات عيسى عليه السلام وصح لنا أن نخاطبه بأنه الرب؛ وبأنه الله تعالى اقتداء بموسى عليه السلام فنحن على الحق حينئذ، والمسلمون غالطون في تكفيرنا بذلك.

وهذا السؤال اعتمد عيه «تمشقين» زعيم القسيسين بطليطلة ورسمه في كتاب سماه «مصحف العالم»، وكان مرجع النصرانية إليه في العلم والفضيلة.

ثم جاء ابن الفحار اليهودي فتنصر ورأس عند ملوك الإفرنج بالوزارة وغيرها بسبب فضيلته على زعمهم وكتب بهذا السؤال إلى علماء قرطبة، وكان سؤالهم الذي عليه يعولون، وبه يضولون.

والجواب: أما قوله: «إن الملل متفقة على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت»؛ فكذب وفجر والتقم بفيه الحجر، إذ لم يقع في ذلك اتفاق؛ بل جمهور المسلمين على أن الله تعالى لم يكلم موسى عليه السلام بصوت، بل أسمعه كلامه النفساني القائم بذاته من غير حرف ولا صوت، وإذا لم يكلمه الله تعالى بصوت بطل السؤال من أصله فإنه باه على هذه المقدمة وسأبين كيف يتصور إسماع الكلام النفسي بغير حرف لا صوت، فإذا لم يكلمه تعالى بصوت، وأما القائلون بأنه كلمه بصوت فقالوا: خلق الأصوات والكلام في شجرة دالة على ما قام بذاته تعالى وكانت الشجرة مبلغة عن الله تعالى كما تبلغ الملائكة من غير اتحاد ولا حلول وكما يحسن أن يقال: إن الله تعالى خاطب موسى على لسان الملك، ويقال هو كلام الله، فكذلك الشجرة الأصوات فيا مبلغة عن الله تعالى والمتكلم في الحقيقة هو الله تعالى والوسائط من الملائكة وغيرها؛ لا يمنع كون ذلك كلام الله تعالى بهذا التفسير، ولذلك أجمعت الملل على أن الكتب التي بلغتها ألملائكة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها كلام الله تعالى وإن كانت تلك الأصوات وتلك اللغات بالعبرانية وغيرها، لم تقم بذات الله تعالى لاستحالة قيام الحوادث بذته تعالى هذا على القول بأن الذي سمعه موسى عليه السلام صوت وهو ليس بصحيح، وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين، وأما على الصحيح وهو: أنه عليه السلام إنما سمع الكلام النفسي الذي هو صفة ذت الله تعالى القائم به من غير حرف ولا صوت.

ومعناه يتبين بقواعد:

١ ـ **منها**: أن كل عاقل يجد في نفسه الأمر والنهي والخبر عن كون الواحد نصف الاثنين، وعن حدوث العالم وغير ذلك، ثم أنه يعبر عن ذلك تارة بالعربية وتارة بالعبرانية وتارة بالفارسية؛ فتختلف العبارات وهو واحد لا يختلف في نفس المعبر، فذلك الذي لا يختلف هو الكلام النفسي، والمختلف هو الكلام اللساني، والأول هو الذي ندعي أن الله تعالى متصف به وأقمنا البراهين على ذلك في «علم أصول الدين»[1].

---

(١) يعني كتابه «شرح الأربعين في أصول الدين» للفخر الرازي.

٢ ـ ومنها: أن علم الحواس أجلىٰ من علم النفس، بدليل أن من فتح بصره فرأى زيداً ثم أغمض عينه فإنه يقطع بوجوده حالة التغميض كما يقطع بوجوده حالة فتح البصر، ونحن نقطع بأن القطع الحاصل حالة فتح البصر أجلى وأقوى من القطع الحاصل حالة التغميض، وكذلك سائر الحواس، وإذا تكرر هذا ظهر أن إدراك الحواس علم خاص أجلى من مطلق العلم، وهو ممكن الوجود، والقدرة الربانية يمكن إيجادها لكل ممكن، فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص الذي هو السمع في نفس موسى عليه السلام متعلقاً بصفات الكلام القام بذات الله تعالى فهذا هو سماع موسى عليه السلام لكلام الله تعالى النفسي وبه باين من يعلم هذه الصفة ولم يسمعها؛ لأن من يعلم قيام كلام الله تعالى بذاته منا إنما يعلمه بأصل العلم العام، وأما هذا العلم الخاص الجلي فلم يحصل لنا، وسمي الخاص سماعاً لأن إدراكات الحواس الخمس إنما هي علوم خاصة أخص من مطلق العلم، فإذا وجد هذ العلم الخاص سمي باسمه الموضوع له في اللغة، فليس من شرط علوم الحواس أن تكون بالأعضاء المخصوصة؛ لأن الأعضاء المخصوصة أجسام وجواهر، والأجسام والجواهر متماثلة، وكل ما جاز على أحد المثيلين جاز على الآخر، فكما جاز أن يخلق عالم السماع في الأذن، جاز أن يخلق في سائر جهات البدن وفي جاهر النفس، كما اتفق لموسى عليه السلام ومما يقرب هذا المطلب على العقل: أن الإنسان يقطع بأن الناس يتحدثون في أنفسهم فهو مطلع على كلامهم النفسي وقاطع به، وهو مطلع أيضاً على ما قام بنفسه من الأحاديث، ويجد من نفسه علماً ضرورياً أن علمه بأحوال نفسه من الأحاديث وغيرها أجلى من علمه بأحوال نفس غيره، وإن اشترك الجميع في القطع، فقد وجدنا القطع الجلي المتعلق بالكلام النفسي موجوداً فينا وإذا وجدناه واقعاً فينا أمكن وقوعه متعلقاً بكلام الله تعالى والموجب لعدول أهل الحق عن سماع موسى عليه السلام للكلام الصوتي، إلى أنه سمع الكلام النفسي قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فجعل بعض النبيين كلمهم الله دون البعض مع اشتراك الجميع، بل هم والمؤمنين والمشركون في سماع الكلام الصوتي من التوراة وغيرها سواء، فلولا اختصاص البعض بسماع الكلام النفسي لما حسن ذكر لفظه: ﴿مَّن﴾ المقتضية للتبعيض وموسى عليه السلام من أجَلِّهم، فهو أولى بأن يخصص بسماع الكلام النفسي لا سيما وقد أكد الله تعالى كلامه بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] والمصادر تأكيد وتقوية للمذكور، فيتعين أن يكون المراد الكلام النفسي دون الصوتي.

فإن قلت: إذا كان المسموع هو الكلام النفسي، فلأي شيء قال الله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] فقد حصل ابتداء غاية الكلام من الشجرة ومن الوادي، والقائم بذات الله تعالى لا يكون ابتداؤه من شيء من المحدثات إنما يستقيم ذلك في الصوتي؟؟

قلت: هذا سؤال قوي؛ وجوابه جليل شريف وهو: أن الغاية التي ذكرت بلفظة: ﴿مِن﴾، كما يتصور أن تكون غاية للنداء يتصور أن تكون غاية للمنادي باعتبار حال مقدرة له؛ وتقريره: أنا إذا نادينا زيداً وهو قريب من شجرة ونحن بعيدون عنها؛ لا ينسب إليا صدق قولنا: «نادينا زيداً من الشجرة»، بمعنى: ناديناه قريباً من الشجرة، فهي غاية لقربه منها، لا لنا ولا لندائنا، وهذا مثالنا في غاية الظهور، فكذلك موسى عليه السلام ناداه الله تعالى بالكلام النفسي، وهو قريب من شاطىء الوادي وقريب من الشجرة، فيكون العامل في هذا المجرور الحال المقدرة لموسى عليه السلام دون النداء، أو نقول: «المباركة»: اسم مشتق يصلح للعمل فيكون الغاية له، أي ابتداء البقعة المباركة من الشجرة ومن شاطىء الوادي ويتعين هذا دون النداء؛ لما ذكرناه من الأدلة الدالة على أن المسموع هو الكلام النفسي دون الصوتي من التخصيص بـ ﴿مِن﴾ والتأكيد بالمصدر، كما جاز أن يبصرنا الله وهو ليس في جهة وبغير جارحة، ونراه نحن وهو ليس في جهة، ونقطع بوجوده وليس هو داخل العالم ولا خارج العالم ولا جسم له، جاز أن يسمع كلاماً ليس بصوت.

السؤال الثاني عشر:

قال النصارى: دل القرآن على الاتحاد والمسلمون ينكرون ذلك.

بيانه: أنه لما ذكر الله تعالى يحيى عليه السلام قال في حقه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٥] ولما ذكر عيسى عليه السلام قال في حقه: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [مريم: ٣٣] فاتحد المُسَلِّم والمسلَّم عليه في حق عيسى عليه السلام لأجل ما اختص به من الاتحاد، ولما لم يحصل الاتحاد ليحيى عليه السلام سلم الله تعالى عليه بصيغة التعدد، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ [مريم: ١٥] ، وهذا نص جلي في الاتحاد في حق عيسى عليه السلام دون غيره، ولا يحتاج معه إلى غيره، مع أن المسلمين ينكرون ذلك في حق عيسى عليه السلام وهو في كتابهم.

والجواب:

أن هذا اغترار بما لا طائل تحته؛ لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول في حق نفسه: الرضوان والسلام والرحمة على سبيل الدعاء إن لم يعلم وقوع ذلك له، أو على سبيل الخبر إن علم وقوع ذلك له مع القطع بعدم اتحاد شيء بذاته؛ بل لأن اللفظ العربي يقتضي ذلك، وأي غريب في قول عيسى عليه السلام ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ أي من الله تعالى كما يقول: **«صلوات الله عليه ورضوان الله عليّ وفضله ونعمته»**، بل تسليم الله تعالى على يحيى عليه السلام أفضل من قول عيسى عليه السلام ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾، لأن خبر الله تعالى

عن يحيى عليه السلام وحصول السلامة له واقع قطعاً، وخبر الله تعالى صدق وكلام عيسى عليه السلام دعاء، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة، واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع، وأخبار الله تعالى عن العبد أفضل من إخبار العبد عن العبد، لمزيد شرف الربوبية على العبودية. فظهر أن متمسكاتهم أوهام وأضغاث أحلام.

السؤال الثالث عشر:

قالوا: المسلمون ليسوا على ثقة مما بأيديهم من القرآن، وهم يعتقدون أنه لا خلل فيه، وبيانه أن عبد الله بن مسعود كان رضي الله عنه من أجل الصحابة حتى قال فيه عليه الصلاة والسلام: «**رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد**»[1]، وقد خالفهم في القرآن وخالفوه حتى أوجعه عثمان رضي الله عنه ضرباً، ولو كان القرآن مقطوعاً به لما وقع فيه الخلاف بين الصحابة وهم حديثو العهد بالنبي ﷺ لأن القطع يمنع وقوع الخلاف، كما لا يختلف العقلاء في وجود بغداد، ولا في أن الواحد نصف الاثنين، وإذا لم يحصل للصحابة رضي الله عنهم القطع لم يحصل لغيرهم بطريق الأولى؛ لأنهم أصل لغيرهم والفرع لا يكون أقوى من الأصل، وقد أثبت ابن مسعود رضي الله عنه ما نفاه غيره من القراءات الشاذة وأثبتوا هم ما نفاه هو وهو المعوذتان فكان عبد الله ينفيهما[2]، وإذا وقع مثل هذا الاختلاف العظيم نفياً وإثباتاً اختلت الثقة بجملة القرآن.

الجواب:

أن هذا سؤال أورده بعض المرتدة عن الإسلام بعد أن أسلم، وكان يعتقد أنه من الأسئلة العظيمة والمثالب الفاحشة، وليس الأمر كما ظنه، بل أضله الله تعالى على علم، فنظر بعين البغضاء وتكلم بلسان الشحناء، فران على قلبه هواه فلم يتميز له صوابه من خطاه، والذي اتفق بين الصحابة رضوان الله عليهم ليس لأن القرآن غير معلوم عندهم بل هو معلوم متواتر خلفاً وسلفاً؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وإنما اختلفوا رضي الله عنهم في أن ابن مسعود كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره نحو قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: ٨٩] كان يقرؤها متتابعات، وغير ذلك مما كان رضي الله عنه يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التي نازعوه فيا حرصاً منه على بيان معناه، فكانوا هم يحرصون على

---

(١) انظر مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٠).
(٢) انظر كتاب الاتقان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩)، تفسير الحافظ ابن كثير [٤/ ٥٧١]. فما بعدها.

أن لا يضاف للقرآن غيره؛ حذراً مما اتفق لأهل الكتاب في كتابهم ففسر حالهم وكان الصواب معهم رضي الله عنهم فميزوا كلام الله تعالى من غيره، ولم يخلطوه بسواه فسلم عن الغلط والزلل، وهذا هو الحزم الذي وفق الله تعالى له هذه الأمة، ولذلك أجمعوا فيما أعلم أنه لا يجوز أن يكتب فواتح السور[1] بالمداد بل بصبغ آخر حذراً من أن يعتقد أنها من القرآن، وهذا غاية العناية من الله تعالى بهذه الأمة، وهو المحمود المشكور على نعمه السابقة، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فهذا هو القراءات الشاذة ومنها القراءات بالمعنى نحو القراءة في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] بدلاً من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] فرفض ذلك غاية الرفض، حرصاً على نفس اللفظ وإبعاداً لذرائع التغيير والتبديل، فهذا من أفضل محاسن هذه الأمة لا من مساويها، ومن فضائلها لا من رذائلها، وأما المعوذتان فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن ليقرأهما الجُنُبُ وغيره للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيها الطهارة من القرآن عما لا يشترط، فهذا وجه اجتهاده رضي الله عنه ورأى الصحابة رضي الله عنهم أن إفراد شيء من القرآن عن القرآن ذريعة ووسيلة إلى إسقاط بعض القرآن، فمنعوا منه وكان الحزم معهم رضي الله عنهم فظهر حينئذ أن السؤال سراب والجاهل يعتقد أنه صواب، فبنى على منواله في الضلال وقنع بزخارف الأقوال، وسيعلم إذا انكشف الغبار أفرساً ركب أم حماراً؟؟

السؤال الرابع عشر:

قالوا: «المسلمون على ضلال في دينهم بنص نبيهم وهم لا يشعرون.

بيانه: أن في الأحاديث الصحيحة عندهم باتفاقهم أن نبيهم قال لهم عند موته: «هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فمنعهم عمر من ذلك؛ وقال: حسبا كتاب ربنا[2]، وإذا قال النبي الصادق إن الكتاب الذي يكتبه سبب عدم الضلال وما كتبه فيكون. سبب عدم الضلال لم يوجد؛ فينتفي مسببه وهو عدم الضلال، فيكون الواقع هو ضلالهم جزماً، بشهادة نبيهم التي لا يمكنهم ردها.

والجواب:

أن إيراد هذا السؤال يقضي على مورده بعدم فهم لسان العرب؛ لأن قوله عليه الصلاة والسلام: **«لن تضلوا معه»** لا يقتضي أن الضلال المنفي بسببه يجب أن يكون في عقائد الدين ولا في قواعد المسلمين، بل ذلك يصدق بأدنى مسألة من الفروع، ولم يصرح عليه

---

(١) يعني البسملة.

(٢) البخاري (١١٤)، ومسلم (١٦٣٧) عن ابن عباس.

الصلاة والسلام بأنا نضل في الدين إذ لم يكتب، ولا أنا نضل في شيء ألبتة، بل صرح بأنه يكتب ما ينفي معه الضلال ولا يلزم من عدم سبب معين لنفي الضلال أن يقع الضلال؛ بل جاز أن ينتفي الضلال بالهداية الإلٰهية والعناية الربانية، كما إذا قلنا للمسافر: «إن أخذت هذا الخفير لا تضل معه» يحتمل أنه إذا لم يأخذه أن يهتدي من تلقاء نفسه بإلهام ربه أو سبب آخر، مع أن العلماء قد نقلوا أن ذلك الكتاب كان المقصود به نفي الضلال فيمن يُعَيَّن للخلافة بعده عليه السلام، والخلافة ليست من قواعد الأديان ولا شرطاً في صحة الإيمان، مع أنا ما أثبتنا الخلافة بعده ﷺ إلا بنصه وإيمان به وذلك في معنى الكتاب كقوله عليه السلام: **«الأئمة من قريش وقد وليا قريشاً»**[1]. وبقوله عليه السلام لما وعد المرأة بعدة فقالت له. عليه السلام فإن لم أجدك: قال لها عليه السلام: **«ائت أبا بكر»**[2] فصرح بأنه يتولى أعباء المسلمين بعده، وهذا هو الخلافة وما ولينا غير أبي بكر رضي الله عنه فما ضللنا والحمد لله في الخلافة ولا في غيرها، وعمر رضي الله عنه من أشفق الناس على هذه الأمة فلولا أنه علم أن في النصوص ما ينوب عن الكتاب لما أهمله، وهو عليه السلام أشفق منه وعليه التبليغ واجب، فلو كان قد بقي ما يضلنا في ديننا لما تركه عليه السلام ولا سيما وهو يقول في حجة الوداع: **«ألا قد بلغت ألا قد بلغت»**، والله تعالى يقول تقريراً لذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وحينئذ يتعين أن ذلك الكتاب كان من باب الاحتياطات التي لا يضر الإخلال بها، وحينئذ لا يلزم من عدمه مفسدة في شيء من أصول الدين ولا في غيرها، فاندفع السؤال.

السؤال الخامس عشر:

قال النصارى: المسلمون يعيروننا بأن أناجيلنا أربعة عن أربعة مختلفين، وقرآنهم عن سبعة قراء مختلفين اختلافاً شديداً أكثر مما بين الأناجيل من اختلافات بكثير، ويعترفون أن القراءات أكثر من سبع، وإنما هذه السبعة اتفق اشتهارها، فلهم حينئذ سبعة كتب مروية، بل عشرة، بل أكثر من ذلك عن أناس شتى، فهم أشد اختلافاً في كتابهم منا في كتابنا بالضرورة، فلا معنى لإنكارهم علينا ما وقع في كتابنا من الاختلاف فإنه عندهم أعظم.

والجواب:

ما قال الشاعر:

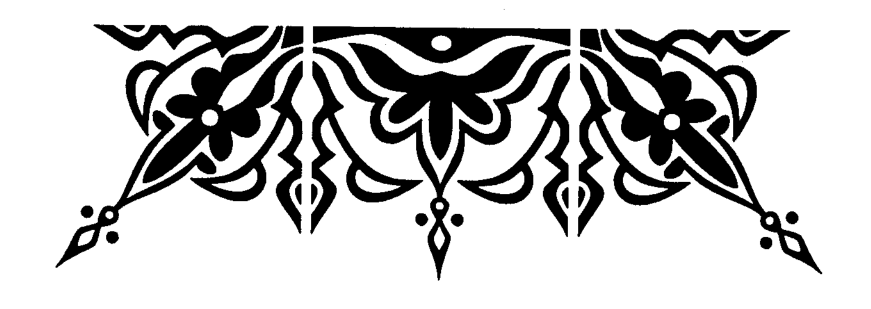
أكـل امـرىء تـحـسـبـيـن امـرءاً ونـاراً تـوقـد بـالـلـيـل نـاراً؟!

---

(١) الحديث بنحوه عن علي بن أبي طالب..، أخرجه النسائي في الكبرى (٥٩٤٢)، والبيهقي (١٦٣١٧)، وعن أنس عند البيهقي (١٥٠٨١، ١٦٣١٩).

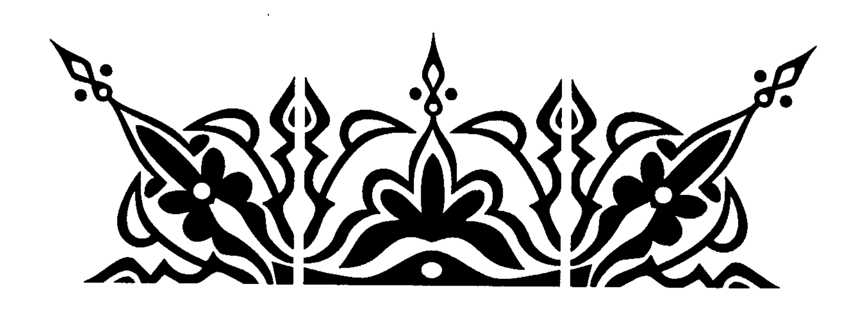
(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٥٧٩).

هيهات، ما كل سوداء فحمة. ولا كل بيضاء شحمة، أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش، وقبائل العرب مختلفة اللغات في الإمالة والتفخيم، والمد والقصر، والجهر والإخفاء، وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارَّة، فلو كلفوا كلهم الحمل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك، فسأل عليه الصلاة والسلام ربه أن يجعله على سبع لغات؛ لتتسع العرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، فأنزلت القراءات كذلك، وكلها مروية عنه عليه السلام متواترة، فنحن على ثقة في جميعها، وأنها عن الله تعالى وبإذنه متلقاه عن خير رسله، فذهب اللبس وحصل اليقين، وأما أنتم فليس في أناجيلكم بكلمة واحدة يقول مَتَّى فيها أو غيره قال لي المسيح: أن الله أنزل عليه كذا؛ بل غاية ما في بعضه: قال اليسوع المسيح كذا، أما أن ذلك القول من الكتاب المنزل من عند الله أو هو من قبل عيسى عليه السلام على ما اقتضاه رأيه، أو أنزل عليه لا على سبيل أنه من الإنجيل؛ هذا لم يتعرض له إنجيل من الأناجيل، وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين، فقد وقفنا عليها، ولم نجد فيها شيئاً من ذلك، بل تواريخ وحكايات وأخبار، وبينها أقوال يسيرة معزية للمسيح عليه السلام لم يصرح فيها بأنها من الإنجيل ولا من غيره، وليس لكم أن تقولوا مَتَى نقل للتلاميذ شيئاً فالمسيح قاله لهم، لأننا نقول هم خلفاؤه على زعمكم وكانوا فضلاء نجباء، ومثل هؤلاء يكون لهم أراء واجتهادات وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا: كل ما يقولونه فهو من قبل المسيح عليه السلام أو من قوله، ولو سلمنا أنه من قوله عليه السلام فيحتمل أن يكون من كلام الإنجيل ومن غيره، فلا يوثق بحرف واحد عندكم أنه من الإنجيل المنزل، بل نقطع بأن أكثره ليس منزلاً، وهو تلك التواريخ، وكلام الكهنة، وملوك الكفرة التي حشرتموها في الإنجيل، وتزعمون أن الجميع من الإنجيل الكتاب المنزل، وهذا عندكم أشد وأصعب من التوراة، فإن التوراة كتبت في الألواح، وتميزت وتعينت ثم طرأ عليها ما طرأ عليها، وأما الإنجيل فلم يتميز قط، ولم يُعرف له صورة، ولا سُمعت منه كلمة، غايته أن التلاميذ أملوا هذه الأناجيل بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة، ولم يصرحوا بأن هذا منزل ولا غير منزل؛ فسقطت الثقة من الجميع حتى يتعين المنزل، ولهذه القواعد لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئاً من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل، ولا قول أحد من الصحابة، بل متى قال صحابي قولاً نسب له فقط، ولا يجوز أن يقال هذا من قول النبي عليه السلام فضلاً عن كونه من القرآن، وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل، وسميتموه كتاب الله، فوقعتم في الضلال وقول المحال، فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فوالله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الاحتفال.



الباب الثالث

في أسئلة على الفريقين معارضة لأسئلتهم مدافعة لكلمتهم فيزهق الباطل بالحق والصخب بالصدق



في أسئلة على الفريقين معارضة لأسئلتهم مدافعة لكلمتهم فيزهق الباطل بالحق والصخب بالصدق

السؤال الأول:

في الإنجيل قال لوقا: «اختار يسوع عليه السلام سبعين رجلاً وبثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال الحصاد كثير والحصادون قليل، اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فعلة لحصاده ثم قال: من سمع منكم فقد سمع مني، ومن سمع مني فقد سمع من الذي أرسلني، ومن شتمكم فقد شتمني، ومن شتمني فإنما شتم من أرسلني»، فقد صرح عليه بأنه رسول لا رب، وهو حجة على النصارى.

السؤال الثاني:

قال لوقا: «قال الفريسيون ليسوع عليه السلام أخرج هٰهنا فإن هيردوس يريد قتلك، فقال: أمضوا، وقولوا لهذا الثعلب أني أقيم هٰهنا اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل، لا يهلك نبي خارجاً عن أورشليم»، فخوفوه كما يخوف البشر وصرح إنه نبي حكمه في أورشليم حكم الأنبياء عليهم السلام لا أنه رب العالمين، ويريد بقوله: «أكمل» تتم مدة إقامته في هذا العالم ثم يُرفع إلى السماء.

السؤال الثالث:

في الإنجيل قال يوحنا: «لما انتصف العيد حضر يسوع عليه السلام إلى الهيكل، وشرع يعلم، فقال اليهود كيف يحسن هذا التعليم؟؟، فقال: تعليمي ليس هو لي، بل للذي أرسلني، فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمي، هل هو من عندي: أم هو من عند الله؟ أن

من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه، فأما من يريد مجد من أرسله فهو صادق، ثم قال: إني لم آت من عندي ولكن الذي أرسلني فحق، ولستم تعرفونه وإنما أنا الذي أعرفه وهو الذي أرسلني، فَهَمَّ اليهود بأخذه فلم يقدروا لأن ساعته لم تحضر بعد».

وقد صرح غاية التصريح بأنه مرسل، وأن الكلام ليس له، وإنما هو لله تعالى؟ وأنه لا يريد مجد نفسه، بل مجد مرسله، وأنه لم يتلق شيئاً من قبل نفسه ولكن الله تعالى أرسله بالحق، وعلى قول النصارى أنه الله تعالى عن قولهم يكون الكلام له ويكون ساعياً في مجد نفسه ولا يكون مرسلاً، وهذه تصريحات عظيمة لا تدفع إلا بالعناد المحض والبهتان الصرف.

السؤال الرابع:

قال المسيح عليه السلام في خاتمة الإنجيل: «**إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم**»، فسوى بين نفسه وبين غيره في الأبوة والبنوة، لأن المراد بها أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد، وهذا مشترك بين عيسى عليه السلام وبين الخلق، فذلك سواء بسواء، وهو معنى قول اليهود في القرآن الكريم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

والنصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر هذا الكلام وهو قول: «أبي»، ويغفلون عن قوله: «وأبيكم»، وعن قوله «وإلٰهي» دون ذكر: «وإلٰهكم»، وتصريحه عليه السلام بأنه مخلوق مربوب له إلٰه يعبده ورب يدبره كسائر المخلوقات، وقد وقع في الإنجيل لفظ الإبن والأب كثيراً لغير المسيح عليه السلام فقد قالت النصارى إن المسيح عليه السلام: علّم تلاميذه هذه السورة وهي: «يا أبانا الذي في السموات قدوس اسمك يأتي ملكوتك تكون مشيئتك في السماء كذلك يكون في الأرض» إلى آخر السورة، فقد أطلقوا علىُ الله تعالى الأبوة بالنسبة إليهمْ وهي أبه، وفي التوراة قال يوسف عليه السلام: «**لستم أنتم الذين بعتموني، بل الله قدمني أمامكم وجعلني أباً لفرعون**»، **أي مدبراً له، وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح عليه السلام: يا أبه يا أبه وهو متكرر في الإنجيل.**

وفي التوراة قال تعالى: «**إسرائيل ابني بكري**» أي أعز الأولاد، بمعنى أعامله أفضل ما أعامل به الخلق.

وقال يوحنا في إنجيله: إن يسوع عليه السلام وكان مزمعاً أن يجمع أبناء الله، أي أهل الإيمان الذين تفضل الله عليهم بتوحيده فلِمَ لم يعتقد النصارى [أن] هؤلاء كلهم أبناء الله مثل عيسى عليه السلام؟؟، ويدلك على استعمال عيسى عليه السلام المجاز في الإنجيل

[ما قاله] متّى: بينما يسوع عليه السلام جالس يكلم على الناس إذ قيل له: أمك وأخوتك بالباب يطلبونك، فقال: من أمي ومن أخوتي؟؟، ثم أومأ بيده إلى تلاميذه، وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي، وكل من صنع مشيئة أبي الذي في السموات فهو أخي وأختي وأمي فلم لم يقتد النصارى بالمسيح عليه السلام بالتلاميذ وبالتوراة باستعمال المجاز في هذه الألفاظ؟؟، بل هم في الجهالة والضلالة وقلة العقل، بل عدمه كالفأر الأعور يرى الخبز ولا يرى القط!!، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذي ألجأهم إلى أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون كونه خلق من غير أب من البشر، فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى وآدم أولى منه بذلك؛ لكونه خلق من غير أب ولم يباشر الأرحام لا سقم الأطفال ولا تطور في أطوار البشر، وكم في العالم من الحيوانات خلقها الله تعالى من غير أب، ولقد بلغني أن بعض رسل المسلمين ناظر النصارى بصقلية، لأن «الأنبارورا» آثر ذلك لما قدم عليه رسول ملك المسلمين، فجمع أعيانهم له فقطعهم بقدح من الفول المسوس فكان يُخرج لهم الفولة فيخرج سوستها ويقول: أين أبو هذه؟؟، ثم يُخرج أخرى فيقول أين أبو هذه؟؟، فبهتوا لعنهم الله، وناهيك من قوم يقطعهم فولة مسوسة فإن سوس الحبوب بأسرها لا تتولد وإنما تُخلق كل سوسة داخل الحبة، والقشر مغلق عليها، وإنما تخرج من الحبة بعد خلقها[1]، وقد ابتدأ الله تعالى العالم بأسره من غير مثال، فأي آيات الله تنكرون؟؟؟.

ولذلك غلطوا في لفظة الرب والإلٰه، والمراد بالرب المربي والإلٰه المسلط، ففي التوراة قول إبراهيم ولوط صلوات الله عليهما للملك: «يا رب، بل إلٰهي»، وفيها قال الله تعالى لموسى عليه السلام: **«قد جعلتك إلٰهاً لفرعون»**، يريد مسلطاً عليه وقال له وقد اشتكى له لثغة في لسانه: «قد جعلتك رباً لهارون وجعلته لك نبياً، أنا آمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بني إسرائيل»، فلا تغتروا بقول بطرس للمسيح عليه السلام: «يا رب»، وهذه الألفاظ في كتبهم كثيرة في غير عيسى عليه السلام تركتها خشية الإطالة.

السؤال الخامس:

زعمت النصارى أن المسيح هو الله تعالى وإنما نزل إلى الأرض لينصرهم على اليهود، وأن يشرق في سماء مجدهم شمس السعود، لتخليص العالم من الخطيئة، وتصير أنفس أهله زكية راضية مرضية، فيقال لهم: كان الأبلغ في أبهة الجلالة الصمدية، والحرمة الإلٰهية أن يفصل ذلك على أيدي رسله المرضيين وخاصته المقربين، فما الذي أوجب نزوله

---

(١) قلت: أثبت علم الحشرات أن سوس الحبوب الذي يظهر بها بعد تخزينها ما هو إلا حشرة مكتملة نتجت عن فقس بيضة، وتقوم الأم بوضع البيضة في الحبة لا تزال غضة على ودها في الحقل، ثم تتطور وتأخذ في نموها داخل الحبة، إلى ن تظهر داخل المخازن كحشرة كاملة (سوسة).

عن مجده الرفيع وعزه المنيع إلى حضيض الآفات، ومقر الملومات فولج بطون النساء، واغتذى بالدماء، ولبث في الأرحام منغمساً في المشيمة والأحوال الذميمة، إلى أن ولدته أمه وأرضعته وفصلته وأدبته، وأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها، وترددت به إلى المواسم وأرته الشعائر والمعالم وتلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع، وتشوق إلى شرف الرجولية وتطلع، فلما شرع فيما نزل إليه وثبت عليه اليهود أهل الكفر والجحود فنكروه وطردوه، وعزموا على أن يقتلوه. فلما أعياه أمدهم تحصن بالاستتار خلف الجدار، وأمر أصحابه بكتمانه وأن يبالغوا في إخفاء مكانه، وأقام على ذلك مدة، واليهود تطلبه حتى دل عليه يهوذا صاحبه، فأسلمه لأعدائه وأحله في شبكة بلائه فسحبوه على الشوك حزيناً وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود بالعذاب رهيناً، يرون أقبح ما يفعلونه حسناً أشد ما يهينونه به مستحسناً، مهما بلغوا من إهانته المن المراد، وعلاه لشدة الهوان الضعف والسواد، مضوا به إلى بقعة من الأرض يزعم النصارى أنه دحاها، وحملوه [على] خشبته التي يقولون إنه أنبت لحاها وألبسوه أثواباً حمراً للشهرة، كان قد خلق ورسها، وأنكره: نحو الشمس الذي هو أسخن مسها، وسألهم شربة من الماء الذي فجره حين وصلت روحه للحنجرة، فبخلوا بها وعوضوه الخل والمُر عنها، فلما تعالت عليه الآلام والدواهي، نادى فوق جذعه: إلٰهي إلٰهي وقد صار بين اللصوص ثالث الجناة، وعوض ما نزل إلي أنوع الآفات والمذلات بالملومات، ثم زهق نفسه وحُفر رمسه، وصار في بطن اللحد سراً مكتوماً، وعاد الإله القديم معدوماً، ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان، وعاد كما كان بعد أن اتصف بالأحوال الوبيلة، وبقيت حسرة النصارى عليه طويلة، وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية، وعظم تسلط اليهود، وكفر أهل الجحود، ولم يعظمه ويؤمن به إلا النفر القليل، والعدد اليسير فكيف هذا الرأي السقيم؟؟، والتصرف الذميم؟؟، بل لا يصدر هذا إلا من فاسد الرأي، مشئوم الغرة، ناقص الهمة، مظلم الفكرة، يعرض نفسه للمحن، ويثير بين العباد الإحن[1]، وإن هذا لمن عظيم الشين لهذه الربوبية وإزالة بهجتها وطمس نورها وإطلاق ألسنة الأعداء بإبطالها، وأين هذا من قول المسلمين الذين يجلون الله عن الاتصاف بصفات الأجسام، ويحيلون عن جناية الكريم أن تناله الآفات والآلام، بعث عيسى عليه السلام نبياً مكرماً، ورفعه إليه ممجداً معظماً لم يهنه بأيدي الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء ولو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر لم يهنه بأيدي الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء ولو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان ولا يخالط نوع الإنسان، فقيل له: إن لك رباً خلقك وأبدعك، وهو رجل مثلك، يبول ويتغوط، ويبصق ويمخط، ويجوع ويعطش، ويعرى ويكسى ويأكل ويشرب، ويسهر

---

(١) الإحنة: الحقد، وجمعها إحَن.

وينام، ويتنازع مع الأنام الكلام، وإن إنساناً مثله ومثلك بغضه فضربه وسجنه ثم صلبه، وقتله، بعد أن حطم شره، ولطم نحره فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة؛ لاستنكف العقل السليم والطبع المستقيم الاعتراف بوجود هذا الإله فضلاً عن هذا الاعتراف بربوبيته، ولنفر أن يكون عبداً له، ويرى نفسه أفضل من هذا الإله لسلامته عن هذه الآفات، وجميع ما ذكرته في هذ الفصل هو نص الإنجيل ولا تختلف النصارى فيه.

السؤال السادس:

يقول النصارى: الله تعالى الأزلي الخالق للعالم والنافخ للروح في آدم، فيقال أهو إله واحد أم لا؟؟، فإن قالوا: نعم، وكفروا بالأمانة والصلوات الثمانية لأن في الأمانة التي هي أصل دينهم: «نؤمن بالله الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح إله الخلق الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء، ونؤمن بروح القدس الواحد الحي»، ويقرؤون في صلاة النوم: «والملائكة يجدونك بتهليلات مثلثة أيها الأب لأنك لم تنزل وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة، ثالوث واحد» فقد صرحوا بثلاثة أزلية، وإنسان من بني آدم يسمى يسوع منهم، يقولون بأربعة وهم لا يشعرون، وإن قالوا: لا؛ كفروا بالتوراة والإنجيل.

أما التوراة: «**قال الله تعالى لموسى عليه السلام، أنا إلهك فلا يكن لك إله غيري، وفيها أعلم أنني أنا الله وحدي وليس معي غيري، أنا أُميت وأحيي وأُسقم وأُبرىء، ولا ينجو أحد من يدي**»، والتصريح بالتوحيد كثير في التوراة وفي إنجيل متّى: «**لا صالح إلا الله الواحد**»، وفي إنجيل يوحنا: «**قال المسيح وقد رف بصره إلى فوق، إلهي، إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذي أرسلت المسيح**»، وهو كثير في الإنجيل تركته خوف الإطالة، فهم كفرة على التقديرين، إما بصلواتهم، وإما بأمانتهم التي هي عين الخيانة، أو بكتبهم!!

السؤال السابع:

نقول: الإله الواحد الأزلي جسم ولحم ودم أم يستحيل عليه ذلك؟؟، فإن أحالوا ذلك عليه؛ خرج المسيح عليه السلام من الربوبية، لأن الأناجيل الأربعة تشهد بأنه لا يباين البشر في شيء.

وإن لم يحيلوا ذلك كذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات.

ففي التوراة: «**لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق، ولا في الأرض أسفل، ولا في البحار تحت ولا بشيء**». وهو قول القرآن الكريم: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي الإنجيل: «**إن الله لا يأكل ولا يشرب، أحد فقط**»، وفي المزامير: «**يا رب أنت صانع العجائب ولا نظير لك**».

السؤال الثامن:

نقول لهم: الله تعالى يجوز أن يُصلب ويُقهر؟؟ فإن قالوا: لا، بطل قولهم في المسيح؛ إذ يقرؤون في صلاة الساعة السادسة: «يا من سُمِّرت يداه على الصليب، وبقى حتى لصق دمه عليه، قد أحببنا الموت لموتك يا الله، نسألك يا الله بالمسامير التي سُمِّرْت بها نَجِّنَا»، وإن جوزوا على الله ذلك كذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير.

ففي السفر الأول من التوراة: «إن الله تعالى أنزل الطوفان، وأهلك الجبابرة والفراعنة، والطاغية والطغاة، والنماردة وسائر الملوك من بني آدم، وكل ذي روح من الحيوان البهيم وغيره، وغرق فرعون في ستمائة ألف فارس في البحر في ساعة واحدة»، ولم يُقهر سبحانه ولم يُغلب، بل هو القاهر الغالب جل وعلا.

وفي الإنجيل: «**لا صالح إلا الله الواحد ولا يعلم يوم القيامة سوى الله تعالى**»، والذي يلحقه الآفات والقهر لا يتقرر بالصلاح بل هو كغيره.

وفي المزمور السابع عشر: «لا عزيز مثل إلٰهي».

السؤال التاسع:

نقول للنصارى: آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى عليهم السلام وأممهم كانوا لا يعرفون المسيح عليه السلام ويعتقدون أنه خالقهم ومدبرهم أم لا؟ فإن قالوا: لا، كفروا بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام لنسبتهم فيها إلى الجهل بخالقهم. وإن قالوا: نعم، كذبتهم الكتب جميعاً، إذ ليس فيها حرف يدل على أن أحداً من هؤلاء كان يعتقد أن المسيح عليه السلام إله.

السؤال العاشر:

[نقول]: آدم عليه السلام تاب وأناب أم لا؟ فإن قالوا: نعم؛ بطل القول بالصلب، فإنهم يقولون إن سر الصلب محو خطيئة آدم عليه السلام وأن الله تعالى فداه بابنه، كما فدى إسحاق[1] بالكبش، فضرب المسيح عليه السلام عوضاً عن رفاهية آدم، وإهانته بدلاً

---

(١) الصواب أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق، وقد ذكرنا هذا في ما سبق.

من الثمرة التي أكلها بالخلود في الجنة، وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة، وسُمِّرت يداه لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسُقي الخل والمُر عند عطشه لاسطعام آدم عليه السلام حلاوة ما أكله، ومات بدلاً عن موت المعصية الذي كان آدم عليه السلام يتوقعه، وإن قالوا: لا؛ كذبتهم كتبهم، فإنها كلها مصرحة بتوبة آدم عليه السلام. والتوبة تنفي الحوبة[1]، فلا معنى لعقوبة الولد، ثم العقوبة بهابيل أولى لأنه ولد الصُّلب، وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من الفداء ببشر هو إله قديم، وفي كتبهم أن الله تعالى فدى إسحاق بكبش ففداء آدم على خطيئته بكبش أولى.

أو نقول: الله تعالى فدى الجميع بكفرة عجلهم للنار، وهو أولى لأنه إيقاع العقوبة، ويدل على أن التوبة تمحو الإثم قول الإنجيل: «لما أسلم المعمد إلى القتل، خرج يسوع عليه السلام إلى الجليل، وجعل ينادي: قد قرب الزمان، واقترب ملكوت الله تعالى فتوبوا وآمنوا بالبشر.

السؤال الحادي عشر:

نقول لهم: الله تعالى بكل شيء عليم أم لا؟؟ فإن قالوا: لا؛ كذبتهم كتبهم لقول المسيح عليه السلام: **«لا يعلم القيامة إلا الله تعالى»**، وإن قالوا: نعم؛ بطل اعتقادهم في ربوبية المسيح عليه السلام فإن نصوص الإنجيل تقتضي عدم علمه بالمغيبات، كقوله عليه السلام لمريم ومرتا أم العاذر حين مات: أين دفنتموه؟ فعرفوه بمكانه فأحياه، والأدلة كثيرة في الإنجيل، ومن هو موصوف بنقائص البشر لا يصلح للربوبية.

السؤال الثاني عشر:

هل كان الله تعالى قادراً على خلاص آدم وذريته بغير صلب المسيح أم لا؟! فإن قالوا: لا؛ كفروا بنسبة الله تعالى للعجز والاضطراب، وأكذبهم ما تقدم من التوراة وغيرها، وأن قالوا: «يقدر»، كفرو بنسبته إلى الحيف[2] على يسوع عليه السلام وإهانته الخاصة بأيد السفلة، على قاعدتهم في التحسين والتقبيح، وليس من العدل أن ينجي آدم عليه السلام فيفدى بابن الله تعالى!!

السؤال الثالث عشر:

يقولون في أمانتهم التي هي أصل دينهم؛ إن خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع

---

(١) الحُوب: الإثم.
(٢) الحيف: الظلم.

أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح عليه السلام. والتوراة والنبوات ترد عليهم، ففي السفر الأول من التوراة، يقول الله تعالى لقابيل قاتل هابيل: «**إن أحسنت يُقبل منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك**». وفي بعض النبوات: «لا آخذ الولد بخطيئة الوالد، ولا الوالد بخطيئة الولد، طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطيء عليه تكون»، وهو تصريح بعدم تخطي الخطيئة محلها كقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطرة: ١٨]، ولأنه لو عَمَّت لكانت خلاف العدل، وغير حسن على قاعدة الحسن والقبيح عندهم، وفي المزمور الرابع: «يا بني البشر حتى متى أنتم ثقيلو القلوب؟؟، لماذا تهابون الباطل وتتبعون الكذب؟؟ اغضبوا ولا تأثموا، والذي تهتمون به في قلوبكم إندموا عليه في مضجعكم، اذبحوا لله ذبيحة البر، وتوكلوا على الرب»، فأخبرهم أنهم إذا فعلوا آمنوا فلا حاجة إلى صلب الرب ولا صلب ولده، وهو كثير في كتبهم، ثم المصلحة تقتضي الفداء بهابيل وكان العالم قد تخلص من خمسة آلاف سنة من زمن هابيل إلى زمن المسيح عليه السلام ثم: الذين ماتوا قبل المسيح عليه السلام ماتوا كفاراً أو مؤمنين؟؟، فإن قالوا: ماتوا مؤمنين فلا حاجة إلى الصلب، وإن قالوا: «كفاراً»؛ كذبهم الإنجيل في قول عيسى عليه السلام: «**إني لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من بني إسرائيل، وأن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء**»، ثم تأخيره حينئذ عن الخطائين حتى ماتوا؟ إغفال للمصالح العظيمة، وهو غير لائق بالحكمة.

السؤال الرابع عشر:

قالوا: المسيح عليه السلام مات ثم عاش، فنقول لهم: من أحياه؟؛ فإن قالوا: «نفسه»، قلنا: وهو حي أو ميت؟، فإن قالوا: «وهو حي»؛ لزم تحصيل الحاصل، وإن قالوا: «وهو ميت»؛ لزمهم المحال؛ لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتاً، بل أقل أحواله أن يكون عالماً بمن يحييه؛ وقيام العلم بغير الحي مُحال، وإن قالوا: «أحياه غيره وهو الذي أماته»؛ لزمهم أن يكون المسيح عليه السلام عبداً مربوباً، وهو المطلوب.

السؤال الخامس عشر:

يقال لهم إماتة المسيح عليه السلام حكمة أو سفه؟، فإن قالوا: حكمة؛ لزمهم الثناء على اليهود بالخير، لإعانتهم على الحكمة وفعلهم لها، وإن قالوا: سفه؛ نسبوا الرب تعالى إلى السفه وهو كفر.

السؤال السادس عشر:

قالوا: المسيح عليه السلام إله العالم وخالقهم ورزقهم ومدبرهم إلى منتهى أجلهم،

ثم صُلب ودُفن ثلاثة أيام، فنقول لهم: يا سخفاء العقول والجاهلين بالمعقول والمنقول من كان يقوم برزق الأنام والأنعام في تلك الأيام؟، وكيف كان حال الوجود والإلٰه في اللحود؟، ومن المدبر للسماوات والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض؟؟، وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أم خذلته وهربت مع التلاميذ؟، فإن دُفنت فإن القبر الذي وسع الكلمة عظيم، وإن أسلمته[1] وذهبت فكيف أمكت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج؟؟، وكيف يحسن بهذا الإلٰه إسلامه محله لأعدائه وخذلان سائر أَوَدَّائِه؟!، وإن قولكم في الأمانة التي هي أشد فساداً من الخيانة: «إن الأب لا يدبر أحداً بل الابن الذي يدبر الناس»، فإن كان صلبه برضاه وهو قادر على دفعه عن نفسه؛ فينبغي أن يترحموا على اليهود ويعظموهم لتحصيلهم رضاه، وإن كان بغير رضاه فاطلبوا إلٰهاً سواه، فإن العاجز عن حفظ حشاشته كيف يُرجى منه دفع، أو يُتَوقع منه نفع لغيره؟؟

السؤال السابع عشر:

نقول: كون هذه الواقعة العظيمة التي من جملتها صلب إلٰه العالم، إنما كانت عندكم لسبب خلاصكم فحققوا لنا هذا الخلاص، إن كان من محن الدنيا فها أنتم مشاركون لسائر البشر في النفع والضر، أو من عهد التكاليف فها أنتم مخاطبون فيها بالمبادرة، وآثمون على التسويف، تدأبون في الصلاة والصيام، ومختبطون في موارد الأنام أو من أهوال القيامة، وما تكابده اللائق يوم الطامة، أكذبكم الإنجيل بقوله: «إني جامع الناس في القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم براً فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شراً فاذهبوا إلى الجحيم».. فقد أخبر أن الناس كلهم ينجون بحسناتهم ويهلكون بسيئاتهم، وضاع الصَّلب بين هذا القسم الذي يلزمونه.

ويقولون: أهل السر مَن خالق ما نحن عليه من دين المسيح، لكن يبقى عليهم البرهان على ذلك، [أي:] على أنهم على دين المسيح عليه السلام.

السؤال الثامن عشر:

على معنى قولهم في الاتحاد وهم فرق ثلاث، اليعاقبة والروم والنسطورية، وهم كثيرون في فرقهم، ولكن المشهور الآن هؤلاء الثلاث وأقوالهم متضادة متناقضة؛ لأن كلاً منهم يريد تفريع مذهب صحيح على أصل مستحيل، ولا فرع إذا فسد الأصل.

---

(١) أسلمته: أي تركته وخذلته، وفي الحديث: «المسلم أخو المسلم لا يسلمه لا يظلمه».

الفرقة الأولى: فاليعاقبة فرقة يعقوب السروجي، ويسمى البراذعي ادعت أن المسيح عليه السلام صَيَّرَهُ الإتحاد طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً، والسؤال عليهم، إن حقيقة اللاهوت والناسوت إن بقيتا بعد الاتحاد على حالهما بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة، وإن تغيرتا عن حالهما فهذه حقيقة أخرى، لا لاهوت ولا ناسوت، فلا تصفوا المسيح عليه السلام بأنه إلٰه ولا إنسان، ويلزمهم أن القديم الإلٰه صار محدثاً، والمحدث صار قديماً لضرورة اتحاد الحقيقة، وأن يصير الخالق مخلوقاً، والمخلوق خالقاً لضرورة اتحاد الحقيقة، أو نقول اللاهوت والناسوت إن بقي لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان قطعاً لا حقيقة واحدة فلا اتحاد، وإن ذهبت خصوصية كل واحد منهما عدما بالضرورة، لأن الخصوصية للذات من ألزم اللوازم، فإذا عدم اللازم والملزوم، إذا عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة، لأن اتحاد الذاتين فرع وجودهما، والعدم نفي محض، فلا اتحاد معه فالاعتقاد باطل جزماً.

الفرقة الثانية: الروم وهم المكانية، يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران، أقنوم واحد، والأقنوم لفظة رومية ومعناها في اصطلاحهم اليوم: الشخص، وقال الجوهري في الصحاح: الأقانيم الأصول واحدها أقنوم مثل عصفور وخرطوم قال وأحسبها رومية، قالت الملكانية فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود عليهما السلام وهو شخص واحد فأوجبوا الاتحاد في الشخص فقط لاعتقادهم استحالته في الحقائق، والسؤال عليهم أن نقول: قولكم الحقيقتان لم تتحدا وإنما اتحد في الشخص كلام غير معقول، فإن الاتحاد إن أريد به الامتزاج، فقد صارت الحقيقتان واحدة، وهو مذهب اليعاقبة فعليكم ما عليهم، وإن أريد أن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحدة، وهو مذهب اليعاقبة فعليكم ما عليهم، وإن أريد أن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد، فهذا هو الحلول لا الإتحاد وهو محال؛ فإن العالم يلزم أن يكون أصغر من جماعة اليهود، فإنه كان في اليهود من هو أعظم هيكلاً من المسيح عليه السلام وهو كان سياحاً قليل الغذاء كثير الأسفار، ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم، والحال أبداً أصغر من المحل، فيكون ذلك اليهودي المعتل البدن أعظم من المسيح الذي هو أعظم من الله تعالى وهذا لا يقوله عاقل؟ وإن كان المراد بالاتحاد معنى ثالث فهو غير معقول.

الفرقة الثالثة: النسورية، نصارى المشرق منسوبون إلى نسطورس، يقولون: هما بعد الاتحاد جوهران أقنومان باقيان على طبعهما، والسؤال عليهم: إن الطبيعتين إن كانتا في شخص واحد فذلك باطل، لأن الطبيعتين لا تقومان في محل واحد وإن كانتا في شخصين فذلك يكذبه الحس، فإن عيسى عليه السلام كان شخصاً واحداً، فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة، ومخالف الضروريات وكفى بذلك بطلاناً.

السؤال التاسع عشر:

النصارى مجمعون على القول بالثالوث وهو: أن ربهم أب وابن وروح، فالأب: الذات، والابن: النطق الذي هو الكلام النفساني، والروح: الحياة، فالأب جوهر، واختلفوا في الكلام والحياة، هل هما صفتان للأب أو ذاتان قائمتان بأنفسهما أو خاصيتان لذلك الجوهر، ثلاثة مذاهب لهم، فنقول لهم: إن قلتم إن الإله واحد والزائد صفتان، فهو قولنا أن الله تعالى له سبع صفات، وهو إله واحد وصفته: العلم والحياة والإرادة والكلام والقدرة والسمع والبصر، وفارقتم قول مشايخ الأمانة في قولهم: الأب إله واحد والابن يسوع إله واحد والروح القدس إله ثالث وأفسدتم صلواتكم حيث تقرؤون فيها: «الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك في الابتداء وروح القدس شاركك في الكرامة»، وإن قلتم: «الجميع إله واحد، وكل منهم يستقل بالإلهية» فقد خالفتم ما تقدم من الأمانة والصلوات، ففي الأمانة: «إن المسيح إله حق أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء وأنه نزل من السماء لخلاص الناس، والذي نزل من السماء إنما هو أقنوم الابن فقط»، وإن قلتم: إن كل واحد من الثلاثة إله ومجموعهما إله واحد، فنقول لكم الإله يتصور عندكم بدون صفات الكلام ومن الحياة والعلم والكمال أم لا؟، فإن زعموا تصور ذلك؛ فكل جماد في العالم أو نبات أو حيوان هو إله مستقل، لاقتصارهم حينئذ على مجرد ذات المفهوم من الإله فيكون حمار الأسقف إلهاً له، وكذلك جميع حشرات بيته بل نعله الذي في رجله!!، وإن قالوا: لا بد من مفهوم هذه الصفات في مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من الثلاثة علم وحياة وكلام، التي هي عندهم الأقانيم الثلاثة، فيصير التثليث تسيعاً، ويلزمهم أن يكون كل واحد من التسع إلهاً؛ لأن كل واحد منهما مساو لكل واحد من الثلاثة الأول، فيحتاج كل واحد من التسع إلى صفات ثلاث؛ لأنه حينئذ إله، فيلزمه التسلسل وآلهة غير متناهية وموجودات ليس لها غاية، وهذا محال كله، فهم حينئذ لا يقدرون على تصوير مذهبهم أصلاً، ولذلك اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه فيعجز، ومن يعجز عن تصوير مذهبه كيف يمكنه إقامة الدليل عليه؟! فيتوقف، فلو كانت للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم.

السؤال العشرون:

لهم الأمانة وهي أقبح من الخيانة، يسمونها شريعة الإيمان والتسبيحة، لا يتم لهم عيد ولا قربان إلا بها، قال المؤرخون وأرباب النقل: إن الباعث لأوائل النصارى على ترتيبها ولعن من يخالفها أن آريوس أحد أوائلهم كان مع طائفة مواحداً مخالفاً للنصارى في اعتقادهم في المسيح عليه السلام وكان يعتقد أنه رسول وعبد مخلوق، فعلموا به، فتكاتبوا

إلى أن اجتمعوا في مدينة نيقية[1] عند الملك قسطنطين فناظروه، فشرح آريوس مالته فرد عليه الأكسيدروس بَطْريق الإسكندرية وتتبع مقلاته عند الملك، ثم تناظر الجمع، فانتشرت مقالتهم، وكثر اختلافهم فتعجب الملك من شدة الخلاف وكثرة التباين، وأمرهم بالبحث عن القول المرضي، فاتفق رأى الأكسيدروس بطريق الإسكندرية وجماعة على نظم الأمانة، بعد أن أفسدوها دفعات، وزادوا ونقصوا وهي: «نؤمن بالله الواحد الأب، ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي وُلد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول وصُلب أياماً وليالي على عهد بيلاطس النيطي، ودُفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الله، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه روح مجدية، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاشليقية، وقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة إلى الأبد الأبدي»، وهذه هي الأمانة التي أجمع عليها اليوم جميع فرق النصارى، الروم واليعاقبة والنسطورية واتفقوا على أنه لا يتم عيد ولا قُربان إلا بها مع أنها لا أصل لها في شرع الإنجيل ولا من قول المسيح عليه السلام ولا من قول تلاميذه؛ بل هي آراء قوم مغفلين، وتلفيقات جماعة مشكلين، عليها من الركاكة الظاهرة والعبارة القبيحة والمعاني السمجة[2] ظلمات بعضها فوق بعض، قد التف بها القطوع من جميع جهاتها، وشملها الكفر والبهتان في جميع كلماتها ومع ذلك فهم عليها عاكفون ولها معظمون، ولا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

---

(١) عُقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية، وكان من أسبابه ما قاله آريوس الذي كان في مصر وكان قوي الدعاية جريئاً فيها واسع الحيل، بالغ الأدب، وكان يقول: «إن الآب وحده هو الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذا لم يكن الابن». أي أنه أقر بوحدانية الله وأنكر ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية.. فاجتمعوا ولعنوا آريوس وأشياعه وأتباعه والبطارقة الذين قالوا بمقالته وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق، وأن طبيعة الآب والابن جوهر احد وطبيعة واحدة وزادوا في الأمانة التي وضعها الثلثمائة والثمانية عشر سقفاً: «ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المميت، المنبثق من الآب، الذي مع الابن والآب، وهو مسجود ممجد».. وكان في الأمانة الأولى: «وبروح القد» فقط انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧١) فما بعدها، كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة (ص١٤٩) فما بعدها.

(٢) السمج: القبيح.

السؤال الحادي والعشرون:

قولهم في أول الأمانة: «الله تعالى ضابط الكل ومالك كل شيء، وصانع ما يُرى وما لا يرى»؛ يلزم منه أنه تعالى خالق المسيح وروح القدس؛ لأنهما إما مرئيان أو غير مرئيين، وعلى التقديرين فإنهما مخلوقان، وهو خلاف مذهبهم.

السؤال الثاني والعشرون:

أنهم وحدوا الله بالخلق والملك ثم لم يلبثوا حتى نقضوا ذلك على الفور؛ فقالوا: «مع هذا الإلٰه المستبد بالخلق لما يرى وما لا يرى إلٰه آخر أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء»، فكيف يتصور عاقل أن الأب خالق كل شيء وابنه أيضاً خالق لكل شيء، فإن صح أن الأب خالق كل شيء فأي شيء بقي للابن؟ وإن كان الابن خالق كل شيء فما بقي للآب، وإن كان الخالق واحد فلأي شيء صرحوا بخالقين غاية في التناقض والفساد في هذه الأمانة التي ألفها أهل الجهل والخيانة فلو ألفها لهم أحد صبيان المكاتب من أولاد المسلمين، لما وقع في هذه المزلات، ولا نطق بهذه الهفوات.

السؤال الثالث والعشرون:

أنهم في الأمانة أثبتوا عبادة رجل من بني آدم فإن يسوع المسيح عليه السلام اسم للإنسان المنفصل من مريم عليها السلام وكان رجلاً من بني آدم مخلوقاً، فهم يعبدون المخلوق ولا يشعرون، وهب أن القديم على زعمهم حل فيه أليس الناسوت مخلوقاً؟؟ والمسيح اسم للمجموع، والمركب من القديم والحادث ومن القديم والمخلوق مخلوق، فهم يعتقدون أن المحدث المخلوق مخلوقاً جزماً، فهم يعبدون المحدث المخلوق جزماً ولو شعروا بذلك لأنكروه، ولكن لا يشعرون.

السؤال الرابع والعشرون:

قولهم في الأمانة: «إن المسيح ابن الله بكر الخلائق الذي ولد من أبيه»، يقتضي حدوث المسيح عليه السلام وهم يعتقدون قدمه، فنقضوا أصلهم من حيث لا يشعرون، وبيانه أن المولود من غيره لا بد أن يتقدم عليه والده بالزمان، ثم يوجد الولد بعده في زمن آخر، إذ لو وجدا في زمان واحد لم يمكن كون أحدهما ابناً للآخر أولى من العكس، والمتأخر بالزمان هو لحادث، لكن القوم لا يعلمون الحادث من القديم فلذلك نقضوا قواعدهم من حيث لا يشعرون، ثم قولهم: «بكر الخلائق» يقتضي أن الخلائق كلهم أولاده، ويكون المسيح عليه السلام مصنوعاً، فالقسمان باطلان فقولهم باطل جزماً ويصير المسيح عليه السلام بمقتضى القولين مخلوق وغير مخلوق.

السؤال الخامس والعشرون:

قولهم في الأمانة: «المسيح إلٰه حق من إلٰه حق من جوهر أبيه». . يبطل قول المسيح عليه السلام في الإنجيل، وقد سُئل عن يوم القيامة فقال: «**لا أعرف ذلك ولا يعرفه إلا الأب وحده**»، فلو كان من جوهر أبيه لعلم ما يعلمه أبوه وساواه في علمه وصفاته وتعلقها بالمعلومات وغيرها، فلما لم يعلم ذلك دل على أنه من جوهر آبائه داود وغيره من الأنبياء عليهم السلام ولذلك لما سُئلوا عن يوم القيامة قالوا كقول المسيح صلوات الله عليهم أجمعين فلو جاز أن يكون إلٰهاً ثانياً من أول لجاز ثالث من ثان، ورابع من ثالث، إلى غير نهاية، لكن هذا كله باطل؛ لقول المسيح عليه السلام: «**إن أول الوصايا أن الرب واحد**»، وبقوله في إنجيل مرقس: «**لا صالح إلا الله تعالى**».

السؤال السادس والعشرون:

قولهم في الأمانة: «المسيح (عليه السلام) أتقن العوالم، وخلق كل شيء»، يلزم أن يكون خلق أمه، وهذا لا يقوله إلا أهل البيمارستان ثم يبطله ويكذبه قول متّى في الإنجيل: «هذا مولود يسوع المسيح (عليه السلام) ابن داود»، فكيف يكون خلق داود والعوالم من قبله؟، والخرق التي لُف فيها عند الولادة، والمهد الذي وضع فيه وهو طفل، وبطلان ذلك لا يخفى على عاقل، وكيف يكون خالق العوالم ومن جملتها إبليس؟؟، وفي الإنجيل أنه قال للمسيح (عليه السلام) «أسجد لي، وهو محصور معه في رؤوس الجبال»، فكيف ينحصر خالق العوالم ومدبرها في يد بعض العوالم على هذه الصورة، لكن المشايخ الذين لفقوا الأمانة كانوا من التياسة والجهالة في أبعد غاية.

السؤال السابع والعشرون:

قولهم في الأمانة: «إن المسيح الإلٰه الحق نزل من السماء»، فنقول النازل إن كان الناسوت فهو باطل؛ لإجماعهم أنه ابن مريم (رضي الله عنها) وإن كان اللاهوت فإن كان الأب لزمه لحوق النقائص به من الأكل والشرب، والحركة والسكون من العلو إلى الأسفل، وتلك صفات المخلوقين وخواص الأجسام المحدثة وهو محال على الله تعالى اتفاقاً وإن كان الكلمة الذي هو العلم عندهم؛ يلزم أن يبقي الباري تعالى بغير علم لأن علمه نزل وتركه، وعدم علم الإلٰه يُسقط ربوبيته اتفاقاً وعقلاً، أو يبقى عالماً بعلم ليس قائماً بذاته؟ وهو مستحيل أن يعلم إنسان أو غيره بعلم لم يقم به، فبطل القول بالنزول مطلقاً.

السؤال الثامن والعشرون:

أن المسيح ليس اسماً للكلمة لأنها عندهم في الأزل لا تسمى مسيحاً بل علماً،

وليس للجسد على انفراده عندهم، فهو اسم للمجموع، والمجموع لم ينزل من السماء لأن الجسد عندهم إنما حصل في الأرض فبطل القول بنزول المسيح (عليه السلام) من السماء إلى الأرض.

السؤال التاسع والعشرون:

قولهم في الأمانة: «أنه نزل لخلاص الناس» دعوى لا دليل عليها، وما سبب استقلاله بهذه الفضيلة والإلهية بينهم أثلاثاً؟، ولِمَ لا يكون المُخَلِّص هو الأب أو الروح مع تصريح الأمانة بمساواتهما للابن واختصاص أحد المتساوين بحكم لا بُدَّ له من مرجح، فأخبرونا عنه ولن يجدون أبداً إلا إذا كان من هذه الوساوس السوداوية فحدِّث ولا حرج.

السؤال الثلاثون:

قولهم في الأمانة: «وتجسد من روح القدس»، باطل بنص الإنجيل بقول متّى في الفصل الثاني: «أن يوحنا المعمداني حين عَمَّد المسيح (عليه السلام) جاءت روح القدس إليه من السماء في شبه حمامة وذلك بعد ثلاثين سنة من عمر المسيح (عليه السلام)»، ولا يكون قد تجسد من الروح لتأخرها عن الجسد هذا القدر فكذبت الأمانة وبينت الخيانة في حقوق الله تعالى بالكفر، ولرسله بالتكذيب، ولرسائله بالتبديل، ولسائر الخلق بالتضليل.

السؤال الحادي والثلاثون:

الروح القدس عندهم هو حياة الله تعالى وتجسد المسيح منها يقتضي انقلاب الحقائق، فإن الحياة من المعاني كالإرادة والعلم، وصيرورة الحياة جسداً كصيرورة اللون رائحة والطعم حركة، والأعراض أجساماً، وذلك كله محال فالقول بتجسد الروح القدس محال.

السؤال الثاني والثلاثون:

إذا تجسد المسيح (عليه السلام) من الروح القدس والروح حياة الله تعالى فيلزم أن يبقى خالقنا مواتاً أو ميتاً لعدم الحياة وانتقالها إلى المسيح (عليه السلام) وذلك محال.

السؤال الثالث والثلاثون:

أن القول بحلول الكلمة التي هي الكلام في مريم، وتجسد المسيح (عليه السلام) من الروح يقتضي انتقال صفات المعاني من محالها إلى محال أخرى وانتقالها مُحال؛ لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات فيلزم أن تكون المعاني أجساماً، والصفات موصوفات وذلك قلب للحقائق وهو محال عند جميع العقلاء.

السؤال الرابع والثلاثون:

إذا كان المسيح (عليه السلام) تجسد من الروح، فهو متولد من الروح، فهو ابن الروح لا ابن الله تعالى فكذبوا في قولهم أنه ابن الله تعالى عن قوله علواً كبيراً، وإن كان ما تجسد من الروح كذبت الأمانة، فهم الكاذبون على الله وعلى رسله على كل تقدير.

السؤال الخامس والثلاثون:

وفى قولهم في الأمانة: «إن المسيح (عليه السلام) قام من بين الأموات وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه»؛ كذب فاحش، فليت شعري من هو الذي صعد إلى السماء وجاء إليهم فأخبرهم أنه رآه جالساً عن يمينه؟؟، وهل هذا إلا مجرد الاختلاق؟؟!!

السؤال السادس والثلاثون:

جلوسه عن يمين أبيه يقتضي أنهما جسمان لكل واحد منهما الجهات الست: يمين وشمال وخلف وقدام وأسفل وأعلى، فيلزمهم أن الله تعالى جسم وهو محال، وهم لا يعتقدون الجسمية.

السؤال السابع والثلاثون:

قولهم في الأمانة: «إن المسيح (عليه السلام) بعد قتله وصلبه وقيامه وصعوده إلى السماء من بين الأموات مستعد للمجيء مرة أخرى لفصل القضاة بين الأحياء والأموات»، الظاهر أنهم متخيلون أنه لما جرى عليه من الشيطان وحز به ما جرى به من الإيذاء والإهانة والإحراق راح إلى أبيه يستريح وترجع إليه نفسه ويسكن روعه، ويستظهر بعدة أخرى عند أبيه، ثم يأتي لمحاربة عدوه، وما أجدرهم بأن يعبدوا الآن عدوه ويتركوه، فإن الغلب الآن لعدوه، والمتوقع في المستقبل لا يدري كيف هو؟، ولعل الكسرة في النوبة الثانية تكون أعظم وهو الظاهر فإن ذلك الرعب العظيم لم يكن حاصلاً له أول مرة وقد جرى ما جرى، فكيف وقد استولى عليه الرعب، وذاق طعم الشدائد وتأيد عدوه بسلطان الظفر والنصرة، فالمصلحة الآن تقتضي أن لا يكون بينهم وبين الألوهية معاملة بل يعبدون الشيطان كما يزعمون فهو أولى، ثم أنه في أول مرة مع وفور القوة، ما تخلص مع شرذمة يسيرة من الأحياء والأموات، وعلى هذا التقدير لا يكون لهم ولا لهذا الإلٰه قائمة أبداً.

السؤال الثامن والثلاثون:

قولهم في الأمانة: «نؤمن بروح القدس الذي يخرج من أبيه»؛ تصريح بأن الروح

القدس والمسيح (عليه السلام) أخوان وهو خبط عظيم، وهم عنه معرضون.

السؤال التاسع والثلاثون:

قولهم في الأمانة: «نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا؛ مناقض لقولهم: «أن خطيئة آدم (عليه السلام) عَمَّت ذريته»، ولا يتخلصون منها إلا بقتل المسيح (عليه السلام) وتلك الشدائد التي جرت عليه، ولذلك يسمونه حمل[1] الله تعالى، ويسمونه: مُخَلص العالم، وإذا كانت المعمودية توجب غفران الخطايا فقد اعترفوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح (عليه السلام) وهذه كلها غفلات وجهالات لا تصدر إلا عن عدم أنواع الإدراكات.

السؤال الأربعون:

قولهم في الأمانة: «ونؤمن بجماعة واحدة قديسة» يعنون هذه الجماعة التي لفقت هذه الأمانة المتناقضة بسبب جهل ملفقها وعدم معرفته بالإيمان، فضلاً عن كونه مؤمناً في نفسه، وناهيك من قوم رتبوا الثناء على أنفسهم وذكوها وعظموها، ولا يفعل هذا إلاّ من لا خلاق[2] له، مع أنهم أعنى هؤلاء المثنين على أنفسهم قد صرحوا بكفر أنفسهم؛ لما بيّناه من مناقضة الإنجيل الذي هو العمدة، فكيف يكون مثل هؤلاء قديساً؟، بل حماراً وتيساً حسيساً؟.

السؤال الحادي والأربعون:

أن هذه الأمانة مناقضة لجميع كتبهم التي يعتقدونها من التوراة والإنجيل والنبوات، فدل ذلك على بطلانها، وجهالة من اتبعه وجعله قديساً، بيان: أن في التوراة: «أنا ربك الذي أخرجتك من أرض مصر بيد القوة، لا يكن لك إلٰه غيري، ولا تشبهني بشيء مما في السماء ولا مما في الأرض ولا مما في البحار، أنا إلٰه واحد»، فصرحت التوراة بالوحدانية ونفي التشبيه، والأمانة تنفي ذلك، فدل ذلك على بطلانها في قولها: إن معه إلهين آخرين، أحدهما إنسان من بني آدم.

وفى نبوة أشعياء: «قال إلٰه بني إسرائيل أنا الأول وأنا الآخر، وليس غيري»، والأمانة تقول: «بل غيره أيضاً أول ومعه غيره»، وهو كذب على الله تعالى وعلى كتبه، وفي الإنجيل: «إن أول الوصايا كلها اسمع يا إسرائيل الرب واحد فأجبه من كل قلبك ومن

---

(١) الحَمَل: الخروف والجمع حملان.
(٢) الخلاق: النصيب، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].

كل قولك»، وقالت الأمانة: «بل الرب ثلاثة»، وهذه النصوص كثيرة نتركها خشية الإطالة، وكلها مكذب لهذه الأمانة المخترعة التي جعلها النصارى عمدتهم؛ فأصبحوا هزاء للناظر ومضغة للمُنَاظِر، فهذه اثنان وعشرون سؤالاً[1] على أمانتهم التي هي عمدة دينهم.

السؤال الثاني والأربعون:

نقول للنصارى، زعمتم أن معبودكم ثلاثة أقانيم: الوجود، الحياة، العلم أو الكلام على اختلافهم في الدليل على الحصر في ثلاثة، ولعله أربعة؛ والرابع هو: القدرة، لأنها التي بها ظهرت العوالم، أو خمسة والخامس هو: الإرادة؛ لأنها القضاء والقدر التي بها تخصيص المصنوعات وترتيب الموجودات، وهي القاهرة المقدسة على جميع الإرادات، أو ستة والسادس هو: البصر فإنه إدراك وعلم أخص مما ذكرتموه من العلم، فكل بصر علم، وليس كل علم بصر، فهذه الصفات كلها ثابتة لله في التوراة والإنجيل، أو سبعة، أو عشرة آلاف، ولا يلزمنا بيان ذلك بل عليهم الدليل في حصر ما ذكروه، ولن يقدروا عليه أبداً، فدل ذلك على أنهم ليسوا على دين، ولا في شيء من أمرهم على يقين.

السؤال الثالث والأربعون:

النصارى إنما دلها بزعمها على أن عيسى (عليه السلام) ابن الله تعالى إحياؤه للموتى، والعقل جازم بأنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فلا يلزم من عدم علمهم بأن زيداً أو عمراً يحيي الموتى أن لا يكون ابن الله تعالى لجواز أن يكون كذلك ولم يظهر الدليل الدال عليه، فليجوزوا في كل أحد أن يكون ابن الله، تعالى عن قولهم علواً كبيراً.

السؤال الرابع والأربعون:

إذا تقرب النصارى في الكنائس، أكلوا الخبز وشربوا الخمر، ويقولون قد أكلنا خبز الرب وشربنا دمه[2]، ورووا عن المسيح (عليه السلام) أن أعطاهم خبزاً، وقال هذا جسدي فكلوه وأعطاهم خمراً وقال هذا دمي فاشربوه، والله إن هذا بالخيانات الموبقات أليق منه بالقُرب الموجبة للمثوبات، وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب، وكأن النصارى لم يرضوا بهذا للرب حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد، وشربوا دمه في المواسم

---

(١) يعني الأسئلة من رقم ٢٠ حتى ٤١ من هذا الباب.

(٢) هذا هو المعروف لدى النصارى وتسمى «عقيدة القربان»، وقد فضح هذه العقيدة ومخازيها عبد الله ابن الترجمان. الذي كان نصرانياً فأسلم. في كتابه «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» بالفصل الثالث منه، فراجعه هناك.

والأعياد وإنما يفعل ذلك أرباب الضغائن والأحقاد، ومع ذلك فقد جعلوا هذه الفضائح كتاباً يتلى، ووصايا ربانية تملى وكفى بهذه الفضائح لمن يريد الإسلام نصائح، ولهذا صار كثير من النصارى يسلم قبل اطلاعه على محاسن الإسلام بل فراراً من هذه القبائح!!..

السؤال الخامس والأربعون:

ترك جمهور النصارى الاختتان وحرموه بهواهم لا بأمر مولاهم ورأوا إطالة الغرلة ديناً وشرعاً لا يسع خلافه، يخلو أحدهم(١) مع امرأته وجلدة غرلته مستطيلة وفرج الأخرى بارز كأنه عُرف ديك، فيكون اجتماعهما أقبح شيء وأوسخه وراغموا(٢) التوراة والإنجيل وسائر النبوات، ففي التوراة: «إن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل (عليه السلام) بالختان، فقال له هذا عهد بيني وبينك وبين نسلك بعد أن يختن غرلته كل ذكر منكم ومن عبدانكم، ليكون عهدي - ميسماً في أجسادكم - عهداً دائماً على الأبد وكل ذكر لا يختن غرلته، فلتهلك تلك النفس من سعيها، لأنها أبطلت عهدي، فعهد إبراهيم (عليه السلام) فاختتن وهو إذ ذاك كبير، وختن أولاده وعبدانه»، فنصت التوراة على الختان للأبد، وأن تاركه يُقتل، وذلك يدل على كفر تاركه، فإن القتل من شعائر الكفر عندهم، فهم الكفرة حينئذ، وقد اختتن المسيح (عليه السلام) وتلاميذه، والعجيب من النصارى، أن منهم من يَجُب مذاكيره ويخصي نفسه وآخرون يحلقون لحاهم ولم يأت بذلك شرع ولا نزل به كتاب وتركوا الختان المنزل في الكتاب ولم تزل النصارى كلها تختن إلى زمان بولس، فنهاهم بولس وهم أشأم من إبليس على النصارى، أخرجهم بولس(٣) من هذا الدين كما تخرج الشعرة من العجين، وأوقعهم في ظلمات الضلال، وأليم الوبال بسبب أنه كان يهودياً، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشفِ بذلك قلبه. فأعمل الحيلة إلى أن حفظ الإنجيل، وعمد إلى راهب عظيم سأله خدمته، فأجيب، فأظهر الاجتهاد والنصيحة والمبالغة في وجوه البر والإحسان إلى أن طال الزمان، فاستيقظ في بعض الليالى وصاح، وأظهر الهلع مما رأى في منامه، فسأله الراهب؟، فقال: رأيت المسيح (عليه السلام) ونفث في فمي وبارك عليَّ، وأنا أجد في نفسي كلاماً لا أدري ما هو منذ نفث في فمي؟؟، فذكر بعض ذلك الكلام، فوجدوه من الإنجيل فاعتقدوا أن ذلك من عناية المسيح (عليه السلام) به، ومن عظم بركته، فقال الواهب: أنا أحق بالخدمة منك وأنت أحق

---

(١) أي يجامعها.

(٢) يقال: راغم فلان قومه إذا تاركهم وخالفهم وخرج عليهم.

(٣) انظر ما سطره العلامة الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « محاضرات في النصرانية » عن بولس هذا، [ط. ٤/ رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد السعودية ١٤٠٤ هـ].

بالتقدمة، فَتَصَدَّر وتقدم واشتهر، إلى أن صارت ملوك النصارى تزوره يوماً في السنة، فلما تحقق تمكنه من قلوبهم قال لهم في بعض زياراتهم له إن المسيح قد أمرني أن أنزل غداً من هذه القبلة وأذبح نفسي في سفح الجبل قرباناً للمسيح، فعظم ذلك عند الملوك لفوات بركته وألم مفارقته، وكيف يذبح نفسه بيده؟؟

وباتوا تلك الليلة عيونهم ساهرة وقلوبهم من الجزع طائرة، إلى أن أصبح الصباح ودخلوا للوداع، فتقدم أكبر الملوك منزلة وأعلاه رتبة؛ لينفرد بتوديعه، فقال له بولس لعنه الله: إني ذاهب الآن إلى المسيح، وإن عندي سراً أودعك إياه قبل الممات فاعلم مقداره، وأرفع منارة، فقال له: وما هو أيها الأب القديس؟، فقال له: إن المسيح هو ابن الله تعالى فقال له: ابن الله؟؟!!، فقال له: ابن الله ولولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر، فصمم الملك على ذلك ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم، ثم دخل الملك الأوسط فقال له: إن عندي سراً عظيماً، وإنى ذاهب إلى المسيح وإنى أؤثرك به فاحفظه واعمل به فقال له: ما هو؟؟،قال له: مريم زوجة الله، فاعتقد الملك ذلك ولم يكن سمعه بل ذلك الوقت، ثم دخل عليه الملك الأصغر، فَهوَّل عليه وطَوّل مثل الأولين وأودعه: «إن الله ثالث ثلاثة»، ثم خرج عند تعالي النهار والعالم قيام في صعيد واحد ينظرون ماذا يكون من أمر بولس؟ فخرج من صومعته وعليه ثياب القربان ومعه سكين مرهفة، ونزل إلى سفح الجبل، وذبح نفسه بيده والعالم ينظرون إليه فابتدره الملك الكبير، بعد زهوق روحه وأخذه ليحمله إلى وطنه، لتكون بركته في مملكته، فتنازعه الملكان الآخران فقسموه بينه وبينهم أثلاثاً، وأخذ ثلثه الذي فيه الرأس، فنازعه الملكان في ذلك الثلث، لاشتماله على أشرف الجسد فاقتضي الحال إلى أن أحرقوه وسحقوه وقسموه أثلاثاً، ليحصل العدل والتناصف، ثم ذهبوا إلى بلادهم فأظهر الملك الأكبر معتقده الذي أَسَرَّهُ إليه، وكذلك الملكان الآخران، فأنكر كل منهما على صاحبه مقالته، وقال: إن الراهب بولس لم يقل هذا، ولا جاءت به النبوات ولا الكتب فهو كفر، فقاتل كل منهما الآخر ديانةً وتقرباً فصار بأسهم بينهم شديداً والقتل فيهم بسيوفهم، وبسيوف اليهود، وكان ذلك مراد بولس، فانظر ما أشد هذا الحقد وما أبلغ هذا الكيد!!

وقالت فرقة من المؤرخين عندنا وعندهم: إن عيسى (عليه السلام) لما دعي بني إسرائيل للإيمان أجابه نفر يسير، ثم رُفع فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل؟ فكانوا يجاهرون بني إسرائيل ويدعون للإيمان، فقام بولس اليهودي ويسمى قولس أيضاً وكان هو الملك في بني إسرائيل فهزمهم وأخرجهم من الشام إلى الدروب فأعجزوه فقال قولس: «إن كلامهم يستحلى؛ فإن لم تقدموا على عدوكم وتردوهم عن ملتهم يتكثرون علينا، فتعاهدونني على كل شيء خيراً أو شراً». ففعلوا فترك ملكه وخرج إليهم. وقد لبس

لباسهم ليضلهم، وقالوا: الحمد لله الذي أمكن منك، فقال لهم: إجمعوا أكابركم، فإنه لم يبلغ مني حمقي أن آتيكم إلا ببرهان، فقال أكابرهم: ما لك ؟؟، قال: لقيني المسيح عند منصرفي عنكم، فأخذ سمعي وبصري وعقلي فلم أسمع ولم أبصر ولم أعقل، ثم كشف عني فأعطيت الله عهداً أن أدخل في أمركم، فأتيت لأقيم فيكم، وأعلمكم التوراة وأحكامها فصدقوه، وأمرهم أن يبنوا له بيتاً ويفرشوه رماداً ليعبد الله تعالى ففعلوا، وعلمهم ما شاء الله، ثم أغلق الباب، فأطافوا به وقالوا: نخشى أن يكون رأى شيئاً يكرهه ثم فتح بعد يوم، فقالوا: رأيت ما تكرهه؟، قال: لا، ولكني رأيت رأياً أعرضه عليكم فإن كان صواباً فخذوه، وهو: هل رأيتم سارجة تسرج إلا من عند ربها وتخرج إلا من حيث تؤمر به؟، قالوا: نعم، قال فإني رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج إنما تأتى من ههنا، وذلك أحق الوجوه أن يصلي إليه، قالوا: صدقت فردهم عن قبلتهم بيت المقدس إلى الشرق المحض ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين، ففزعوا أشد من الأول وأطافوا به، ففتح الباب، فقالوا: رأيت شيئاً تكرهه؟؟، قال: لا، لكني رأيت رأياً، قالوا: هات قال ألستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل الهدية فردها شق عليه وأن الله تعالى سخّر لكم ما في الأرض جميعاً وما في السماء؟؟، والله تعالى أحق أن لا يُرد عليه فما بال بعض الأشياء حلال وبعضها حرام؟، ما بين البقة إلى الفيل حلال، قالوا: صدقت فاتبعوه في إباحة المحرمات، ثم أغلق الباب بعد ذلك، ثلاثاً، ففزعوا أشد من الثانية، فلما فتح قال لهم: إني رأيت رأياً، قالوا: هات قال: ليخرج كل من في البيت إلا «يعقوب» و «نسطور» و»ملكوت» و «المؤمن»، ففعلوا، قال: هل علمتم أن أحداً من الإنس خلق من الطين خلقاً فصار نفساً؟؟. قالوا: لا، فقال: هل علمتم أن أحد من الإنس أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى؟، قالوا: لا، قال: فإني أزعم أنه الله تعالى تجلى لنا ثم احتجب، فقال بعضهم: صدقت، وقال بعضهم: لا ولكنه ثلاثة: والد وولد وروح القدس، وقال بعضهم: إلٰه وولده، وقال بعضهم: هو الله نجم[1] لنا، فافترقوا على أربع فرق، فأما يعقوب فأخذ بقول بولس: إن المسيح هو الله وبه أخذت شيعته وهم اليعقوبية، وأما نسطور فقال: إن المسيح ابن الله تعالى على جهة الرحمة وبه أخذت شيعته النسطورية؛ إلا أن شيعته لم يعتقدوا أنه على سبيل الرحمة؛ بل على ما تقدم، وأما ملكوت فقال: إن الله تعالى ثلاثة، وبه أخذت شيعته وهم الملكانية، فقام المؤمن وقاله لهم: عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم ونحن أصحاب المسيح قبله، وقد رأينا عيسى (عليه السلام) ونقلنا عنه وإنما هذا يضلكم، فقال بولس للذين اتبعوه: قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن، ونقتله هو وأصحابه وإلا أفسد عليكم دينكم، فخرج المؤمن بالمسيح إلى قومه

---

(١) يقال: نجَمَ الشيء أي ظهر وطلع.

وقال ألستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله وكذا قال لكم؟، قالوا: بلى، قال: فإن هذا الملعون أضل هؤلاء القوم، فركبوا أثرهم، فهزموا المؤمن وأصحابه، فخرجوا إلى الشام فأسرتهم اليهود، فأخبروهم الخبر، وقالوا: إنما نحن خرجنا إليكم لنأمن في بلادكم، ومالنا في الدنيا من حاجة إنما نلتزم الكهوف والصوامع ونسيح في الأرض فتركوهم، ثم فعل بعض الذين كفروا مثل أصحاب المؤمن من الصوامع والرهبنة، فهو قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧] وأدرك النبي ﷺ من أصحاب المؤمن ثلاثين راهباً فاتبعوه، وماتوا على الإسلام وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤] أي بالحجة وكانت هذه الواقعة بعد المسيح (عليه السلام) بأربعين سنة، ثم لم يزل الأمر كذلك لم يستقر للجميع قدم إلى زمن الملك قسطنطين قيصر بعد رفع المسيح (عليه السلام) بمائتين وثلاث وثلاثين سنة[1] فكسر عدوه، وكاد ملكه يذهب باختلاف رعايا عليه، وضعفهم وكسلهم عن نصرته، فرام جمعه على شريعة واحدة فأشار عليه أهل الرأي من دولته أن يتعبد القوم بطلب دم ليكون ذلك أنسب لنصرته، فوجد اليهود يذكرون في تواريخهم أن رجلاً جاءهم يدعي نسخ التوراة والانفراج بالتأويل، فطلبوه وهو في نفر يسير ممن اتبعه، فظفر بواحد منهم، وشهد رجل بأنه المطلوب فصلبوه، ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك، فحينئذ عمد قسطنطين إلى من ينتسب إلى دين المسيح (عليه السلام) فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم، فاستخرج ما بقي من رسم شريعتهم المنسوبة للمسيح (عليه السلام) وجمع علماءه ووزراءه فأثبت ما أعجبه منها، وتحكم فيها باختياره وما وافق مقصده كالقول بالصلبوت وتعبد القوم بطلب دم المصلوب، وكترك الختان لأنه شان قومه، ثم أكد ذلك بمنامة ادعى أنه رآها، فجمع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه، وقال: رأيت أني أنصر بهذا الشكل وأغلب الأمم أي الصليب فأعظموا ذلك، وكان في زمنه بكاهنة بعث إليها، فقالت مثل ذلك، فتأكد قوله ومنامه[2]، ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل حتى غزا غزوة به، فغلب فهول عليهم ووعظهم وبالغ في ذلك، فسألوه عن سر الشكل؟، وألحوا عليه، فقال لهم: «أوحيَ إليَّ في نومي أنه كان أنه تعالى هبط إلى الأرض من السماء فصلبه اليهود»، فهالهم ذلك كثيرا

---

(١) في النسخة المطبوعة على هامش الفارق: ثمانين سنة، وهو تصحيف، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان. [٢/٢٩٦]: وكان من ميلاد المسيح إلى ظهور الصليب . يعني في عهد قسطنطين . ثلثمائة وثمان عشرون سنة، وفي نسخة ثلثمائة وثلاث وعشرون سنة، نقل ذلك ابن القيم عن سعيد بن بطريق النصراني في تاريخه.

(٢) ذكر ابن قيم الجوزية قصة الصليب ودخوله في النصرانية في كتابه إغاثة اللهفان [٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧] وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/ ٢٢٣ ـ ٢٣٦).

مع ما تقدم عندهم من تصديقه فانقادوا إليه انقياداً حسناً وتأكدت أسباب دولته، وشرح هذه الشرائع التي بأيديهم اليوم أو أكثرها، ولعل أكثر ما في الإنجيل أو كثيراً منه من تلفيقات قسطنطين، وهذه التواريخ لا ينكرها النصارى من حيث الجملة، وإن أنكروا بعض تفاصيلها ولا يقدروا أن ينكروا محاربة بولس اليهودي ولا إجلائهم من الشام، وكذلك قسطنطين، وهذا الملعون بولس هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد، والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم في الختان وغيره، وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك فالنصارى له في غاية الإجلال وعلى رأيه وأقواله في غاية الإقبال، وكفى بهذه الثلمة في دين النصارى خللاً عظيماً، لم تترك لهم عقلاً مستقيماً، ولا قلباً سليماً وقد وقع في كتبهم الفقهية تأويل الختان، التزموا فيه على التوراة الباطل والبهتان، فقالوا: «المراد بالختان في التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب، لأن اليهود كانت قلوبهم غلفاً، فغلوفة القلب هي المضرة، وأما غلفة اللحم لا مضرة فيها بل الأحسن ترك الاختتان كما خلقها اله تعالى»، هذا نص كلامه، فانظر كذبه على الله تعالى في قوله إنه أراد غلوفة القلوب، ولو كان صحيحاً لنَبَّه موسى (عليه السلام)، ولما فعل الختان يحيى وعيسى وسائر الأنبياء (عليهم السلام) الذين حكموا بالتوراة ولم يزالوا يأمرون بالختان.

وثانيهما: أنهم سفهوا أحكام الله تعالى ورسل الله؛ حيث قالوا: لا منفعة في ذلك مع أن الله تعالى قد حكم به، وبلغته رسله وعلموا به. ثم إنا نبين فوائده حتى يظهر كذبهم في قولهم إنه لا فائدة فيه:

١ ـ **فمنها**: ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى في الدار الآخرة وأعظِم بالسعادة الأبدية فائدة.

٢ ـ **ومنها**: أنه لا يتأتى مع بقاء القلفه مبالغة في النظافة ومع زوالها يتأتى ذلك.

٣ ـ **ومنها**: أنه ألذ في الجماع وأسرع لمجيء شهوته وقد تكسل الغرلة عن الإنزال؛ ووجهه: أن رأس الحشفة أنعم من الجلدة ومع الخشونة يبعد الإنزال، بل النعومة أصل في هذا الباب.

٤ ـ **ومنها**: أنه أسرع في تدافع الإنزال وانزعاج الماء لعدم الغلوف والغرلة تثبطه وتبعده وتفتره، وإذا خرج فاتراً قلّت اللذة وبعُد عن محل التخليق فَبَعُدَ حصول الولد، الذي هو أسمى المقاصد في النكاح استبقاء للنوع الإنساني الشريف وتسبباً لإيجاد من يعبد الله تعالى ويوحده.

٥ ـ **ومنها**: أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان وأيادي امتنان وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها ولا يبقى لها أثر في الوجود إلا الختان فإنه يبقى مخلداً في الجسد إلى

الممات، وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقي الإنسان على توجه الأمر الرباني عليه وأنه حاز شرف الإنابة والطاعة لديه، وكفى بهذه المنة شرفاً للإنسان على مر الزمان، وإليه الإشارة بقوله في التوراة: «ليكون عهدي ميسماً في أجسادكم عهداً دائماً على الأبد»، فهذه خمس فوائد جليلة عظيمة جهلها الأغبياء وشقي بتركها السفهاء.

وثالثها: أنهم تركوا أحكام الله تعالى بالتوهم، وتابعوا اللهو والتحكم وتأولوا من غير حاجة للتأويل ورفضوا نص التنزيل، وذلك هو التحريف والتبديل.

ورابعها: ما كفاهم رفع كتاب الله تعالى حتى فضلوا أهواءهم على شرع الله تعالى فقالوا: والأحسن كأن تترك الأجساد كما خلقت، فما أعجبهم يتبعون وهم مبتدعون، ويعظمون وهم يهزؤون، لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون وإذا وقفت على كتبهم التي فيها نتائج محافلهم التي اجتمعوا فيها لتأسيس الأحكام وتلفيق النظام، رأيت عجباً عجيباً ومذهباً غريباً كيف اشتملت تلك المحافل على تيوس الأنعام بل حشرات الهوام؟!، قد أعملوا أفكارهم الرديئة فاستنبطوا آراء غير مرضية فسموها أحكام الله تعالى على العباد(١)، وهذا غاية الجهل والفساد والتمرد والعناد والقدوم على الموت بغير زاد.

السؤال السادس والأربعون:

النصارى بزعمهم أن مريم أم المسيح (عليه السلام) تنزل على دار المطوان بطليطلة في يوم معروف في السنة بكسوة تلبسها لهم، وهم جازمون بذلك ببلادهم، فيقال لهم: نزلت بإذن الأب أو بغير إذنه؟ فإذا نزلت بإذنه فلم لا يرسل بعض الملائكة ويوقر أم ولده فصانها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبي عنها، وإن كان من غير إذنه فكيف اصطفى الأب لنفسه من يتصرف من غير إذنه ويعاشر الأجانب وهو لا يعلم؟؟!

السؤال السابع والأربعون:

النصارى يصلون للشرق، ويتحرون مطلع الشمس قبلتهم حيث كانوا، والمسيح (عليه السلام) طول مقامه يصلي لقبلة بيت المقدس، وكذلك موسى (عليه السلام) وجميع النبيين (عليهم السلام) واعتذروا عن هذه الزلة العظيمة والبدعة الشنيعة بأنها الجهة التي صلب إليها إلههم، ولو أن لهم عقلاً لرفض هذه الجهة في العادة فكيف في العبادة؟ وكيف يجوز

(١) اجتمعت النصارى عدة مجامع تزيد على ثمانين مجمعاً، ذكر تفصيل بعضها ابن القيم في إغاثة اللهفان [٢٦٩/٢] فما بعدها، والشيخ محمد ابو زهرة في كتاب محاضرات في النصراينة [١٤٦ - ١٨٠]

أن يحدثوا في دينهم ما لم يكن فيه، بناء على فعل شر خلق الله تعالى اليهود، وهل هذا إلا من تلاعبهم بالدين وانتظامهم في سلك المجانين.

السؤال الثامن والأربعون:

النصارى يبول أحدهم ويتغوط، ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاته وهو متضمخ ببوله وبرازه وهو مما أحدثوه بعد المسيح (عليه السلام) ولا يوجد في شريعة من الشرائع إهمال الأدب مع الله تعالى في مناجاته والوقوف بين يديه بل الشرائع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدي الله تعالى إلا على أكمل أحواله، فيجمعون في صلاتهم بين ملابسه أقبح القاذورات ويستقبلون ما لم يشرع لهم من الجهات، ويتضرعون إلى رجل من بني آدم قضوا عليه بالهوان والممات، ويسألونه بالمسامير التي سُمِّرَ بها على الخشبة أن يغفر لهم الزلات، وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف[1] لأشبعهم بالضرب العنيف، وأنف أن يكون هؤلاء من خدمه أو معدودين من حشمه.

السؤال التاسع والأربعون:

رهبان النصارى وقساوستهم يرون أن من أراد التوبة يعترف لهم بمخازيه وذنوبه، وإلا فلا يُقبل له توبة فإذا اعترف للبطريرك أو القس غفر له ذنبه كأنه ربه أو خالقه، ويبعثون العصاة على المجاهرة بالمعاصي، وكتمان المعصية أخف جناية من إظهارها ويسلطون ولاة الأمور على أموال الناس بالاطلاع على معاصيهم وجناياتهم وينشرون الفاحشة والفضيحة والعار في الذراري والأعقاب ويبقى أهل ذلك البيت سُبة على وجه الدهر، وهذه مفاسد كبيرة لم تأمر بها شريعة، ولكنها من بدعهم الفظيعة وهذا مشهور بعكا وسائر مدن النصارى، وأي ذنب سكت عنه وخبأه لا يغفره الله له.

السؤال الخمسون:

زاد النصارى في صومهم الكبير جمعة يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس، بسبب أن الفرس لما استولوا على بيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك وكانوا أشد فتكاً فيهم من الفرس، فلما توجه هرقل إلى البيت المقدس شكا إليه النصارى ما لقوا من اليهود وسألوه قتلهم، فاعتذر بالتأمين، فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة[2] في أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحوم في الصوم ما دامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونكتب بذلك إلى الآفاق غفراناً لذنبك، فأجابهم وقتل

---

(١) الكنيف: المرحاض [مكان قضاء الحاجة].

(٢) انظر إغاثة اللهفان [٢/٢٩٣] فما بعدها.

اليهود وفعلوا ما قالوا، وهذا من التلاعب بالدين موجبون ما لم يوجبه الله تعالى، ويحرمون من اللحم ما لم يحرمه الله ويزيدون في قربات الله تعالى ما لم يأذن به، وهذا غاية اللعب بالرسائل الربانية والنواميس الإلهية، ثم أنهم التزموا ستين يوماً. ولا نكاد نجد من نسأله عن الصوم الواجب منهما كم هو؟ فيعرفه؟ وكان القسيس حفص أفقه من نشأ في النصرانية وأزكاهم وأعرفهم، على أنه ليس في القوم رجل رشيد، إلا أنه كان في ذمة المسلمين وتعلم من علومهم ما مَيَّزَهُ بين النصارى، ومع ذلك إذا أخذ يتحدث في دينهم يتلجلج لسانه ويتعجم بيانه، لأجل قواعدهم الرديئة، وآرائهم الدنيئة، وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر؟، قد نص القسيس حفص في كتبه وقد سأله سائل عن صيامهم الواجب؟، فقال: أول من صام الأربعين يوماً موسى بن عمران (عليه السلام) وصامها بعد ذلك إلياس النبي الذي رفعه الله إليه في عصر بني إسرائيل، ثم بعد ذلك صامها المسيح وأما العلماء فكملوها ثلاثة وأربعين، وإنما هي عُشر أيام السنة؛ كما قال بولس الحوارى في بعض رسائله: «كما تؤدون العُشر من أموالكم فأدوا العُشر من أبدانكم»، فهذا هو الصيام المفروض فأخذ يبين أن الثلاثة والأربعين واجبة؛ بما يقتضي أنها ليست واجبة؛ لإخباره أن أخيارهم وأوجبوا الثلاثة من عند أنفسهم، مع ان عيسى وموسى وغيرهم من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين لم يبينوها فإن كانت واجبة فما بلغوا أحكام الله، واعتقاد ذلك فيهم كفر وإن بينوها لبيان لم تكن واجبة فلم أوجبها الجهال منكم، واعتمدوا على قول بولس الذي بَيَّنَّا أنه يهودي، قد سلَّكم من الدين كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، فأفسد عليكم دينكم وأحكامه، فأحدث لكم القول بالثالوث وأبطل الختان، وحولكم عن قبلة الأنبياء (عليهم السلام) إلى الشرق، أحل لكم المحرمات، وأوقعكم في المعضلات بالخيالات والترهات، وهب أنه حواري كما زعمت أنه ادعاه، فلعله ارتد كما ذكرتم أن يهوذا من الحواريين ارتد، سلمنا أنه حواري لم يرتد فاتباع الحواري غيره من دون الإنجيل أولى، ولم يذكروا هذه الأيام الثلاثة، بل أتباع موسى والنبيين صلوات الله عليهم أولى، فإنه ليس نبياً ولا ينقل عن الله تعالى ثم قوله: «هي عشر أيام السنة»، علمهم فيها بالحساب، كعلمهم بالحساب في الواحد جعلوه ثلاثة وجعلوا الثلاثة واحداً، وهو أظهر أنواع الحساب ومراتبه؛ بل عشر أيام السنة ستة وثلاثون يوماً وبعض يوم؛ لأن السنة الشمسية ثلاثمائة يوم وستون يوماً وخمسة أيام وربع يوم مجبور، فعُشر ثلاثمائة: ثلاثون، وعُشر ستين: ستة، وخمسة وربع عُشرها: بعض يوم، وفي السنة الكبيسة، فهي في كل أربع سنين ستة بسبب اجتماع الربع يكون ثلاثمائة وستة وستين يوماً، يكون العُشر ستة وثلاثين يوماً فأين الأربعون؟ فضلاً عن ثلاثة وأربعين، ومن غلط في الثلاثة لا غرو ولا عجب أن يغلط في عُشر ثلاثمائة وخمسة وستين، ثم المنقول في التواريخ أن الله تعالى إنما أوجب على بني إسرائيل ثلاثين يوماً كشهر رمضان الذي جاءت به شريعتنا المطهرة، ثم

أنهم وجدوه يأتي في شدة الحر أحياناً فشق ذلك عليهم، فآثروا أن يزيدوه عشرة ويحولونه إلى الشتاء فتجبر صعوبة الحر بزيادة العدد فصارت أربعين يوماً من يومئذ، ثم زادوا لهرقل جمعة كما تقدم بيانه، واتصلت الزيادة بزيادة بولس وغيره إلى ستين، ثم أن من تخلفهم يصومون الكل بنية واحدة، ولا يقصدون ما أوجبه الله بنية تخصه، وما ابتدعوه بنية تخصه، ثم نقول لهم: كيف تعتقدون أن موسى (عليه السلام) إذا صام أربعين يوماً يلزم أن يكون الجميع واجباً أو شيء منها واجب؛ فإن الأنبياء (عليهم السلام) كما يفعلون الواجبات يفعلون التطوعات، بل هم أولى الناس بها، فلم قلتم أنهم صاموا على وجه الوجوب؟، ولعل الله تعالى لم يوجب صوماً في التوراة البته، بل أمر به تطوعاً، فالقضاء على ذلك الصوم بالوجوب جهل، حتى تنقلوا أن موسى (عليه السلام) قال صُمْتُه على سبيل الوجوب، أو قال: احملوا أفعالي كلها على الوجوب حتى أقول لكم هي غير واجبة، لكنهم لم ينقلوا شيئاً من ذلك، فقد حكمتم بالجهل ثم أنكم تفطرون من العصر، ومن أين لكم أن الصوم لهذا الوقت يجزي؟، بل ظاهر النقل إن صح أن موسى (عليه السلام) كان يصوم أربعين يوماً وأنه يصوم النهار من أوله إلى آخره، فالاقتصار على خلاف ما نقلتموه إفساد للدين، وبالجملة فأصل النقل لم يثبت بالعدل عن العدل، والتفقه فيه في غاية الفساد، فهو فاسد مبني على فاسد، ثم العجب من اليهود والنصارى أنهم أجمعين يدعون اتباع التوراة، وقد اقتسموا في الصوم طرفي الإفراط والتفريط، فالنصارى يصومون ستين، واليهود يوماً واحد من كل سنة، فليت شعري أين التوراة من هاتين الفئتين لقد تفرقت بها السبل أيدي سبأ[1] والتزموا اتباع الهوى ديناً ومذهباً.

السؤال الحادي والخمسون:

للنصارى عيد ميكائيل، ليس له أصل في الشرع، بل ابتدعوه بسبب أنه كان في الإسكندرية صنم يعمل له أهل الإسكندرية ومصر عيداً عظيماً. ويذبحون الذبائح، فولي بطريرك الإسكندرية الأكصيدورس فرام ذلك الصنم، فلم يقدر من عوام النصارى فقال أن تعييدكم لصنم لا يضر ولا ينفع جهل وضلال وكفر، فلو جعلتم العيد لميكائيل الملك وذبحتم له هذه الذبائح لكان يشفع لكم عند الله تعالى وذلك خير لكم من الصنم فأجابوه، وكسر ذلك الصنم، واتخذ منه صلباناً، وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل، واستمر ذلك إلى اليوم ولا أصل له في الدين، وذلك ضلال عظيم[2].

---

(١) تقدم ذكر معنى هذا المثل في الباب الأول في بيان تناقض الأناجيل [التناقض الخامس عشر].

(٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم الجوزية [٢/ ٢٩٤].

السؤال الثاني والخمسون:

لهم عيد الصليب وعيد النور وغيرهما، لا أصل لهما في شرعهم، وقد زادوها في شرعهم وشعائرهم بجهلهم، وسبب عيد الصليب أن اليهود لعنهم الله اتخذوا المقبرة التي دفن بها الشبه[1] مزبلة للأوساخ والأقذار، تحقيراً وإهانة للمصلوب، واستمر ذلك كذلك نحو ثلاثمائة سنة، فجاءت امرأة قسطنطين الملك[2] الخبيث الملعون فأمرت بالكشف، وظهرت المقبرة وفيها ثلاثة صُلبان، وهي صليب لِلِصِّين[3] والشبه، فأشكل عليها صليب المسيح (عليه السلام) على رأيها وأرادت عرفانه، وكان ثمة مريض به علة عظيمة فوضعت عليه صليباً بعد صليب فلم يبرأ، فوضعت الثالث فبرأ لحينه، فقالت: هذا صليب الرب فلفته بالذهب وبعثته إلى الملك، ثم إن النصارى جعلوا ذلك عيداً[4]، وعظموا الصليب غاية التعظيم حتى صوروه في كنائسهم، وطبعوه على أجسامهم وأثوابهم وقربانهم ولو أمكنهم أن لا يخلوا شيئاً لفعلوه، ومنهم من يُصَلِّب على وجهه بأصبع واحدة وهم القبط، وبإصبعين وهم الروم وبالعشرة وهم الإفرنج وهو شيء لم يجدوه في كتاب من الكتب، ولا في الشرائع ابتدعوه بآرائهم الفاسدة وعقولهم السقيمة، بل العاقل يُهان غلامه أيسر الإهانات، فيود لو نسيت تلك الإهانات، وخفيت آثارها تعظيماً لقدر لغلامه، فكيف رضي بإهانة ربه على زعمه بتلك الإهانات العظيمة المتنوعة، فلو كانوا عقلاء محوا آثارهم وأخملوا شعارها وراغموا اليهود في إخماد غيظهم، ومحو آثار صنيعهم بل صاروا لليهود على إظهار ذلك العدوان أعواناً، وجعلوا شعار هوان ربهم قرباناً ولو نزل التلاميذ اليوم لم يعرفوا شيئاً مما عليه النصارى الآن، ولا وجدوهم في سلك دين من الأديان، فَأَنَّى يحل لهم بعقلهم الفاسد أن الصليب ينبغي أن يعظم لكون الرب صعد إلى السماء، فهو فاسد وإن قاله كثير؛ لأنه عندهم دفن بعد الصلب بثلاثة أيام وصعد من القبر إلى السماء، فالقبور حينئذ أولى بالتعظيم، وإن كان ولابد من هذا الباب ففي الإنجيل: «إن المسيح (عليه السلام) ركب الحمار عند دخوله المدينة وبين يديه الصبيان ينادون: مبارك الآتي باسم الرب»، فركب الحمار في حال تعظيمه، والصليب في حالة إهانته فينبغي لهم أن يعظموا الحمير ويصمخونها بالعبير، ولا يركبونها صيانة لمركوب المعبود عن ملابسة العبيد!، وهي أفضل من الصليب؛ لأنها حيوان وهو جماد، وأين آثار السعادة من آثار الإهانة والإنكار.

---

(١) يعني الرجل الذي قتلوه وظنوا أنه المسيح (عليه السلام).

(٢) الذي في إغاثة اللهفان [٢/ ٢٩٥] أنها زوجة قسطنطين بينما في [الجواب الصحيح] لشيخ الإسلام ابن تيمية أنها هيلانة أم قسطنطين [٣/ ٢٢].

(٣) يزعمون أنه صلب لصان مع المسيح (عليه السلام).

(٤) انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٢٩٥ . ٢٩٦]، الجواب الصحيح لابن تيمية [٣/ ٢٢].

السؤال الثالث والخمسون:

أكثر النصارى يسجدون للتصاوير في الكنائس[1]، وهو من كفرهم القبيح، وأي فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير؟، ولو أن السجود للصور [حق] لسجدت التلاميذ للمسيح (عليه السلام) فى حال حياته، فإن صورته أفضل مما يصورونه في الكنائس، وليس في كتبهم حرف من شرع التصوير ولا من السجود للتصاوير، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد وكفر من يفعل مثل هذا، فهم كفرة فجرة على كل كتاب أنزل وعلى كل نبي أرسل.

السؤال الرابع والخمسون:

جوزت النصارى على الباري تعالى النزول والطلوع والحركة والسكون وهي من خواص الأجسام المحدثة ولا يكون إلا في المخلوقات المخترعة المدبرة؛ فيلزمهم أن إلههم جسم محدث؛ ومخلوق مدبر وهم لا يشعرون.

السؤال الخامس والخمسون:

أكلت النصارى لحوم الخنازير وأحلوها بعد تحريمها في زمن المسيح (عليه السلام) فى التوراة والإنجيل؛ فراغموا الكتب وخالفوا الرسل؛ ففي التوراة: «الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه» وهو نص لا يحتمل التأويل؛ وفي إنجيل مرقس: «إن المسيح (عليه السلام) أتلف الخنزير، وغرق منه في البحر قطيعاً كثيراً، وقال لتلاميذه: لا تعطوا القدس الكلاب، ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير»، فقرنها بالكلاب، فمن أحلها فقد كفر بموسى والمسيح (عليهما السلام)، ويروون عن بطرس أنه رأى في المنام أن صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات والخنازير وقيل له: كلْ منها ما أحببت، الشرائع لا تدون بالأحلام، والرسل (عليهم السلام) لا يكذبون بالمنام مع أنا نمنع صحة هذا النقل عن بطرس، فإنه ليس عندهم نقل صحيح، لعدم رواية الكتب عن العدول، والضبط لحروفها وما فيها من معانيها.

السؤال السادس والخمسون:

التزام النصارى أن الراهب والراهبة لا يتزوجان، وأن الزواج مناف لباب التقرب إلى الله تعالى، وأن ترك النكاح من جملة المناسك والقربات، ويعرضون النساء والرجال للزنا والفساد في بيوت العبادات، ويسدون باب الذرية الصالحة ومن يعظم الله تعالى ويمجده ويقدسه، وهو أمر لا يجدون له عندهم أصلاً إلا قول الإنجيل: «من ترك زوجة أو بنين أو

---

(١) انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٢٩٢].

حقلاً من أجلي فإنه يعطى للواحد ألفاً»، فقد صرح بأن ترك الزوجة يثاب عليه، وهم على ضلال فيه من وجوه:

أحدها: أن الأولاد لا يجوز تركهم بغير كفالة، ومن نسب المسيح (عليه السلام) للجهل بذلك فقد كفر، وتعين أن يكون المراد من ترك زوجة لله تعالى إذا طلبت فراقه لعجزه أو لسبب آخر، وترك البنين: [أي أنه] لا يشتغل بمحبته إياهم عن طاعة الله تعالى.

وثانيها: أنه سماها زوجة، وإنما تكون زوجة إذا عقد عليها وحازها، فهو أمر بالفراق إذ أمر الله تعالى [به] [وليس أنه] أمر بترك الزواج، كقوله تعالى في القرآن ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فكما أن الزواج يكون لله تعالى يكون الفراق له.

وثالثها: أنه معارض بقول المسيح (عليه السلام) فى الإنجيل: «من طلق زوجته باطلاً فقد عرضها للزنا»، فقد نهى عن الطلاق بغير سبب يوجبه، وأمر بدوام الزوجية عند عدم سبب الفراق.

ورابعها: الزواج مشتمل على قُربات، [منها]: عفاف الزوجية، وعفاف الزوج والتسبب لعبد صالح يعظم الله تعالى، وإرغام الشيطان بصون الإنسان عن موارد العصيان، وهذه القربات أفضل مما انقطع إليه الرهبان من الصلوات، ثم النكاح والتناسل سنة الأنبياء (عليهم السلام) وخواص الأولياء، ودأب النجباء والأقوياء، وفي كتبهم أن الله تعالى امتن على إبراهيم (عليه السلام) وزكريا (عليه السلام) بنعمة الأولاد.

وقد قال مرقس في الرسالة الثانية عشرة: «إن القس حقيق بأن يكون غير ملزم فإنه وكيل الله، غير حقود ولا مستبد برأيه، ولا مجاوز القصد في الخمر ولا تسرع يده إلى الضرب، وأن يكون محباً للقربات والأعمال الصالحات، عفيفاً باراً خيراً ضابطاً لنفسه عن الشهوات غنياً بالعلم والتعليم. وله زوجة واحدة وبنون صالحون». وهذا نص في حسن النكاح، والتسبب للعفاف، فمن خالفه فد ضل عن سنّة النبيين، وأحدث البدع القبيحة في الدين، وما هي إلا نزعة فلسفية وخيالات سوداوية.

السؤال السابع والخمسون:

النصارى اليوم كلهم معترفون بأنهم عصاه جناة، رافضون لشرائعهم، متبعون لطبائعهم؛ وذلك أن مذهبهم الاستسلام وترك القتال والانتصار، وعدم مدافعة الكفار وترك الأخذ بالثأر، لما في الإنجيل: «من لطمك على خدك فحول له الآخر». وقد تقدم هذا الفصل مستوعباً، وفيه: «أحبوا مبغضيكم وصلوا على لاعنيكم» وكفى بهذا.

ويقولون: لو أراد المسيح (عليه السلام) الحروب لم يستسلم، وقد قال بولس: في الرسالة الحادية عشر: «اهرب من جميع الشهوات واسْعَ للرب والإيمان والود والتسليم، واترك المنازعات فإنها تورث القتال، وليس يحل لعبد أن يقاتل»، هذا قول بولس ومع ذلك فهم اليوم أشد الناس قتالاً وحرصاً على سفك الدماء، واتباع الأهواء، وهم موافقون على الفصلين، فهم حينئذ معترفون بكفرهم بالشرائع واتباع الطبائع.

السؤال الثامن والخمسون:

اتفقت النصارى على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى واتباع الأهوية في الأحكام، يحلون الحرام ويحرمون الحلال، ويسفكون الدماء ويحبون الأموال والفروج بغير شرع، بل بمجرد اتباع الهوى والوسواس السوداوي من غير شرع منقول، وذلك أنه ليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف لم ينقلوها عن المسيح (عليه السلام) فهي أيضاً في نفسها باطلة، ولو أنها صحيحة فالصلوات وحدها تحتاج آلافاً من المسائل فأين أحكام الله تعالى في بقية العبادات، والأنكحة والمعاملات، والأقضية والجنايات، والودائع والرهون والديون والاتلاف إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات؟؟

وأقل مختصر عند المسلمين يحتوي على عشرة آلاف مسألة، ومع ذلك فهو قطرة في بحر، فكيف خمسمائة مسألة؟، وأكثر رجوعهم إلى أحكام المسلمين مع أحد منهم حرموه ومنعوه من دخول الكنائس، وهذا غاية البعد في الشرائع واتباع الأهوية والضلال، ثم أنهم يحكمون بما لا يرضاه الصبيان ولا طبيعة النسوان كما يصنعون في كرسي مملكتهم بعكا بالشام، إذا أدعى أحد على أحد قتل قريبه دفعوا لكل واحد باسيلقاً من السلاح، ويحلقون رأس الاثنين ويعطونهما قرنين محددين، ثم يخرجون عند باب المدينة، فمن صرع صاحبه بذلك الحديد جلس على صدره، وخسف عينيه بالقرن، وسلمه لولي الأمر، ويُعَيَّن أنه الظالم بسبب أن المسيح قد نصره عليه، وهذا حكم المجانين والضعفة من المغفلين.

السؤال التاسع الخمسون:

قال النصارى: إن يوحنا جلس بأفسيس من بلاد الروم يكتب إنجيله، فنزل مطر فمحا بعض ما كتب، فغضب يوحنا ورفع وجهه إلى السماء وقال: أما تستحي أن تمحو اسم ابن إلٰهك؟، فلم تمطر تلك القرية بعدها، قالوا: وبينها وبين قسطنطينية ألف فرسخ.

وهذا شأن النصارى فيما يستشهدون به على أباطليهم، يبعدون شاهدهم غاية البعد، فانظر هذه الرقاعة كيف يغضب يوحنا على ربه؟، وينازعه في تصرفه في ملكه؟، وجرأتهم على يوحنا في نسبته لهذه الجهالة مع ما له من المكانة!!

السؤال الستون:

قالت النصارى: إن المسيح (عليه السلام) لم يتكلم في المهد، ولم ينطق ببراءة أمه بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار، وتحكم بأنه ولد زنا، مع أنه عندهم قادر على كل شيء، وخالق كل شيء، فيلزمهم أن ما لقيت والدة من ولدها شراً مما لقيت مريم (رضي الله عنها) من المسيح (عليه السلام) وأنه جمع بين عقوق أمه وهتك سترها، وفضيحتها على رؤوس الأشهاد!!، وأعان على التمادي على الباطل، اعتقاداً وقولاً، مع قدرته على دفع جميع هذه المفاسد بغير كلفة، ثم ما اكتفى لوالدته بذلك، حتى ألزمها الصلاة والصوم ومشاق التكاليف وقضى عليها الموت، وجَرَّعها غصص الموت، وسلط على جسدها الفساد وهذا لم يُنسب إلى أقبح ولد من الأولاد، وهو صلوات الله عليه منزه عن جميع ذلك، وإنما يلزمهم هذا من مذهبهم السوء المشتمل على الكفر والعناد.

السؤال الحادي والستون:

مذهب النصارى: إن الخير من الله والشر من الشيطان ووافقهم بعض اليهود، فيلزمهم أن يكون مراد الله تعالى أقل وقوعاً، وأن مراد الشيطان أكثر وقوعاً وأنفذ وأغلب؛ لكون أكثر العالم كفاراً وضلالاً وشريرين اتفاقاً، فيلزمهم أن يكون الشيطان أولى بالربوبية، وأحق بالعبودية، وديننا: أن الخير والشر والنفع والضر كل بيد الله، وهو مسطور في كتبهم ولكنهم لا يهتدون إليه سبيلاً.

ففي التوراة: «قال الله تعالى لموسى (عليه السلام) امض لفرعون وقل له: أرسل شعبي يعبدوني، وأنا أقسي قلبه فلا يرسلهم».

(وفيها): «وقسى الله تعالى قلب فرعون، فلم يؤمن، كما قال الرب».

وهو تصريح بأن الله تعالى يخلق القسوة والكفر في القلوب كما يقول المسلمون.

(وفيها): «لما أخرج الصاع من رحل بنيامين[1]، خرج أخوته وقالوا: من عند الله نزلت هذه الخطيئة»، وهو في التوراة كثير.

وفى الإنجيل: «إني لم آت لأعمل بمشيئتى، بل بمشيئة من أرسلني». كقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]. ونصوص التوراة والإنجيل متضافرة على ذلك، وهم بالكتابين كافرون ولكن لا يشعرون.

---

(١) يعني بنيامين أخو سيدنا يوسف (عليه السلام).

السؤال الثاني والستون:

يقول النصارى: «إن قتل المسيح (عليه السلام) وما جرى عليه كان لأجل التطهير»، فنقول: لتطهير من أمن به أو من كفر؟، فإن قالوا: من كفر، فكيف يكون تطهير الخطايا بأقبح منها من صلب الرب وإهانة الخالق الأكبر؟!!

وإن قالوا: مَن آمن، فكيف يكون فعل الكفار طهراً للأبرار، وإنما يطهر الإنسان عمله الصالح، ثم الإيمان كاف في التطهير وإلا فلا عبرة به، وأي فساد زال من العالم بقتله؟ وأي صلاح حصل؟ بل العالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح، ورفع وخفض، وإبرام ونقض، بل المصيبة التي حصلت بإهانة الرب على زعمهم لم يحصل في العالم قبلها مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان في غناء عن هذا التطهير.

السؤال الثالث والستون:

النصارى يقرؤون بعد الفطر بجمعتين تسبيحة مشهورة عندهم وهي: «صلبوت ربنا يسوع المسيح بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان ودرست آثارها»، وهل هؤلاء النصارى إلا هزءً للضاحكين؟، فأي موت بطل في العالم؟، وأي فتنة انطفأت ودرست؟، فما زال اليهود والفرس والمجوس وعبدة الأوثان وأنواع الضلال من العالم !!، بل ازدادت الضلالات وكثر الكفر والجهل والعناد بوجودهم بين أظهر العالم، ولم يظهر من ولد آدم ما ظهر منهم، وما لهم شبيه فما هم عليه من خلط الكفر بالجنون.

السؤال الرابع والستون:

يقرؤون يوم الأحد من الصوم التسبيحة المشهورة وهي: «أن المسيح هو الذي أنقذ رعيته من الفتن، وغلب بصومه الموت والخطيئة»، ويغفلون عن كون الناس يموتون إلى الآن، وأن المقابر تعمر وأن المنازل تخرب، والعصاة والطغاة أكثر من أن يحصون وهم أكثر العالم، ولكن شغل النصارى بالعناد منعهم من الاطلاع على أحوال العالم، وجَرَّأَهُمْ على الكذب.

السؤال الخامس والستون:

يقرؤون بعد كل قربان: «يا ربنا يسوع الذي غلب بوجعه الموت الطاغي»، وهم لا يشعرون أن الموت أول ما بدأ به عندهم وبأمه وجميع أصحابه، وجميع النصارى إلى أن تقوم الساعة، ولكنهم معذورون لعدم العقل، وليت شعري كيف يذهب الوجع الموت وهو أول مقدماته؟، وإنما يذهب الشيء بما ينافيه، ولكن أين من يعلم المُلائم من المنافي؟

السؤال السادس والستون:

يقرؤون في ثاني جمعة من الفطر: «أن فخرتنا إنما هي بالصليب الذي ذهب به سلطان الموت، وصيرنا إلى الأمل والنجاة»، وينبغي لهم أن يمدحوا اليهود ويعظمونهم لأنهم سبب فخرتهم، ولولا اليهود لم يكن لهم فخرة ولا جلالة، فما كان في ذلك الزمان يجسر على الصلب سواهم، وهذه مرابع الناس قد خلت من الموت، والآمال قد تكررت من خوف الفوت، ولكن لما كان النصارى لا يموت منهم أحد، اعتقدوا أن الناس كلهم كذلك.

السؤال السابع الستون:

يقرؤون في الصلاة الأولى التي يسمونها صلاة السحر وصلاة الفجر: «تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلهنا أيها الرب خروف الله ارحمنا أنت وحدك القدوس المتعال».، فسموه أولاً: «الرب»، ثم جعلوه: «خروف الله»، وليت شعري ما مناسبة الخروف للربوبية حتى يسمى له العالم خروفاً؟، ثم جعلوه وحده هو القدوس المتعالي، وهو هذا الخروف الذي لله تعالى وإذا ثبت توحد الخروف بالقدس والتعالي لا يكون صاحبه كذلك، فصاحبه أولى أن يكون الخروف!!

السؤال الثامن والستون:

يقرؤون فى صلاة الساعة الأولى: «المسيح الإله الصالح، الطويل الروح، الكثير الرحمة الداعى الكل إلى الخلاص»، فجمعوا فيه بين كونه إلهاً وبين كونه طويل الروح، وطول الروح، الصبر على المؤلمات، وهو مناف للوصف بالألوهية؛ لأن الآلام والصبر عليها من خواص البشرية؛ ثم نصوص الإنجيل متضافرة بأنه عبد مربوب كما تقدم بيانه في إثبات عبوديته (عليه السلام) ثم كيف يخصصونه (عليه السلام) بكونه المخلص من الذنوب والخطايا، وأنه الطويل الروح، والأب أولى منه بذلك والروح القدس،؛ فإعراضهم عن هذا إبطال للثالوث أو سوء أدب مع الأب والروح القدس.

ولا خلاف عندهم أن العبادة لأقنوم الكلمة وحدها كفر، فلِمَ كفروا في أول النهار قبل أن يتعالى؟؛ وإنما هو دليل على أن نهارهم مشؤوم عليهم، ثم دعاه الكل للخلاص، أنه دعي مريداً لذلك فقد ثبت عجزه فلا يصلح للألوهية، أو غير مريد فقد أراد كفرهم وهو يهدم أصولهم بالقول بالتحسين والتقبيح، وأن الله تعالى أراد بالكل الخير، ولا يريد المسيح غير ذلك أبداً.

السؤال التاسع والستون:

يقرؤون في صلاة الساعة الثانية: «والدة الإلٰه السماوي»، أنت هي الكرمة الحقانية الحاملة ثمرة الحياة، إليك نتضرع لترحمي نفوسنا، يا والدة الإلٰه السماوي افتحي لنا أبواب رحمتك».

فنقول لهم: هذا من العقائد التي لابد منها في الدين أم لا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا لهم: فإبراهيم وموسى وغيرهما (عليهم السلام) ما كانوا يعتقدون أن لله والدة ولا ولد، ولو كانوا كذلك لوجد في التوراة وكتب الأنبياء (عليهم السلام) فإنهم لا يقصرون في نصح الخلائق وإرشادهم إلى ما يجب من الإيمان، لكنهم لا يجدون في الكتب من هذا حرفاً واحداً، فالأنبياء (عليهم السلام) حينئذ كفرة لجهلهم بهذه الحقائق والعقائد!!.

وإن قالوا: إن هذا ليس من عقائد الأديان، ولا آذنت فيه الكتب الربانية، فقد اعترفوا بالكفر؛ بكونهم نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأذن فيه، ثم أن هذه الصلاة تقتضي عبادة مريم (رضي الله عنها) لتصريحهم بالتضرع لها؛ لترحم نفوسهم؛ وتفتح لهم أبواب الرحمة، ولا معنى للعبادة والربوبية إلا هذا، مع اعترافهم بأن جسد مريم (رضي الله عنها) لم يتحد به كلمة ولا غيرها، بل هي كسائر بنات آدم صلوات الله عليها فقد عبدوا الرجال، وأردفوا ذلك بعبادة ربات الحجال، وصار الثالوث رابوعاً، واستورطهم الشيطان فكان بالوعاً، وأضحوا حمير الضلالة بل جذوعا[1].

السؤال السبعون:

يقرؤون في صلاة الساعة السادسة: «يا من سُمِّرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التي تجرأ عليها آدم، خرق العهد المكتوب فيه خطايانا، وخلصنا، يا من سُمِّر على الصليب وبقي حتى لصق على الخشبة بدمه، قد أحببنا الممات لموتك أسألك بالمسامير التي سُمِّرت بها نجنا بالله».

فليت شعري من علمهم الأدب مع إلههم، حتى يثنون عليه بصفات الكمال ونعوت الجلال، ويتقربون إليه بذكر أفضل الأحوال؟

ثم المسيح عندهم أنه هو الله تعالى وليت شعري، كيف يخطئ آدم فيصلب الرب ليمحو خطيئة العبد؟، ومن المطالب بهذه الخطيئة؟، حتى ألجأ الرب لهذه الرذيلة بل كان يكفي الرب أن يغفر ذنب عبده ولا حاجة إلى شيء آخر، ثم أنهم يجمعون بين وصف

---

(١) الجَذَعة: ولد الشاة في السنة الثانية، وولد البقرة والحافر في السنة الثالثة، وللإبل في السنة الخامسة.

الربوبية وبين ما يناقضها من القهر لها، بل أقبح القهر من أقبح الناس وهو اليهود ولو اعترفوا لليهود بالربوبية، ودانوا لهم بالعبودية، لكان أولى بهم في هذه الحالة من المناجاة بآداب لو قوبل بها شيخ ضيعة لأوسعهم ضرباً بالنعال، وخَلَّدهم في النكال.

السؤال الحادي والسبعون:

يقرؤون في صلاة الساعة التاسعة: «يا من ذاق الموت من أجلنا في الساعة التاسعة إليك ابتهالنا، يا من سلم نفسه إلى الأب لمّا علق على الصليب لا تغفل عنا، يا مَنْ مِنْ أجلنا ولد من العذراء واحتمل الموت، لا تخيب من خلقت بيدك، وأقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذي عاهدت عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب»، ويقرؤون في هذا الصلاة: «لما رأت الوالدة الحمل والداعي ومخلص العالم على الصليب، قالت وهي باكية: أما العالم ففرح بقبوله الخلاص وأما أحشائي فتلتهب عندما أنظر إلى صلبوتك بعيني»، وهذه القراءة مع سخافتها فهي متناقضة، إذا كانوا قد تخلصوا بصلبه من الخطايا أي شي يحوجهم إلى شفاعة أمه فيهم؟، وأي حاجة بهم على هذا التضرع والسؤال وقد بينا فيما تقدم كذبهم في دعواهم خلاص العالم وأحواله لم يتغير منها شيء؟، وما بالهم يسيئون الظن بربهم؟، ويسألوه أن لا ينقض عهده، وما ذلك إلا أنهم فيه رأوا أن الابن صُلب وعجز [الأب] عن خلاصه من اليهود، وكيف يليق أن يخاطب الرب تعالى بأن لا يكذب ولا ينقض عهده، وهل هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

السؤال الثاني والسبعون:

يقرؤون في صلاة المغرب: «يا والدة الإلٰه العذراء، اسعي في خلاصنا وافرحي يا والدة الإله، مباركة أنت في النساء، ومباركة ثمرة بطنك، لأنك ولدت لنا مخلصنا يا والدة الإلٰه، مباركة لا تغفلي عن وسليتنا، ونحن من المعاطيب».

وفى هذه الصلاة: «يا صانع المسيح يوحنا اذكر جماعتنا، ونجنا من المعاطب» فصارت آلهتهم ستة:

الأب، والابن، والروح القدس، ومريم، والمسيح (عليهما السلام) ويوحنا.

ووجدوا هذا الباب بغير ثمن فاستكثروا منه، وإن طال بهم الزمان صارت آلهتهم لا تعد ولا تحصى، وكيف يليق أن يجعلوا يوحنا صانع المسيح (عليه السلام) ؟، ويصرحون بأن يوحنا إلهه، والمسيح (عليه السلام) مصنوع له، وحينئذ قد صرحوا بعبودية المسيح (عليه السلام) وأنه من جملة المخلوقين لكن ليوحنا، فتفتخر اليهود حينئذ لأن الله تعالى خلقهم وكل من كان قبل خلق يوحنا. فإن يوحنا لم يخلقه، وهل هذه الصلوات لا تستحي منها الفضائح وتتعوذ منها القبائح!؟؟

السؤال الثالث والسبعون:

يقرؤون في صلاة النوم: «الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة، لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة، ثالوث واحد»، فما كفاهم ما كفروا به من التثليث حتى يشركوا معهم الملائكة، والتوراة والإنجيل والمزامير تكذبهم في دعواهم على الملائكة ذلك، وتشهد بتوحيد الله تعالى وتبرؤه عن الثاني فضلاً عن الثالث، وقد بينا ذلك فيما تقدم بنصوص هذه الكتب.

ثم قولهم: «قبل الكل»، يقتضي حدوث المسيح (عليه السلام) لأنه لو كان في زمان أبيه لم يكن الله تعالى قبل الكل، وإذا تأخر عنه بالزمان ثبت عدمه في زمان أبيه، والمسبوق بالعدم محدث فالمسيح (عليه السلام) محدث، لكن القوم لا يفهمون القديم من المحدث فلذلك وقعوا في هذه الترهات، وإذا كان المسيح (عليه السلام) محدثاً بطلت ربوبيته وتعينت عبوديته، وانتقض أصلهم ولم يزل منقوضاً.

السؤال الرابع والسبعون:

يقرؤون في صلاة نصف الليل (وهي الثامنة من صلاتهم لا تاسع لها من الرتبات): «تبارك الرب إلٰه آبائنا، وفوق المتعالي إلى الدهر، تبارك مجدك القدوس فوق المسيح، وفوق المتعالي إلى الدهر»، ويكررون هذه الفوقية في هذه الصلاة دفعات، ونسوا أنهم قرأوا في صلاة النوم: «أن المسيح نظيرك في الابتداء وروح القدس مساويك في الكرامة»، فإن صدقوا في الأولى كذبوا في الثانية، وإن صدقوا في الثانية كذبوا في الأولى، فهم الكذبة الفجرة على كل تقدير.

فهذه ثماني صلوات لهم مشتملة على البهت والكفر والفجر وسوء الأدب على الله تعالى وعلى المسيح (عليه السلام) وهم فيها متضمخون بالعذرات ملابسون للقاذورات، حتى أن العُبَّاد منهم إذا مات أحدهم يوجد على شعر مقعدته نجاسات وعذرات متحجرة، كما تتفق على أذناب الأغنام فلو أن فيهم رجلاً رشيداً ناصحاً أشار عليهم بترك هذه الصلوات، والإعراض عن باب القربان، فليس للقوم أهليةٌ للعبادات، ولا آداب تصلح للمناجاة بين يدي رب الأرض والسموات، بل أشبه بالجمادات من الحيوانات.

السؤال الخامس والسبعون:

اختلفت مستندات النصارى في كون المسيح (عليه السلام) ابناً، فننقلها كلها ونبين بطلانها:

١ ـ منهم من يقول: «إنما كان ابناً مسيحاً، لأن الله مسحه بدهن»، وهو باطل؛ لأنه يلزم أن يكون داود وغيره ابناً ومسيحاً لله تعالى لقول داود (عليه السلام) في المزامير: «صبياً كنت في غنم أبي، فأخذني ربي ومسحني بدهن مسحته».

وفى السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة: «أن الخير الممسوح من أولاد هارون هو الذي يتولى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح»، وفي هذا السفر قال الله تعالى لموسى بن عمران: «عَمِّد آل هارون وبنيه وخذ اللباس ودهن المسحتين الذي تمسح به الأخيار، وخذ الجماعة كلها إلى باب فيه الأمر، وقدم هارون وألبسه لباس الكهنة، وكلله بإكليل من ذهب، وصب على رأسه من دهن المسحتين وامسحه وقدسه ففعل موسى (عليه السلام) ذلك».

فالمسيح (عليه السلام) أسوة هذه الصفوة، فلا مزيد له.

٢ ـ ومنهم من قال: بل لأنه سماه ابنه، وهو باطل لما في التوراة أن الله تعالى قال لموسى (عليه السلام) «ابني بكري إسرائيل»، والبكر أجلُّ الأولاد، فيعقوب (عليه السلام) أولى بالنبوة.

٣ ـ ومنهم من قال: بل لأنه أحسن ترتيبه وتأديبه، وهو باطل، فإن مربيه امرأة، ولم يكن الملائكة تلازم بابه وحفظه وتعليمه؛ بل هو كسائر الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في النشأة، لم يوجد في حقه زيادة توجب البنوة.

٤ ـ ومنهم من قال: بل لأنه أطاع الله تعالى فأعطاه ما لم يعط غيره فاتخذه ابناً، قلنا: ففي التوراة: «أن موسى (عليه السلام) عَمَّر مائة وعشرين سنة»؛ وإذا طرحنا عمر الصبي بقي عمر المسيح (عليه السلام) خمس عمر موسى (عليه السلام) فأعماله أعظم، وحكيتم أن موسى (عليه السلام) ملك جانباً من الأرض كبيراً، وقاتل الجبابرة. وجاهد العمالقة، وأباد الفراعنة، وقتل عوجاً مبارزة، وواصل لله تعالى أربعين يوماً وأربعين ليلة لا يذوق طعاماً، وابتلى بخلاف قومه وعنتهم فصبر، وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحب، فلم يهب جباراً وإن عظم قدره، ولا نكل عن عدو وإن تعاظم أمره، حتى فتح الشام ودوخ البلاد، ولما دنا حمامه وقيده من الأجل زمامه، تقدم إلى خادمه يوشع بن نون بفتح باقي بلدان الشام، وأفاض عليه من فاضل همته وصحيح عزمه، ما قوى عزمه وأيد حزمه. فقاتل أربعة وعشرين ملكاً وأبادهم، وهذه أعمال عظيمة لم يوجد مثلها للمسيح (عليه السلام) أو وجد ما يعادلها، فليكن موسى (عليه السلام) ابناً لله تعالى بل في الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) منذ نشأته على ثلاثين سنة مازال مشتغلاً بتعلم التوراة، واقتباس العلم من اتباع موسى (عليه السلام).

٥ ـ ومنهم من قال: «بل حلول العلم الإلـٰهي، أو الكلام على خلاف بينهم في مريم (رضي الله عنها) فتجسد إنساناً فكان ابناً، وهذه مزية لم توجد لغيره».

قلنا: قد بينا فيما تقدم أن العلم والكلام معنيان، وأن المعاني يستحيل انتقالها، ولو انتقلت لزم خلو ذات الله تعالى عنها، والكل محال، فالقول بالبنوة محال.

السؤال السادس والسبعون:

فى إنجيل لوقا: «أن جبريل (عليه السلام) بشّر مريم (رضي الله عنها) بأن ولدها المسيح ابن داود يجلسه الرب تعالى على كرسي أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب»، فجبريل (عليه السلام) يسميه: «ابن داود»، والنصارى تقول: «كلا، بل هو رب داود»، ولقد تباعد ما بينهم وبين جبريل صلوات الله عليه وعادوه وخالفوه بالرد عليه، ومن كان عدواً لجبريل الأمين فلا شك أنه عدو لرب العالمين، وكيف يليق بجبريل صلوات الله عليه أن يجهل قدر المسيح ويقلل قدره، وينسبه إلى البشر وهو منسوب إلى خالق البشر؟؟، لاسيما وذلك في معرض التبشير وهو محل التفخيم والتعظيم، ولو لم يكن في الإنجيل إلا هذا الموضع لكان قاطعاً لحجج النصارى وكافياً في إثبات عبودية المسيح (عليه السلام).

السؤال السابع والسبعون:

يقول اليهود: «حقيقة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خارق يقترن به التحدي»، وهذا قد وجد في حق محمد بن عبد الله ﷺ كما وجد في حق موسى (عليه السلام) فإن كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم أن لا يعتقدوا نبوة موسى (عليه السلام) وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ.

وإنما قلنا: أنه (عليه السلام) جاء بالمعجزة لأنه جاء بالقرآن في زمن الفصحاء البلغائي، وسأل جميعهم أن يأتوا بمثله فأعجزهم. فسألهم سورة منه[1] بحيث تصدق على سورة الكوثر[2] فعجزوا.

فنادى بينهم على رؤوس الأشهاد بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم أكثر منهم وهم الجن، ومع ذلك التوبيخ

---

(١) في القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [يونس: ٣٨].
(٢) لعله اختار سورة الكوثر لأنها اقصر سور القرآن، إذ أنها ثلاث آيات فقط.

الذي يأباه ذو المروءات، ويثير الحميات لاسيما عند العرب العرباء ذوي الأنفة والكبرياء، ومع ذلك كله أظهروا العجز، وآثروا العدول إلى القتال وسلب النفوس مع الأموال، ومثل هذا لا يفعله الجمع العظيم من العقلاء إلا للمبالغة في العجز، وقد اشتمل القرآن العظيم على مثل سورة الكوثر سبعة آلاف مرة، فيكون سبعة آلاف معجزة، وفيه من المعجزات وجوه كثيرة جداً:

١ ـ **منها**: إخباره عن المغيبات المستقبلات وكان الأمر كما قال الله، كقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥]، وكان ذلك يوم بدر، وقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢ ـ٣ ـ٤] وكان الأمر كذلك[١]، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] وكان كذلك وهو كثير.

٢ ـ **ومنها**: إخباره عن أحوال القرون الماضية. ووجد كذلك، مع أنه (عليه السلام) لم يقرأ كتاباً، ولم يخالط ولم يرحل إلا إلى الشام مرتين في المتجر مع قومه، ولم يلتمس هذا قط من أهل القصص ولا غيرهم.

٣ ـ **ومنها**: أنه لا يُمَل مع تطاول الأزمان. ونحن نجد أحسن قصيدة غزلاً أو رسالة بديعة حسناً، يستحليها السمع ثم يملها ويسأمها وللقرآن الكريم ستمائة سنة[٢] يُتلى ولا يزيده تطاول الأيام إلا جدة، ولا تجد الأسماع عنه نبوة.

فهذه وجوه من الإعجاز للقرآن الكريم، وليس هذا موضع التوسع فيها، ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر، وهو أعظم من انشقاق البحر لأن الماء في كل حين يفترق من حيث الجملة.

وأجرى الماء من أصابعه وهو أعظم من إجراء الماء في الحجر، لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة.

وكلَّمَه الحصى، والجمل، والشجر، والذراع ومعجزاته ﷺ كثيرة ليس هذا موضع استيعابها[٣] إنما المقصود إيراد السؤال مع إجماع أوليائه وأعدائه على أنه كان من أصدق

---

(١) نزلت هذه الآية والرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة قبل الهجرة بثلاثة أعوام. أي في عام ٦١٩ ميلادية. وكانت الفرس قد انتصرت على الروم، فأخبر الله أن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين، والبضع يطلق على العدد من ٣ إلى ٩، وفعلاً تحقق النصر للروم وكان ذلك عام ٦٥٨ ميلادية.

(٢) هذا من زمن نزوله إلى زمن المؤلف على وجه التقريب لا التحديد.

(٣) انظر كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير بالجزء السادس ففيه تفصيل للكثير من معجزات النبي ﷺ.

الناس، وأكرمهم وأشجعهم، وأكثرهم أمانة ووفاء، وإعراضاً عن الدنيا وترغيباً في الآخرة، لم يختلف في هذه الصفات اثنان ممن خالطه من الكفار والمسلمين، وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبي، فمن كفر به يلزمه أن لا يعتقد نبوة موسى (عليه السلام) ولا غيره من الأنبياء.

فائدة: لمعجزاته (عليه السلام) مزايا لم تحصل لغيره منها:

١ ـ أنه باق على وجه الدهر، وغيره ذهب بذهاب نبي تلك المعجزة.

٢ ـ ومنها أنه معجز شريف في معنى لطيف وهو الفصاحة والبلاغة وأنواع سحر البيان مع الوصف العجيب والرونق الغريب، لأن أمته (عليه السلام) أرشف عقولاً سرية، وأعظم أخلاقاً رضية، وألطف نفوساً بشرية، فتحدى لها بالمعجز الشريف في المعنى اللطيف، ولما كانت الأمم المتقدمة أكثف طبعاً. وأصعب انقياداً وسمعاً، جعل معجزتهم في الصور الكثيفة والآيات القاهرة العنيفة، في نتق الجبال وشق البحار وبروز الحيوان من الصخرة الصماء، ومقتضى الحكمة علاج كل مريض بما يناسبه. فالنسمة الشريفة بشراب الرمان، والجِبِلَّة الكثيفة بالحطب والنيران.

السؤال الثامن والسبعون:

نقول لليهود: إذا اعترفتم بصدور الخوارق وأنكرتموها، وشهدت النقلة بوجودها في حق محمد بن عبد الله وعيسى ابن مريم صلوات الله عليهما وطعنتم فيها بعد ذلك، لزمكم ذلك في معجزات موسى (عليه السلام) فكل شيء توردونه من احتمال السيميا أو معاونة الشياطين أو الطلسمات أو غير ذلك يلزمكم ذلك في موسى (عليه السلام)، وكل ما تخيلتموه جواباً لكم فهو جوابنا.

السؤال التاسع والسبعون:

أسلم خيار اليهود وخيار علمائهم كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وأخبرونا بأن مقتضى التوراة ومقتضى دين اليهود صحة نبوة محمد ﷺ، وأجمع اليهود قديماً وحديثاً على سيادة هؤلاء وعظم شأنهم في العلم والدين وكثرة الاطلاع، وهم اليوم يسلمون ذلك، فتكون شهادتهم حجة على اليهود؛ لأنه لم يكن هناك ما يوجب عدولهم عن الحق، لاسيما الأتقياء والسادة والنجباء فإن شهادتهم مقبولة في كل شيء، فتقبل على اليهود في كل شيء. ويتعين أنهم التزموا العناد والجحود، وتأخر إسلام كعب الأحبار إلى زمن عمر (رضي الله عنه) فقال له: ما سبب تأخر إسلامك؟ فقال له: إنا نجد في التوراة أن محمداً يبعث في العرب، ثم يتوفى ويتولي بعده شيخ صالح، ثم يموت ويتولي بعده صلد من

حديد، فلما رأيت الأمر جميعه كذلك أسلمت قال له عمر: واذفراه أو ذُكِرْتُ هُنَاك؟ أي أن منتن لا أصلح أن أذكر في التوراة تواضعاً من عمر (رضي الله عنه) وكفى بعمر وشيعته دليلاً على صحة نبوته (رضي الله عنه) فإن اتباع المبطلين لا تكون له الكرامات، ولا تخرق له العادات، وعمر ينادي سارية من المدينة، وسارية في أرض فاريين: «ياسارية الجبل»، فسمعه سارية من هنالك، فالكرامة للإثنين في المساع والاستماع، (رضي الله عنهم أجمعين).

السؤال الثمانون:

نقول لليهود: «جمهوركم يعتذر عن الإسلام بتعذر النسخ لئلا يلزم منه الندم والبداء في حق الله تعالى وقد تقدم أن النسخ وقع عندكم في تحريم السبت، وفي إسحاق صلوات الله عليه وتحريم الأخت المباحة في زمن آدم (عليه السلام) وبقية الوجوه مذكورة قبل، وإذا كان النسخ واقعاً عندكم انقطع العذر ولم يبق إلا العناد».

السؤال الحادي والثمانون:

نقول لليهود: «أنتم على ضلالة قطعاً، بيانه: إن كتبكم التي تعتمدون عليها لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأن أجلها التوراة وهي غير متميزة، لأنها مشتملة على التواريخ الكائنة بعد موسى (عليه السلام) والكائنة قبله وفي زمانه، ومشتملة على كلام كثير ليس لموسى (عليه السلام) والمتعين منها لموسى (عليه السلام) قليل، وإذا اختلطت التوراة بغيرها سقط الاحتجاج بها، فإن الحجة إنما هي في قول صاحب الشرع لا في غيره، فإذا اختلط بغيره سقطت الحجة من الجميع لعدم التعين فلا يقوم به الحجة.

السؤال الثاني والثمانون:

نقول: «التوراة مبدله قطعاً لما تقدم بيانه مما اشتملت عليه من نسبة الأنبياء (عليهم السلام) وخاصة عباد الله إلى الفسوق والزنا وشرب الخمر، وما لا يصدر من أدنى السفلة، حتى أنهم يسمون هذه الحكايات النجاسات، مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء (عليهم السلام) فيحصل الجزم بعدم صحة ما بأيديهم من التوراة.

السؤال الثالث والثمانون:

أن بختنصر قتل اليهود وحرق التوراة حتى لم توجد، وكانوا لا يرون حفظها مأموراً به، وكانت مختصة بأولاد هارون دون نبي إسرائيل كما تقدم نصه في التوراة ثم بعد السنين الكثيرة المتطاولة لفق عزرا هذه التوراة التي بأيديهم من فصول جمعها لا يدري هل أصاب

أم أخطأ؟ ولا جرم وقعت فيها النجاسات وما لا يليق بالنبوات، ومثل ها لا يجوز الاعتماد عليه حتى نقطع بكونه عن الله، وأين القطع في خبر واحد؟، فثبت أن التوراة لا يجوز الاعتماد عليها.

السؤال الرابع والثمانون:

عقلاء اليهود يعترفون بنبوة محمد ﷺ لما يجدونه عندهم في التوراة ويخصصون نبوته ﷺ بالعرب، فنقول: إذا سلمتم نبوته، والنبي من شأنه الصدق وحسن السيرة والسريرة فكيف قتل اليهود في خيبر وغيرها ودعاهم إلى دينه؟ فلو لم يكن رسولاً إليهم لما دعاهم، فكل من اعترف بنبوته ﷺ للعرب يلزمه تصديقه في كل ما أخبر به، هو قد أخبر أنه قد بعث للناس كافة[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] وقال ـ عليه السلام ـ: «**بعثت للأحمر والأسود**»[٢] فأخبر أنه (عليه السلام) مبعوث للجن والإنس[٣].

السؤال الخامس والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: «إن روح الله تعالى قبل خلقه كانت ترفرف على المياه»، وهو كلام باطل من جهة أن قبل الخلق لم يكن ثمة مياه، وكلامهم يقتضي قدم المياه فلا تكون مخلوقة، هو خلاف المعقول والمنقول، ثم لو سلمنا قدم المياه، فكلامهم: «أن الله تعالى له روح»، هي جسم؛ فإن الرفرفة إنما تكون في الأجسام، والجسمية محال عليه تعالى بأدلة العقول وبموافقتهم على ذلك.

ثم يقتضي قولهم أن روح الله تعالى تفارقه ويبقى بلا روح ميتاً، وهو محال آخر، فاشتمل قولهم هذا على أنواع من المحال.

السؤال السادس والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: «إن الله تعالى حين أكمل خلق العالم قال: تعالوا نخلق بشراً يشبهنا فخلق آدم»، فاعتقد كثير من اليهود لهذه المقالة التجسيم، وقالوا «إن الله تعالى في صورة آدم (عليه السلام) وأنه شيخ أبيض اللحية والرأس، جالس على كرسي،

---

(١) ذلك في حديث طويل أوله: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحداً قبلي»، وقد تقدم تخريجه.
(٢) رواية لحديث جابر عند مسلم برقم (٣/ ٥٢١).
(٣) انظر رسالة «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للإنس والجن» ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية [٩/ ٩ ـ ٦٥].

والملائكة قيام بين يديه، والكتب تقرأ بحضرته»، فانظر هذه العبارة الركيكة، وهذه العقول السخيفة وجعلوا لله تعالى شركاء في الخلق لا شريكاً واحداً وأنه لا يستقل بخلق آدم، لنقلهم عنه: «تعالوا» وهي صيغة جمع، فيلزمهم أن هؤلاء كل منهم إلٰه لا مزية لله تعالى عليهم، بل الجميع يتساوون في الخلق، ثم يلزمهم أنه لا يصلح واحد منهم للربوبية لعجزه عن الاستقلال، وهذا شر من قول النصارى بكثير، فإن النصارى جعلوا كل واحد مستقلاً كاملاً فأمكن أن يكون إلها، وأما على قول اليهود في هذه المقالة فلا، وهذا غلط عظيم وجراءة على الله تعالى.

السؤال السابع والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: «إن الله تعالى لما خلق الخلق في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع»؛ واعتقدوا لغلط أفهامهم أن الله تعالى يعتريه التعب والنصب، حتى نقل عن بعضهم في غير التوراة: «أنه تعالى في اليوم السابع استلقى على ظهره واضعاً إحدى رجليه على الأخرى»، وفي هذا جهالات منها:

١ ـ التجسيم.

٢ ـ ومنها ضعف القدرة لطريان التعب والنصب.

٣ ـ ومنها أن يلزمهم أن يكون إلههم حادثاً، فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثاً، والتعب والنصب حوادث، فأين هذا القول من قول المسلمين: «أن يكون خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضه. وأن إيجاده بأن يقول للشيء كن فيكون»؟؟، واعتقاد المسلمين أن صنعه للأشياء بلا علاج ومخالطة لها وبلا مزاج، وأن علمه محيط بكل شيء صنعه ولا علة للصنعة، فها هو التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية وتعظيم الله تعالى وأما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود، وهذه المواضع وشبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة وأنها غير المنزلة من الله تعالى وهذا يجزم به كل عاقل.

السؤال الثامن والثمانون:

قالت اليهود في التوراة: أن الله تعالى قال لآدم وحواء: «إنكما في اليوم الذي تأكلان فيه من الشجرة التي نهيتكما عنها تموتان موتا».

وفى التوراة أنهما عاشا بعد ذلك ورزقا الأولاد بعد دهر طويل وهو تناقض فاحش دال على تبديل التوراة وتغييرها.

السؤال التاسع والثمانون:

قالت اليهود: إن الجنة لا أكل فيها ولا شرب، والتوراة تكذبهم في عدة مواضع،

منها ما فيها أن آدم وحواء كانا يأكلان من كل شيء فيها إلا شجرة واحدة، وقد تقدم نقل عدة مواضع من ذلك في أجوبتهم تدل على أن الجنة فيها الأكل والشرب والنكاح.

السؤال التسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن نمرود لما بنى الصرح وشيده نزل الباري تعالى إلى الأرض حتى هدمه وحال بين نمرود وبين ما أراد من ذلك»، وهذا تجسيم وتعجيز وتسوية ومقاربة بين الله تعالى ونمرود؛ فإن هذا إنما يكون بين الإنسانين المتقاربين، أما الملك العظيم مع من هو دونه فإنه لا يتحرك بنفسه له، بل يبعث بعض أعوانه، وههنا جعلوا الله تعالى لا يهد هذا الصرح إلا بأن يأتي بنفسه، وهذا كفر لم تصل له النصارى. وسخف كثير يقضي على توراتهم بالبعد عن الهداية واشتمالها على الضلالة، وأن الذي لفق فيها هذا من أهل الجهالة والغباوة.

السؤال الحادي والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: إن إبراهيم (عليه السلام) لما مرت به الملائكة لهلاك سدوم وعامود مدائن لوط (عليه السلام) أضافهم وأطعمهم خبزاً ولحماً وسقيهم سمناً ولبناً، ولما أتوا عند لوط (عليه السلام) عشاهم فطيراً، وهذا جهل عظيم ونقل كاذب قطعاً، فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل أجسامهم روحانية وغذاؤهم روحاني لا يعرفه اليهود، ثم العجب أنهم نسوا أنهم يقولون: «أن الناس في الجنة مثل الملائكة لا يأكلون ولا يشربون»، فشبهوهم بالملائكة في عدم الأكل والشرب، ثم لم يلبثوا أن قضوا على الملائكة بالأكل والشرب، وهو تهافت عظيم، وبهذا ونحوه يعلم أنه ليس بأيديهم من كتبهم إلا الرسوم.

السؤال الثاني والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن لوطاً (عليه السلام) لما أمره الله تعالى بالخروج عن القرية الظالمة لم يسارع، وتباطأ عن الامتثال، حتى بقيت الملائكة تدفعه في ظهره دفعاً عنيفاً، حتى أخرجوه كرهاً»، وهذا يدل على تبديل التوراة، فإن خواص المؤمنين لا يشكون في أوامر الله تعالى لاسيما مع وجود الملائكة المشاهدين بالحس، فكيف حال الأنبياء حينئذ؟، فكيف [بخاصة] الأنبياء (عليهم السلام)؟ كلا والله، بل بواطنهم مملوءة إجلالاً وتعظمياً، وهم المخصصون بدوام المراقبة لأوامر الله تعالى انقياداً وتسليماً، وما هي بأول جراءة من اليهود على الأنبياء (عليهم السلام).

السؤال الثالث والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن إبراهيم (عليه السلام) لما حضرته الوفاة ورث ما له ولده إسحاق، وحرم باقي أولاده»، وهو من المواضع الدالة على تحريف التوراة، فإنه [في] حال القدوم على الله تعالى يكون إبراهيم في غاية الأدب مع ربه وحسن المعاملة لخلقه، لاسيما أولاده الذين أوجب الله تعالى عليه برهم وحرم أذية قلوبهم، فكيف يجعل إبراهيم (عليه السلام) وهو خليل الرحمٰن هذا المأثم خاتمة عمله عند حضور أجله؟، وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله ﷺ: **«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»**[1]، فجزم بكذب ما حكاه اليهود.

السؤال الرابع والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن يعقوب (عليه السلام) احتال على أبيه إسحاق حتى أخذ دعوته المستجابة التي كان إسحاق (عليه السلام) يريدها للعيص؛ لأنه كان يحبه أكثر، بأن لبس يعقوب رحلة أخيه العيص؛ وجعل في ذراعه وعنقه جلد ماعز، فتمت مكيدته على أبيه ودعا له، وأن إسحاق (عليه السلام) لما اطلع على الحال تعجب وقال: ليت شعري من هذا الذي ذهب بدعوتي؟»، فجعلوا يعقوب (عليه السلام) كذاباً قولاً وفعلاً، ودلس وعق أباه وأخاه، ثم العجب كيف يعتقدون صحة هذا؟، مع أنه إذا سلم لهم وقوع مثل هذا فما دعا إسحاق (عليه السلام) إلا للعيص؛ لأنه هو الذي اعتقده إسحاق (عليه السلام) وأراده حالة الدعاء، فهذه الحيلة لا تفيد شيئاً وكيف يدعو إسحاق (عليه السلام) للعيص فينصرف ليعقوب (عليه السلام) من غير قصد إسحاق (عليه السلام)؟ فجمعت اليهود في هذا النقل بين سوء الأدب في حق الأنبياء (عليهم السلام) وبين الجهل بالحقائق.

السؤال الخامس والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن الله تعالى نزل إلى الجنة ومشى فيها حين كلم آدم (عليه السلام) وأنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بني إسرائيل من سحرة فرعون، ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق، ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد، ونزل إلى الأرض حين قاتل النمرود وقومه ومنعهم من بناء الصرح»، وهذا جهل عظيم منهم، والحامل لهم عليه أنهم يسمعون أن الله تعالى كلم هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام)

---

(١) سبق تخريجه.

فاعتقدوا أن هذا إنما يكون منه تعالى بالحركات والتنقل في الجهات، فأثبتوا ذلك في توراتهم، وهذا يقتضي أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله تعالى إليهم.

السؤال السادس والتسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن هارون (عليه السلام) وأخته مريم وقعا في موسى (عليه السلام) وجسداه وأذياه، فنزل الله تعالى إلى قبة الرمان ودعا هارون (عليه السلام) ومريم وتوعدهما، وبرص مريم فصارت برصاء من ساعتها»، فنسبوا الأنبياء صلوات الله عليهم إلى الحسد ومراغمة مقدور الله تعالى ولا خلاف عندهم في نبوة هارون ومريم، والأنبياء معصومون، ونسبوا إلى الله تعالى الحلول في قبة الرمان لقصد الانتصار، وأنه لا يحكم على أحد حتى يحضره عنده، ولذلك استحضرها بين يديه، وهذا من قبيح كذب اليهود على الله تعالى وعلى رسله، وأعظم الدلائل على تحريف ما بأيديهم.

السؤال السابع التسعون:

قالت اليهود في التوراة: «إن الله تعالى حين أراد قتل أنصار فرعون وجنوده قال لموسى (عليه السلام) قل لبني إسرائيل يذبحون جملاً، ويضمخون من دمه على أبواب دورهم؛ حتى إذا جزت الليلة في أرض مصر ورأيت الدم عرفت أبوابكم من أبواب المصريين، لئلا أهلككم معهم» فنسبوا إلى الله تعالى أنه لا يعلم إلا ما يراه بإمارة، ولا يتحقق شيئاً إلا بإشارة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، بل هو تعالى أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

السؤال الثامن والتسعون:

قالت اليهود: «إن الذي أمرنا بعبادة العجل واتخاذه هو هارون (عليه السلام)»، مع أن موسى (عليه السلام) استخلفه للإصلاح، فأمر بالكفر الصراح، وكذبهم دانيال في نبوته فقال: إن الذي صنع العجل منحا السامري، وكان آباؤه يعبدون البقر فاستتباه موسى (عليه السلام) ونفاه إلى الشام، ولذلك كان الشام أكثر سمرة من غيره، وهذا موافق للقرآن الكريم.

السؤال التاسع والتسعون:

قالت اليهود: «إن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها، فبنوا له ذلك؛ لأن موسى (عليه السلام) قال: يارب أن هذه الأمة القاسية

لا تمضي إليك إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله تعالى: اعملوا لي قبة، فعملها موسى (عليه السلام) وسماها: قبة العهد، ونزل الله تعالى في عرشه ونزل معهم في داخل القبة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم» هذا نص التوراة.

ومما وقع في التوراة من أمر هذه القبة: «أن المال الذي جمعوه لإنفاقه على هذه القبة صرف على يد موسى (عليه السلام) فلما كُملت ادعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألف رطل وستمائة وخمسة وسبعون رطلاً، وقالوا لموسى (عليه السلام) تشريفاً له: أين ذهب هذا؟، فسمعوا صوتاً من السماء أن هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة والتغشية فحينئذ كفوا عنه، فانظر لجرأة هذه الطائفة على الله تعالى ولم يقدروه حق قدره، ولم يعاملوه بما يليق بجلاله، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

قالوا فيها: «وكان موسى (عليه السلام) إذا أراد الرحيل قال انهض إلينا يا رب لنكبت شانئك قالوا: فكان تعالى يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم، وقالوا: إن الله تعالى أبى مرة السير معهم، وقال: اظعنوا أنتم فإن لا أظعن أنا، بل أبعث معكم ملكاً يغفر ذنوبكم».

فانظر استخفافهم بالله الى هذه الغاية، تحويه القباب ويسير مع الركاب، وهذه غاية الإسهاب في السباب ومما لا يليق برب الأرباب، بل هو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تحويه الجهات ولا يوصف بالحركات والسكنات ولا يشبهه شيء من المخلوقات.

قالت اليهود: «إن يعقوب (عليه السلام) عند منصرفه طالباً بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب (عليه السلام) وتألم ورك يعقوب (عليه السلام) وصار الملك في يده مقهوراً حتى قال له: دعني وأبارك لك، فترك اليهود أكل عرق الفخذ لذلك».

فجعلوا الملائكة والأنبياء (عليهم السلام) مثل الصبيان يتصارعون وأنهم في هيئة من يفزع قلبه وقالبه، وأعرض عن مراقبة مولاه واشتغل بهواه.

السؤال المائة:

إن النصارى مصدقون التوراة، وهو كتابهم وعمدتهم في الأحكام، والإنجيل إنما جاء بالمواعظ، وقال لهم في الإنجيل: «تزول السموات والأرض ولا يزول شيء من الناموس» يعني أحكام التوراة ومع ذلك فهم مصرون على مخالفتها متمادون على معاندتها، نابذون لأحكامها مطرحون لأعلامها.

ففى التوراة: أن الله حرم الميتة والدم والخنزير والنطيحة والمخنقة والموقوذة والقردة، والشحوم غير المختلطة باللحم والأرنب والأسد والذئب والكلب والفرس والحمار والبغل، وكل دابة ليست مشقوقة الحافر، ومن الطير: البازي والعقاب وكل طير

يبقى بمخلبه أكل، ومن حيوان الماء: كل حوت ليس له سفانق كذا وقع في كتبهم بالنون وهو تصحيف منهم، وإنما هي «سفاسق» وهي: الطريق عند العرب، ومنه سفاسق السيف لطرائقه وفرنده (ذكره أبو عبيد في الغريب المصنف)، وحرم حرث الثور مع الحمار، وحمل الخيل على الحمير، والحمير على الخيل، وطبخ الجدي في لبن أمه، وأخذ الطير من أعشاشها بفراخها، وأكل الجرارة[1] والملتصقة ربعتها، وأكل الخبز المختمر في الفصوح، ولا يقربا قرباناً إلا بخبز فطير، وحرم شحوم البقر، وشحم الشاة، ومنع قربان الحمام واليمام، فهذه نصوص لا تقبل التأويل وعمل بها النبيون وأقروها، وكذلك عيسى (عليه السلام) فإن ادعوا نسخها طالبناهم بالدليل الناسخ، ولن يجدوه أبداً، بل تركوها بأهوائهم الفاسدة.

ولقد ذكر في بعض الكتب عقائدهم هذه المحرمات، ثم تأولوها بالوقاحة والجهل، فقالوا: هذه أمثلة ضربت في التوراة، وفسرها المسيح في الإنجيل، فعنى **بالميتة**: «أن لا تميتوا الأحياء ولا تعموا الحق في الشهادة»، وأراد **بالدم**: «أن لا يقتل أحد بريئا»، **وبالخنزير**: «الزنا والكفر»، **وبالنطيحة**: أن لا يناطح ملك جبار فقير أو مسكين»، **وبالموقوذة**: «أن لا تزدري بمن هو تحت ظلم غيرك»، **وبالمخنقة**: «أن لا تخنق أحداً لك قِبَلَه حق فتضغطه»، **وبالقردة**: «أن لا تحاكي أحداً فتفعل كفعلها»، **وبالذئب**: «أن لا تأكل مع غيرك بالهجم والغارة» **وبالأرنب**: «أن لا تفعل فعلها فعل قوم لوط، فإن ذكورها يأتي بعضها بعضاً لغلبة شهوتهما»، **وبالبازي ونحوه** «أن لا تهرق دم أحد ولا تغلبه على متاعه»، **وبالدابة التي ليست مشقوقة الحافر**: «الكفرة عبدة الأوثان، يعبدونها أيام حياتهم، ولا يقسمون عمرهم مشاطرة»، **وبالحوت الذي ليس له سفانق**: «الإنسان المتلون في دينه»، **وبحرث الثور مع الحمار**: «الإنسان الكافر»، **وبالحمير على الخيل**: «زواج الكافر بالمؤمنة، والمؤمن بالكافرة»، **وبالجدى في لبن أمه**: «أكل مال اليتيم ظلماً»، **وبالملتصقة الرابعة**: «الإنسان الحسود الذي يوسوس الشر في صدره»، **وبالخبز المختمر**: «التى ينفخ فيها الشيطان، ويهيج فيها الكبرياء»، **وبالفطير**: «أن يكون أنفسنا ضامن بغير كبر»، **وبالحمام واليمام**: «المؤمنين الذين جعلوا أنفسهم قرباناً لله تعالى، وأما أكل الخنزير والميتة وغيرها فما فيها مضرَة ولا منفعة، من شاء أكلها ومن شاء تركها فهذا مذهب النصارى إلا القليل، فما الذي حمل هؤلاء الجهال على تحريف كتاب الله تعالى وتغيير أحكامه؟، وحل نظامه بغير شرع منقول ولا مدرك معقول؟، فكيف هم هؤلاء الجاهلون ما لم يفهمه النبيون؟ لله العجب!! قد زادت عقولهم حتى فهموا ما لم يفهمه موسى بن

(١) أي الحيوانات المجترة.

عمران: مع أن الرسالة إليه!. كلا والله وهم لكتب الله تعالى يحرفون:، وعلى الله تعالى وعلى رسله متجرؤون، فيسعلمون أي منقلب ينقلبون، وإذا فتحوا هذا الباب من الهذيان في التأويل بغير دليل؛ لم يبق على ما يحتجون به على نبوة عيسى أو إلهيته أو غير ذلك من مقاصدهم تعويل، لأن يبدي مثل هذه التأويلات الباطلة، ويهتف كما هتفوا بالأحاديث الفاسدة.

السؤال الحادي والمائة:

أطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بماء المعمودية، وصفته: أن الذي يريد أن يدخل في دينهم أو يتوب منه تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياماً، ثم يعلمونه اعتقادهم ثم يجتمع القسيسون فيكلمونه بعقيدة إيمانهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره، واختلفوا هل يغمس واحدة أو اثنتين أو ثلاثة؟، ثم يدعو له الأسقف بالبركة بعد خروجه من الماء، ويضع يده على رأسه، ومن لم يقبل هذه القاعدة كافر عندهم[1]، وتأويل هذه الغطسات مدة مكث المسيح (عليه السلام) في قبره ثلاثة أيام، والخروج من الماء هو الخروج من القبر، ومنهم من يقول: بل الغطسات الثلاث إشارة إلى التثليث، ولم يذكر التعميد في التوراة، بل كتبوا في الإنجيل أن يوحنا عمّد المسيح (عليهما السلام) بوادي الأردن، فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء، وزعمت النصارى أن المسيح (عليه السلام) قال للحوارين: «إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم بالأب والابن الروح القدس، فهذه المعمودية عندهم ظاهرة المستند؛ أسندوها للنبيين والحواريين ومع ذلك فعليهم فيها استدراكات!!، فنقول: سلمنا جدلاً صحة ما ذكرتموه في النقل، فلما قلتم أنه إذا عمد يحيى (عليه السلام) والحواريون نعمد نحن؟؟ فلعله مخصوص بهم؟، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعاً عاماً؟؟، والمسلمون لم يعتمدوا على مثل ذلك، حتى ورد عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»[2] ونحو ذلك، فأين لكم مثله؟ ولن تجدوه أبداً، ولعلهم إنما اعتمدوا على مثل ذلك؛ لأن ماءهم مقدس ودعاءهم من قبل، ولستم مثلهم فأضفتم مالهم إليكم شرعاً بالتوهم، ومن غير دليل، سلمنا عموم شرعيتها فلم زدتم العدد؟؟ ووضع اليد على الرأس والنفح في الوجه؟! ولمن ينقل ذلك عن من تقدم، ولم تكفرون مخالفيها من غير دليل على تكفيره؟؟.

---

(١) قلت: كيفية إجراء التغطيس وصفته مذكورة في كتاب «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» للمهتدي عبد الله بن الترجمان من تحقيقنا.

(٢) هذا لفظ البيهقي في سننه (٩٣٠٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٩٠٨) من حديث جابر.

ثم نقول: ماء معموديتكم مقدس أم لا؟؟، فإن قلتم: مقدس، فمن قدسه؟ فإن قلتم: الله قدسه، فما الدليل عليه فلعله نَجَّسه، فإن قلتم: نحن قدسناه، قلنا من أنتم حتى تقدسوا المياه؟ وما الدليل على أهليتكم لذلك؟ فليت الفجل يهضم نفسه، ولم خصصتم المعمودية بالماء؟، ولم لا يكون بالبول؟، فإنه ليس بنجس عندكم وهو والماء سواء، ثم إن قولكم: «إن يحيى (عليه السلام) عَمّد المسيح (عليه السلام)» فهل كان عيسى (عليه السلام) قبل ذلك مقدساً أم لا؟، فإن قالوا: مقدساً؛ فلا أثر لتعميده، وإن قالوا لا، فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله أو ابن إله؟، وأنتم تقولون: إن أرواح القدس مثل الحمامة البيضاء، وهل هذا كله إلا هذيان وضرب من الخذلان، وهذا على أظهر أحكام شريعتهم وأقواها مستنداً فكيف بأضعفها؟؟

السؤال الثاني والمائة:

وضعت النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة والإنجيل، من خالفهما سموه خارجاً تارة، وكافراً أخرى، والخروج عن قوانينهم ذنوب، وينقسم إلى: ما لا يغفرونه وإلى ما يستقلون بغفرانه، فإذا غفروه له أدخلوه الكنيسة وقبلوا قربانه، وإذا لم يغفروا له أبعدوه عن كنائسهم، وطردوه وهوَّلوه عليه، ولم يقبلوا قربانه، ولابد للذنب المغفور له من كفارة بحسب ما يظهر لأقستهم ويوافق غرضهم، فتارة يقدم الكنيسة، وتارة لا يدخلها؛ بل يقف عندها متذللاً، وربما بقي أعواماً، وتارة يقدم كمالاً لملكهم، أو لهم ولكنائسهم، وأمثل لك كل قسم بمثال.

١ ـ فالعبث بالصبيان لا يغفرونه أبداً، وإن كان فاعل هذه الفاحشة أسقفاً عزلوه وأبعدوه إبعاداً شديداً، وإذا لم يكن أسقفاً نكل نكالاً شديداً، ويضرب الفاعل والمفعول مائة سوط، وينفيان النفي الدائم، ولا يعطه أسقف توبة أبداً، ومن أعطاه توبة عزل، ولا يعطى هو أيضاً توبة، وأغرموه خمسة أرطال ذهباً للملك هذا قانونهم في بلاد الافرنجية وممالك النصرانية بتلك الجهة.

٢ ـ ومثال ما يغفرونه نكاح القرابات، لتحريمه بنص التوراة بزعمهم فإن أصر الفاعل على ذلك لا يغفر له أبداً، وأن أقلع عنها حرم القربان خمس عشرة سنة، وكلفوه أعداداً من النقود والصلوات والعبادات، وربما زادوه خمساً، فكملوا له عشرين سنه بحسب سنة عندهم، وأما المرأة فلا تعطى توبة إلا عند وفاتها.

٣ ـ وأما الذي يأتي البهيمة وله زوجة؛ لا يعطى التوبة إلا بعد ثلاثين سنة، وإن لم تكن له زوجة فبعد خمس وعشرين سنة.

٤ ـ ومثال ما يغرمونه فيه الأموال: من تزوج بغير بركة القسيس يغرم للملك مائة دينار، ويضرب الزوجان مائة سوط، وقد حكموا على قاتل عبده بحرمان القربان عامين،

وعلى قاتل عبد غير عبده بحرمان القربان وبخضوعه عند الكنيسة إلى وفاته.

ومن اطلع على كتب فقههم رأى فيها غرائب من التحكمات، وعجائب من الموضوعات، لم ترد بها النبوات بل جعلوا أنفسهم شارعين، ونزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين، فإن الحكم والتحكم من خصائص الربوبية، وإنما الأنبياء (عليهم السلام) مبلغون لأوامر الله؛ وأعجب من هذا كله: استهزاؤهم بكتاب الله تعالى فإن هذه الذنوب المتقدمة جعل الله تعالى في التوراة في أكثرها القتل، ولم يغير ذلك في الإنجيل ولا في غيره، ومع ذلك نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تتلو عليهم شياطين أنفسهم، فحقت عليهم لعنة الله تعالى وغضبه أبد الآبدين.

فإن ادعوا النسخ قلنا لهم: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، وكيف يأتون به؟؟ وفي الإنجيل قال المسيح (عليه السلام): «**إنما جئت متمماً ولم آت لأنقض شريعة من قبلي**».

ثم نقول: لِمَ شرعتم في العابث مائة سوط ولم تشرعوه في ناكح قريبته؟ مع أن التوراة حكمت بقتلهما، فينبغي أن تضربوهما أو لا تضربوهما؟، بل رفضتم كتاب الله وحكمتم بالجور، ثم جوزتم تسهيلكم الفواحش على أنفسكم وتصعيبها على غيركم، فجعلتم في الأسقف إذا عبث بصبي أن يبعد فقط، وغيره يبعد وينكل ويجلد، ولو عكستم لكان أشبه، فإن صدور الفاحشة من العظيم أقبح، ولذلك حسنات الأبرار سيئات المقربين، بل راعيتم بعضكم بعضاً لمجرد الرياسة، وتحاملتم على الضعفاء، بل عظم القسيسون أنفسهم حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء، فحكموا في الشرائع. وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام: إن غفران أحدنا لكم غفران الله، وحرمانه حرمان الله، وإن أعطينا القربان قبله الله، وإن لم نعطه لم يقبله الله، وليس للأنبياء (عليهم السلام) شيء من ذلك، بل الحكم كله لله عند كل نبي من الأنبياء (عليهم السلام).

وقد انتهى بعضهم إلى أن جزم بأنه لعظم منصبه عند الله تعالى بالقسيسية لا يحرم عليه شيء من الفواحش!!، فعليهم لعنة الله أجمعين ولعنة اللاعنين، بل الحق ما قاله رب العالمين في كتابه المبين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

السؤال الثالث والمائة:

فى أعيادهم من حيث الجملة قال قسيسهم حفص: الأعياد السبعة التي أمر القانون بصيانتها:

أول يوم: منها كان إذا بشّر جبريل الملك صلوات الله عليه مريم (رضي الله عنها) بإيلاد المسيح (عليه السلام).

واليوم الثاني: مولد المسيح (عليه السلام) **والثالث**: ختانه إلى ثمانية أيام، **والرابع**: يوم ظهوره للمنجمين، وأهدوا إليه ذهباً ولباناً مراً وهو يوم النجم، **والخامس**: يوم الفصح إذا أقام من القبر، **والسادس**: يوم غطته السحابة، ورقي إلى السماء بمحضر الحواريين، **والسابع**: إذ نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بجميع الألسن.

وأما غير هذه من الأيام التي استشهد فيها الشهداء ويصومها الناس فيها فواجب صومها، إما في مدينة أو قرية، وهذه الأعياد عندهم يصومونها حتى إذا كان أحدهم في موطن أو قرية لا يرتحل حتى يتمها، فقد التزموا ما ليس بلازم، وأوجبوا ما ليس بواجب، ولا يجدون لا في التوراة ولا في الإنجيل ما يوجب شيئاً من ذلك.

فإن قالوا: هب أنه ليس فيها نقل إلا أنه اتفق فيها هذه الأمور العظيمة، قلنا: ومن أين لكم أن كل يوم اتفق فيه أمر عظيم يجعلونه عيداً؟، هذا بمجرد التحكم في شرع الله تعالى ولو أن هذا الباب صحيح لكان كل يوم ولد فيه نبي أو نصر فيه على أعدائه عيداً، ويلزمكم أن الأيام التي أقامها عيسى (عليه السلام) فى بني إسرائيل؛ وكانت له مشاهدة وأحيا فيها الموتى فظهر له الظفر وأقام الحجة، بل أيامه كلها كانت لا تخلو عن بركة أو كرامة، فتعد تلك الأيام وتجعلونها كلها أعياداً، بل حكمتم وما أصبتم ولا أنصفتم، ثم أن عيسى (عليه السلام) كان عالماً بهذه الأيام وما كان يلتزم فيها ما تلتزمونه، فدل ذلك على أنكم أحدثتم في دين الله تعالى ما ليس فيه، وهو جراءة عظيمة على الله تعالى وعلى شرعه، وما مثالكم ومثالنا إلا مثل عبدين أمرهما سيدهما فأما أحدهما فأطاع ولم يزد ولم ينقص، وأما الآخر فزاد ونقص، فقال السيد للأول ما صنعت، قال: لم أزد على ما أمرت ولا على ما فعلت؛ لأني خفتك ولأني عظمتك وأجبتك، فحملني ذلك على الاتباع وترك الابتداع.

وقال الآخر: تركت بعض ما لم تأمرني به، فزدت ونقصت، فلا يمكنه أن يقول: لأني أجبتك ولا عظمتك؛ لعدم المناسبة، فلا شك أن العقلاء يحكمون بأن الأول مطيع دون الثاني. وأن الثاني مستوجب لنكال سيده، وهو مثالكم مع المسيح (عليه السلام) تدعون تعظيمه وتخالفونه في أفعاله، وتزيدون عليه في أحكامه وأقواله، فأنتم مستحقون لتوبيخه ونكاله.

السؤال الرابع والمائة:

فى قربانهم: قال قسيسهم حفص في «كتاب الفقه» لهم، أن الذي أردت معرفته من

خبر القربان، فإن الأنبياء وبني إسرائيل كانوا يقربون القربان على ما في التوراة العجول والجزر والخرفان، فأما ملك صدق فإنه أول من قرب القربان من الخبز والخمر، وكان قسيس الله في البدء، وإليه روى إبراهيم العشرات المفروضة، وقال داود (عليه السلام) فى الزبور: «خبز ملك صدق إذ بشر بالمسيح سيدنا وأنزله منزلته، وجعله قساً في الأبد، فقال الرب: أقسم يميناً ليس بندم أنت أبداً قسيس في خطة القسيسين ملك صدق»، فأما الحواريون وأتباعهم فرضوا هذا القربان الذي قدسته الأساقفة والقسوس على المذبح من الخمر والخبز لأجل فعل ملك صدق.

وكما قال المسيح في الإنجيل: «من أكل لحمي وشرب دمي كان فيَّ وكنت فيه وأنا الخبز النازل من السماء، فمن أكلني يحيا حياتي» فانظر هؤلاء كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع في القربان الأنعام وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر لأنهم متبعون لهواهم، فاستغلوا الأنعام لغلو ثمنها، فعدلوا على الخبز والخمر لقلة ثمنهما، ولما يجدونه فيه من اللذة في الخمر، ولا شك أن القوم ضموا إلى جهلهم البخل، ثم يحتجون لرفضهم التوراة وفعل النبيين بها على بعد عيسى (عليه السلام) بفعل القسيس ملك صدق والحواريين، مع أن المسيح (عليه السلام) لم ينسخ شيئاً من التوراة، وملك صدق ليس نبياً يجب اتباعه، ولو ادعوا نبوته احتاجوا إلى دليل على نبوته، وأن شرعه شرع لهم، ولن يقدروا على ذلك أبداً، بل تركوا التوراة بمجرد الوهم والهوى.

وأما قول عيسى (عليه السلام) «من أكل لحمي وشرب دمي كان فيَّ وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء»، فقد حمله النصارى على ظاهره، وكانوا على المسيح أشد من اليهود، فإن اليهود قتلوه وتركوه، والنصارى يأكلون ويشربون دمه. ومعلوم أن هذا في العداوة أشد نكاية.

وإنما ينبغي لهم أن يسعوا في صحة النقل أولاً: فإذا صح حمل ما يليق بمنصبه، وهو أنه (عليه السلام) عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس، وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد، وهو (عليه السلام) أي بأنواع الهدايات وتفاصيل الأحكام، وأحيا ما أماته بنو إسرائيل من ذلك، فمن اتبعه اغتذت روحه وتوفرت قواها وحصلت لها مسراتها ونعامها، وأشبعها من المعارف ورباها، وأمنت شقاها وحييت سعادتها، وليس المراد الخبز المحسوس ولا الدم المشاهد؛ لأن ذلك كفر اتفاقاً، وما ذكرناه معنى جليل يناسب منصبه فيتعين أنه الحق، وذكرت هذا التأويل ليعلموا أننا أولى الناس بعيسى (عليه السلام) منهم في جميع الأحوال، ولكلامه (عليه السلام) محامل أخرى حسنة، ولا يحتاج معها إلى إبطال التوراة التي صرح (عليه السلام) بأنه لا يبطل شيئاً منه.

وأما الحواريون فلم يصح لكم النقل عنهم، ولو صح فليس لغير الأنبياء (عليهم السلام) أن ينسخوا التوراة بل لابد للنسخ من شرط معلوم عند أهل العلم بالله تعالى وبرسله وأحكامه ولم يحصل ههنا، ولو سئلتم عن شروط النسخ لما عرفتموها، بل أنتم تجاهرون باستحالة النسخ على الله تعالى وقد بينا فيما تقدم صحته ووقوعه في التوراة.

ومن العجب أن في الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) إلى المبروص الذي شفاه: «أمض وأعرض نفسك على القسيسين، وأنفذ قربانك الذي أمر به موسى (عليه السلام) في عهده»، وهو نص على أن القربان عند عيسى (عليه السلام) هو ما شرع على لسان موسى، لا ما شرعتموه من الهذيان بل نقلتم عنه الزور والبهتان فأظهر أنهم تركوا التوراة لغير شيء بل للهوى والتحكم في الشرع.

السؤال الخامس والمائة:

النصارى تقدس دورهم بالملح. قال قسيسهم حفص: «لأننا وجدنا أن إلياس الذي تلميذه اليسع مكث بمدينة أريحا، فشكا أهلها أن عيناً يخرج منها ماء كثير لا ينتفع به، لذلك أمر أن يؤتى بإناء جديد، فأدخل فيه الملح وقدس به ماء العين فعذبت، فلذلك صرنا نقدس بالملح»، وهذا فاسد؛ لأن إلياس (عليه السلام) فعل ذلك على وجه المعجزة والكرامة، لا أن يكون حكماً شرعياً، كما روي في الإنجيل: «أن عيسى (عليه السلام) سأله أعمى أن يرد بصره، فأخذ قطعة طين فجعلها في عينه فأبصر»، فكان ينبغي أن تقدسوا بيوتكم بالطين، لأن عيسى أولى من إلياس (عليه السلام).

السؤال السادس والمائة:

النصارى تصلّب على وجوهها، وقد تقدم اختلاف أحوالهم بالأصبع والأصبعين والعشرة وهو شنيع على المسيح (عليه السلام) وإظهار لشعائر الإهانة العظيمة الحاصلة لمن يزعمون أنه ربهم، وهذا لا يرتضيه الإنسان لغلامه فكيف لنبيه؟ فكيف لربه؟

قال قسيسهم وكبيرهم حفص: «سبب تصليبنا أن الملك قسطنطين رأى في السماء صورة صليب من ذهب، وملكاً يقول له: إن كنت تريد غلبة أعدائك فاجعل هذه الصورة علامة قدامك فإنك غالب بها جميع أعدائك، وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر وهو الذي بحث عن صليب المسيح حتى وجدوه مدفوناً وعمل من المسامير التي كانت فيه لجاماً لفرسه، وزين جبينه بصليب من ذهب، فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر».

قلنا: كلام حفص هذا يصدق ما حكيناه فيما تقدم من قسطنطين، فإن كذب ذلك أحد منهم فليكذب أسقفه حفصاً، على ما ذكرنا [أنه] عندهم.

ثم نقول لهم: من أين وثقتم بصدق قسطنطين ولعله كذب لإصلاح رعيته؟ وهو من سيئات من لا يتقيد بالشرعيات، وكثيراً ما نشاهد من الملوك مثله، سلمنا صدقه فلعل الذي خاطبه شيطان لا ملك قصد إضلالكم حتى تعتقدوا الصلوبية التي هي أعظم بلية.

سلمنا أنه ملك: فلِمَ زدتم ذلك في صلاتكم؟ وزدتم على ما علمكم عيسى (عليه السلام)؟، استظهاراً عليه وتسفيهاً في فواته هذه المنقبة؟؟

ثم الصلاة المصلب فيها إن كانت أفضل لزم أن يكون صلاتهم أفضل من صلاة عيسى (عليه السلام) أو ليست أفضل؛ فينبغي أن لا يفعل المفضول أو ما لا فضل فيه، فإن العبث في العبادات قبيح، وهذا كله دليل على أن القوم ليس لهم غرض في اتباع رسائل الله تعالى ولا في الاقتداء برسله، بل الأهواء رمتهم، والشياطين قادتهم والنار منزلتهم، وإلى شر الأحوال عاقبتهم، ولنقتصر على هذه الأسئلة فهذا مرتع واسع، وضلال شاسع، كلماتهم الركيكة أكثر من الحصى وهفواتهم أكثر من أن تحصى وأنا استغفر الله العظيم من نقل كفرهم وسوء أدبهم، وما الباعث على هذا إلا ليعلم الناظر في هذا الكتاب من المسلمين ما أنعم الله عليه من نعمة الإسلام، وأنه هو الدين المبين للحق الجاري على نسق التوحيد والصدق، كما قال الشاعر:

وبـــضـــدهـــا تـــتـــمـــيز الأشياء

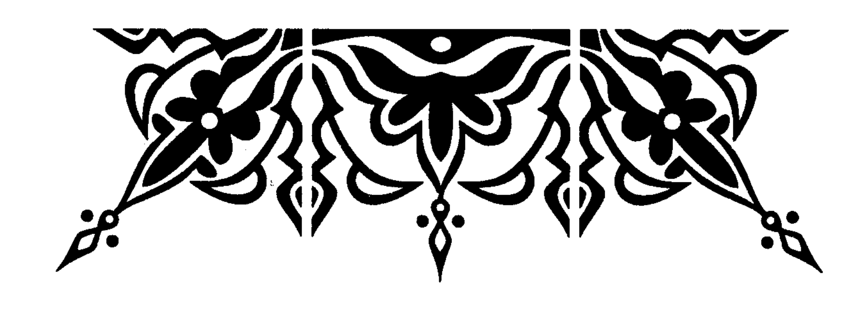
وقال غيره:

والـضـد يـظـهـر حـسـنـه الـضـد

وليفهم معنى قوله ﷺ «جئتكم بها بيضاء نقية»[1] أي لا يشوبها ما يتوهم أنه نقص ولا ما يناقضها، جامعة لمكارم الأخلاق ناهية عن لئامها، قد استبدلت عن هذه الركاكات في العبارة بالفصاحة الفائقة، وعن هذه القبائح بالمنائح الرائقة، فهذا بياضها الناصع ونقاؤها الجامع، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، ومن لا يقف من المسلمين على سخافة هذه الأديان يعتقد أن شبهتهم ربما تكون قوية، فإذا وقف على هذه القبائح علم أنهم في أعظم ظلم الضلالات يهيمون، وأنهم في دركات النار مرتهنون، فزاد ذلك في قلبه الإيمان، وعظم لله تعالى عليه الامتنان، والله تعالى يجعلنا من حزبه المهديين وخاصته المرضيين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

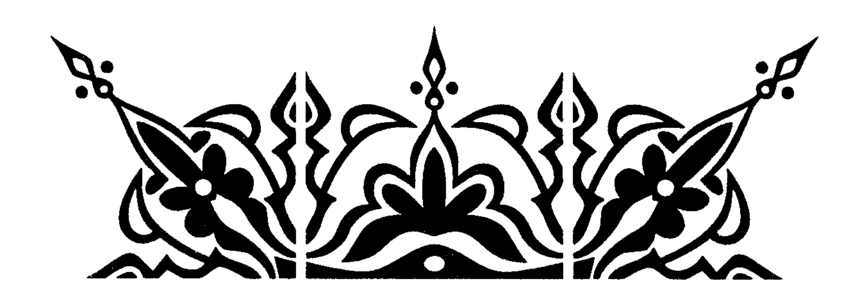
---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨٧) عن جابر.



الباب الرابع

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا ﷺ



فيما يدل من كتب القوم
على صحة ديننا ونبوة نبينا ﷺ

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا ﷺ وأنهم بمخالفته كافرون، وبمعاندته من الله تعالى مُبعدون، معارضة استدلالهم بكتابنا على صحة دينهم، بعد بيان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه.

وقد نصت الأنبياء (عليهم السلام) من إبراهيم (عليه السلام) إلى المسيح (عليه السلام) على نبوة محمد ﷺ ورسالته؛ وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على إسمه ونعته وحليته، وأرضه وبلده وجميل سيرته، وصلاح أمته وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل (عليه السلام) وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة، فمن لم يعتقد وقوع هذا كله لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلهم صلى الله عليهم أجمعين فلا جرم نحن المؤمنون حقاً بجميعهم الشاكرون لصنيعهم، وغيرناهم الكافرون بجملتهم، والمكذبون لأخبارهم، وأنا أذكر من البشائر الدالة على ذلك إحدى وخمسين بشارة.

البشارة الأولى:

في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر: قال الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام): «في هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحاق. فقال إبراهيم (عليه السلام): ياليت إسماعيل هذا يحيا بين يديك يمجدك، فقال الله تعالى قد استجبت لك في إسماعيل وإني أباركه، وأنميه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه، وأُصيِّره أمة كثيرة وأعطيه شعباً جليلاً سيلد اثني عشر عظيماً»، واتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قِبَل إسماعيل (عليه السلام) إلا نبينا صلوات الله عليه، فإن الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحاق (عليه السلام).

ولما ظهرت بركته ونمت أمته، كان الشعب الجليل الذي أعطيه إسماعيل (عليه السلام) فملأت منه المشارق والمغارب ودوخت الجبابرة بالقواضب، وعلى توالي الأيام لا

يبلى جديدها، ولا يُقصم عودها، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل (عليه السلام) وظهرت أمنية الخليل (عليه السلام) بالإحسان والإكرام.

البشارة الثانية:

قالت التوراة: «لما حضرت إسرائيل[1] الوفاة بمصر عند يوسف (عليه السلام) دعا أولاده صلوات الله عليهم أجمعين بين يديه فباركهم واحداً واحداً ودعا لهم، ولما انتهت النوبة إلى يهوذا قال فيه لا يُعدم سبط يهوذا ملك مُسَلّط وأفخاذه بنو إسرائيل، حتى يأتي الذي له الكل»، ولم يأتِ من بعد الكل إلا محمد رسول الله ﷺ فيكون هو المراد صوْناً لكلام يعقوب (عليه السلام) عن الخلل.

البشارة الثالثة:

قالت التوراة في السفر الخامس: «قال موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل لا تطعيوا العرَّافين ولا المنجمين فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوانكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي»، وهذا الموعود به ليس هارون (عليه السلام) لقول التوراة أنه مات قبل موسى (عليه السلام) فما أقيم لهم، بل كان القائم موسى (عليه السلام) ولأن نبوته أُقيمت قبل هذا الخطاب، ولا يوشع بن نون (عليه السلام) لأنه أُقيم نبياً قبل هذا الخطاب، ولأنهما صلوات الله عليهما من بني إسرائيل وموسى (عليه السلام) قال: «من إخوتهم» ولم يقل: «من أنفسهم»، فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخي إسحاق أبي إسرائيل، فإنهما أخوان وأولاد أحدهما أخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ فيكون هو الموعود به.

وأما عيسى (عليه السلام) فعند النصارى رب، وعند اليهود كآحاد الناس وليس الموعود به إجماعاً.

البشارة الرابعة:

قالت اليهود في هذا السفر: قال الله تعالى لموسى: «إنى سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيّه، ويقول لهم ما آمرهم به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي؛ أنا أنتقم منه ومن شبهه» ولم يخرج من إخوة بني إسرائيل من أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره، لا من بني إسرائيل ولا من غيرهم، والله تعالى يقول لهم: «ما آمره به يجعله أمراً مستأنفاً»، ولأنه قال: «مثلك» ولم

---

(١) يعني يعقوب (عليه السلام).

يخرج مثله في الجلالة والرسالة العظيمة المبتكرة إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه فيكون هو الموعود به.

البشارة الخامسة:

قالت التوراة في الفصل التاسع من السفر الأول: «إن الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة فقال: يا هاجر من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال: ارجعي فإني سأكثر ذريتك ورزقك حتى لا يُحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل، لأن الله تعالى قد سمع بكاءك وخضوعك، وولدك تكون يده فوق الجميع، وآمر الكل به، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته»، ولم يأت من ذريتها من يده على جميع الخلق وآمر الكل إلا سيد المرسلين محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام).

البشارة السادسة:

في التوراة في السفر الأول قال الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام): «إني جاعل ابنك إسماعيل أباً لأمة عظيمة لأنه من زرعك»، ولم يكن أمة عظيمة مضافة إلى إسماعيل دون إسحاق إلا أمة محمد ﷺ فيكون هو الموعود به.

البشارة السابعة(1):

قالت التوراة في السِفر الخامس: «أقبل الله من سينا، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران، معه ربوات الأطهار عن يمينه».

فسينا هو الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى (عليه السلام) و«ساعير» هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح (عليه السلام) يتعبّد فيه ويناجي ربه، و«فاران» جبل بني هاشم الذي كان محمد ﷺ يتحنث فيه ويتعبد.

فإقبال الله تعالى من سينا إقبال رسالته، وتجليه من ساعير وظهور فضله بإرسال عيسى (عليه السلام) بإحياء ما في التوراة، وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب، ولذلك عندهم أن إسماعيل وهاجر كانا ببّرية فاران وهما كانا بمكة فظهوره تعالى منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية.

وخصص موسى (عليه السلام) نبينا ﷺ بما لم يذكره لغيره وهو ربوات الأطهار عن يمينه وهم أصحابه صلوات الله عليهم أجمعين وهذا نص ظاهر يقوي جميع ما تقدم ويزيده بياناً وتعين المراد به بحيث يصير كالشمس.

---

(١) للمزيد عنها انظر إغاثة اللهفان [٢/ ٣٦٣].

فهذه سبع بشائر في التوراة.

البشارة الثامنة[1]:

في إنجيل يوحنا قال يسوع المسيح (عليه السلام) فى الفصل الخامس عشر: «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله إلى كل شيء هو يعلمكم كل شيء»، والفارقليط عند النصارى: الحمَّاد وقيل الحامد وجمهورهم أنه المُخَلِّص، ونبيه ﷺ مُخَلِّص الناس من الكفر وهو المعلم لكل شيء، ولذلك قال يهودي لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الرزاءة؟؟[2]، فقال: أجل لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط. وسماه المسيح (عليه السلام) «روح الحق» وهو غاية المدح.

البشارة التاسعة:

فى الإنجيل قال المسيح (عليه السلام): «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم «فارقليط» آخر يثبتُ معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه»، والذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته، ورسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام باقية على مر الأيام والدهور، ومستمرة إلى يوم البعث والنشور، فيكون هو الموعود به صوناً لقول المسيح (عليه السلام) من الخلل.

قال النصارى: «إن الفارقليط الموعود به ألسن نارية تنزل من السماء على التلاميذ فيفعلوا الآيات والعجائب»، وهو غير صحيح؛ إما لأنه لم يثبت نزول هذه الألسن ولا مجال لتصدق المسيح (عليه السلام) على أمر لم يثبت، أو لأن سير التلاميذ تشهد بأنهم عذبوا وأهينوا بأنواع الهوان؛ فكذب قولهم: «إن ألسن النار تؤيدهم على أعدائهم».

ثم قول المسيح (عليه السلام): «إنه روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه» يشير على أنه (عليه السلام) بعث بالتوحيد في زمن غلب فيه الجهل، وعبادة الأوثان وبيوت النيران[3] والقول بالثالوث وهو غاية المنافاة والبُعد عما جاء به، ولذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

---

(١) كانت هذه البشارة سبباً لإسلام القس تورميذا الكاثوليكى، الذي هداه الله للإسلام، وتسمى باسم عبد الله بن الترجمان، وقد ذكر ذلك في كتابه المسمى «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» والذي كتبه سنة ٨٢٣هـ، وقد يَسَّر الله لنا تحقيقه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٢) عن سلمان.

(٣) يعني هياكل عبدة النار (المجوس).

وأما التلاميذ فلم يتحدثوا إلا مع اليهود وكانوا يوحدون غير أنهم بَدَّلوا الشريعة وبعضهم عبد النجوم والأصنام، لكن التوحيد كان معلوماً شائعاً على وجه الأرض، بخلاف زمانه (عليه السلام) فتعين أن يكون هو الموعود به.

ثم التلاميذ جماعة في وقت واحد، والمسيح (عليه السلام) يشير لواحد عظيم منفرد. فقولهم في التلاميذ هذيان بل الخطاب مع التلاميذ أنفسهم.

البشارة العاشرة:

فى إنجيل يوحنا قال المسيح (عليه السلام) « من يحبني يحفظ عليَّ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي، وعليه يتحد المنزل، كَلَّمْتكم بهذه لأني عندكم غير مقيم، والفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كما قلت لكم» فحَمّل المسيح (عليه السلام) أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم كما هي سنّة الأنبياء (عليهم السلام).

والذى جاء بعده يُعَلِّم كل شيء هو نبينا (عليه الصلاة والسلام) كما تقدم بيانه وسماه «روح القدس»، كما سماه «روح الله»، وهو غاية التعظيم والمدح له والتأكيد في اتباعه صلوات الله عليهم أجمعين.

البشارة الحادية عشرة:

فى إنجيل يوحنا قال المسيح (عليه السلام) «إذا جاء الفارقليط الذي أبي يرسله روح الحق الذي من أبي يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا جاء تؤمنون به ولا تشكون فيه» ووصفه له بأنه: «يشهد له ويصدقه» يكذب النصارى في قولهم: «إن الفارقليط هو ألسن نارية»، فإن تلك الألسن آية مقوية لا يصدر عنها قول، ثم أن المسيح (عليه السلام) أشار إلى نصرته على اليهود في تكذيبهم له، وأنه به شيطان وأنه من زنا بأمه سيأتى بعدي من يشهد لي فتظهر براءتي وصدقي، وكذب اليهود فيما رموه به وذلك كان. صرح القرآن الكريم بأن أمه صدّيقة وأنها حملت بالقدرة الربانية غير بشر وأنه جاء بالبينات لليهود. فـقـال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وهذا تنصيص في غاية الظهور على نبوة سيد المرسلين وعلو شأنه ﷺ.

البشارة الثانية عشرة:

في إنجيل يوحنا قال المسيح (عليه السلام): «إن خيراً لكم أن أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأت الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يوبخ العالم على

الخطية، وأن لي كلاماً كبيراً أريد قوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده. بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب.

ففى هذه البشارة عدة مقاصد منها:

١ - أنه (عليه السلام) أخبر أن الآتي أفضل منه لقوله: «إن خيراً لكم أن أنطلق ليأتي الفارقليط».

٢ - ومنها معنى قوله إذا انطلقت أرسلته إليكم إما لأن المصطفى ﷺ موقوف على ذهاب المسيح (عليه السلام) فالمسيح (عليه السلام) تحقق إرساله بذهابه أو على حذف مضاف أي يرسله أبي.

٣ - ومنها أن الآتي يوبخ العالم على الخطية وقد وَبَّخ (عليه السلام) اليهود والنصارى والمجوس والعرب فإنه وجد الجميع ضالين.

٤ - ومنها أنه أخبر أن الآتي يرشد إلى جميع الحق ويقول ما له يقله المسيح (عليه السلام) لأنه جعل الحوالة عليه، ولأنه لم يأت بجميع الأعمال الربانية وكل الأخلاق المرضية وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة على ما تقدم بيانه في آخر أجوبة الرسالة وأول هذا الكتاب إلا رسول الله ﷺ وهذا في غاية التكذيب للنصارى في قولهم أنه ألسن نارية.

٥ - الشهادة لنبينا (عليه الصلاة والسلام) أنه لا ينطق عن الهوى وإنما يتكلم بما يوحى إليه ولذلك قال الكتاب العزيز: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤] ولم يأت من هذه صفاته ولا يأتي إلا نبينا ﷺ فيكون هو الموعود به جزماً.

البشارة الثالثة عشرة:

في إنجيل يوحنا قالت امرأة من أولاد يعقوب (عليه السلام): «يا سيدي آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم فقال المسيح (عليه السلام): يا هذه متى؟ فأنه سيأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم يسجدون للأب». وهذا من المسيح (عليه السلام) إشارة إلى تغيير بيت المقدس بالكعبة الحرام فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة، وصار السجود لله تعالى فيها لا في أورشليم ولا في غيره.

البشارة الرابعة عشرة:

في الإنجيل قال المسيح (عليه السلام) لمن حضره: «الحق أقول لكم إنه سيأتي قوم من المشرق إلى المغرب فيكون معهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم الصلاة والسلام)

ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية خارجاً هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»، فأشار المسيح (عليه السلام) إلى هذه الأمة، فإن دعوة عيسى (عليه السلام) كانت خاصة بأولاد يعقوب (عليه السلام) وهم بنو إسرائيل أولاد الأنبياء، ولذلك سماهم بني الملكوت ودعوة نبينا ﷺ عامة لأهل الأرض فآمن به أهل المشرق والمغرب، وكان منهم العلماء والنجباء والصالحون والأولياء فكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وكفر اليهود والنصارى، وهم بنو يعقوب (عليه السلام) فكانوا في ظلمات الجهالات ودركات العقوبات فلقد نصحهم المسيح (عليه السلام) غاية النصيحة وبالغ في إرشادهم غاية المبالغة.

البشارة الخامسة عشرة:

في إنجيل متّى: سأل أحد التلاميذ المسيح (عليه السلام) فقالوا: يامعلم: لماذا تقول الكتب أن إلياء يأتي؟؟، فقال (عليه السلام) «إن إلياء يأتي ويعلمكم كل شيء، وأقول لكم إن إلياء قد جاءكم فلم تعرفوه بل فعلوا به الذي أرادوا».

وفسر النصارى إلياء بأنه النبي وفيه ثلاثة مقاصد:

أحدها: أنهم أخبروه أن الكتب تقتضي ورود نبي آخر غير عيسى (عليه السلام) فصدقهم على ذلك.

وثانيها: أنه (عليه الصلاة والسلام) صرح بتكذيب النصارى واليهود في أنه ليس إبناً وسَمَّى نفسه (عليه السلام) إلياء وأنهم فعلوا معه ما أرادوا ولم يتبعوه.

ثالثها: أنه أخبر أنه سيأتي نبي يعلمهم كل شيء ولم يوجد ذلك إلا في نبينا (عليه السلام) فيكون هو الموعود به.

ومنها تكذيب النصارى في دعوى نزول ألسن نارية لتصريحه بأنه نبي.

البشارة السادسة عشرة:

في إنجيل يوحنا أن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء، والأركون بلغتهم هو المعظم، والأراكنة العظماء، يريد (عليه السلام) أن ملك الفارقليط إذا أتى لم يبق على وجه الأرض لنبي من الأنبياء لا هو ولا غيره آثار دعوة، بل قوم ضلال ينسون السنّة.

البشارة السابعة عشرة:

في الإنجيل قال يحيى بن زكريا (عليهما السلام) لأصحابه: «إن الذي يأتي من بعدي هو أقوى مني وأنا لا استحق أن أجلس مقعداً خلفه»، وهو نبينا ﷺ لا يحيى (عليه

السلام) ابن خالة عيسى (عليه السلام) وكان في زمنه لا بعده، فلم يبق غير نبينا (عليه السلام).

البشارة الثامنة عشرة:

في إنجيل متّى قال المسيح (عليه السلام): «ألم تقرءوا أن الحجر الذي أرذله البناؤون صار رأس الزاوية، من عند الله كان هذا، وهو عجيب في أعيينا، ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى لتأكل ثمرتها، ومن سقط عليه هذا الحجر يتشدخ وكل من سقط عليه يمحقه»، فليت شعري من هذه الأمة التي دفع لها ملكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى؟ أتراهم اليهود؟ فهم نحن قطعاً ومن ذلك الحجر الذي من عاداه شدخه ومن عانده قتله إلا محمد ﷺ وأمته، وهو الذي أريد بالحجر الذي صار أفضل البشر بكونه رأس الزاوية المشار إليها، ومن المحال أن قال أنه عيسى (عليه السلام) لأنه على زعم النصارى «رب» وعندهم وعند اليهود أنه لم يقدر على الانتصار ولا ظهرت له صورة الاقتدار على أحد من الأشرار، فهذه إحدى عشرة بشارة من الإنجيل وتقدم سبعاً في التوراة وهذه بقية التحريف والتبديل سلمت من أيدي الأعادي، وإلا كان الأمر أشهر، والحق أظهر كما قال الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ﴾ [الأنعام: ٢٠]، وبذلك أخبر من أسلم من أحبار اليهود والنصارى، وإنما يد العدوان أزالت بشائر الإيمان.

البشارة التاسعة عشرة:

في المزامير قال داود (عليه السلام): «ليفرح المخاليق بمن اصطفى الله تعالى واصطفى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»، يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة ورفع أصواتهم بالأذان فأنه لم يكن لغيرها من الأمم، والسيوف العربية ذوات شفرتين والعجمية لها شفرة واحدة، وانتقم الله تعالى بهم من جملة الأمم لأن دعوته ﷺ عامة، وغيرهم لم ينتقم الله تعالى بهم إلا من أمة واحدة كموسى (عليه السلام) لم يقاتل إلا جبابرة الشام.

البشارة العشرون:

قال داود (عليه السلام) في مزمور: «إن ربنا عظيم محمود وفي قرية إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً»، فنص (عليه السلام) على اسم محمد وبلده وسماها

قرية الله تعالى وأخبر أن كلمته تعم أهل الأرض، وكان ذلك.

البشارة الحادية والعشرون:

قال داود (عليه السلام) في مزاميره: «سيكون من يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، تخر أهل الجزائر بين يديه، وتجلس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، وتخلص المضطر البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ونصلي عليه ونبارك في كل حين»، وهذه صفات محمد ﷺ ولم توجد لغيره، خرت الملوك بين يدي أصحابه، ودانت إطاعة له الأمم وصلى عليه مع طول الأيام.

البشارة الثانية والعشرون:

قال داود (عليه السلام): «لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قيدار مروجاً ولتسبح سكان الكهوف ويهتفون من قلل الجبال بمحامد الرب، ويذيعون تسابيحه في الجزائر ولم يظهر دين بالبوادي سوى دين الإسلام»، وقيدار اسم ولد إسماعيل جد رسول الله ﷺ فهو تنصيص على أن الحق يكون في غاية البهجة في جزيرة العرب، ولم يكن ذلك إلا محمد ﷺ ولا سكن الكهوف ولا قلل الجبال سوى العرب، فهنا تنصيص على صفة أمته (عليه الصلاة والسلام).

البشارة الثالثة والعشرون:

قال داود (عليه السلام) في المزامير: «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك سلني أعطيك الشعوب، ميراثك وسلطانك إلى أقصى الأرض، ترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تستحقهم» ومحمد ﷺ هو الذي ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض، وحاط الأمم وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود ولا لأحد من بعده، فيكون هو المبشر به وسمى ابناً على العادة القديمة في تسمية المطيع والنبي ابناً، كما في التوراة في إسرائيل (عليه السلام) «ابني بكري».

البشارة الرابعة والعشرون:

قال داود (عليه السلام) في المزامير: «إلٰهي من الرجل الذي ذكرته والإنسان الذي أمرته وألبسته الكرامات والمجد وملكته على خلقك».

ومن هذا الذي جُعل أميراً ملكاً من قِبَل الله تعالى على جميع الخلق في جميع

الأرض، ولم يوجد ذلك إلا بمحمد ﷺ فيكون هو المبشر به.

البشارة الخامسة والعشرون:

قال أشعيا (عليه السلام) «قيل لي قم ناظراً فانظر ماذا ترى؟ فقلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه: تسقط بابل وأصنامها للمبحر».

فراكب الحمار: المسيح (عليه السلام) وراكب الجمل محمد ﷺ فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح (عليه السلام) بركوب الحمار، فإن المسيح (عليه السلام) كان كثير السياحة على رجليه، وأما في الإنجيل فإنه دخل المدينة راكباً الحمار والصغار حوله يقولون مبارك الآتي باسم الرب ومحمد ﷺ أسقط أصنام بابل وغيرها.

البشارة السادسة والعشرون:

في شرف مكة والبيت الحرام قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته: «ارفعي إلى ما حولك بصرك فستبتهجين وتفرحين من أجل أن الله بعث إليك ذخائر البحرين وتحج إليك عساكر الأمم حتى يعم بك قطر[1] الإبل المؤبلة وتضيق أرضك عن القطرات التي تجمع إليك، وتساق إليك كباش أهل مدين ويأتيك أهل سبأ ويسير إليك أغنام فاران ويخدمك رجال عارب»، يريد سدنة الكعبة وهو أولاد عارب من إسماعيل، وهذه الصفات كلها لم تحصل إلا بمكة، حملت إليها ذخائر البحرين وحج إليها الأمم على اختلاف أصنافهم وسيق إليها الإبل والغنم هدايا وضحايا، وهذا التعظيم لها إنما حصل بمحمد ﷺ فيكون دينه حقاً وهو المطلوب.

البشارة السابعة والعشرون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته: «أيتها المتغلغلة في الهموم التي لم تُحَصِّل حظوة، إني عاجل فجرك بكوراً وموثق أثاثك بالحجر الاسمانجوتي ومُزين حيطانك باللازورد، ومزخرف خدودك بالأحجار النفسية، وأعم أبناءك بالسلام، وأزينك بالصلاح والبر، وأبعد عنك الأذى والمكاره، وأجعلك آمنه، ومن ابتعت إليَّ فإليك قصده وفيك حلوله، وتصيرين ملجأ لقاصديك وسكانك»، ولم توجد هذه الصفات إلا لهذه الملة لأن

---

(١) قُطُر جمع قطار، وهو العدد الكبير من الإبل، وجمعها قُطُرات أيضا.

المهدي[1] من بني العباس والملوك قبله وبعده تأنقوا في بناء البيت والمسجد الحرام بالأحجار النفسية والذهب والأصباغ واللازورد وحملت تيجان الملوك وذخائرهم فحليت بها الكعبة، حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر، وليس على وجه الأرض كذلك غيرها، ولا يمكن صرف هذا إلى بيت المقدس؛ لأنه لم يكن متغلغلاً في الهموم من الكفر وعصيان الرب وعبادة الأصنام وأنواع الفجور والبهتان على الله تعالى سواه، ولم يكن أمناً لمن قصده إلا مكة فإنها محال الأمن في الجاهلية والإسلام وتعظيمها من خصائص الإسلام فيكون منها الإسلام حقاً، وهو المطلوب.

البشارة الثامنة والعشرون:

قال أشعيا (عليه السلام) مخاطباً للناس عن محمد ﷺ في نبواته: افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمي وأنا في الرحم وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وخاصني بظل يمينه، وجعلني كالسهم المختار من كنانته وخزنني لسره، وقال لي أنت عبدي فَصِر فيَّ، عدلي حق قدام الرب، وأعمالي بين يدي إلٰهي فصرت محمداً عبد الرب وبإلٰهي حولي وقوتي».

وهذا الفصل العظيم فيه إشارات عظيمة قوية جداً منها:

١ - أنه خاطب جميع الأمم فيكون رسالته عامة، فلم يوجد ذلك إلا لمحمد ﷺ.

٢ - أن الله تعالى أهاب به من بعيد، إشارة إلى أنه لم يبعثه من بني إسرائيل الذين عادوا الأنبياء (عليهم السلام) منهم، وهذه صفته ﷺ.

٣ - الإشارة إلى عظيم فصاحة لسانه حتى عاد كالسيف، ولم يؤت جوامع الكلم إلا هو ﷺ.

٤ - الإشارة إلى أنه ﷺ خير الرسل وأعظمها كلها شأناً بقوله: **«جعلني كالسهم المختار من كنانته»**.

٥ - الإشارة إلى أن شريعته أعظم الشرائع حازت من المصالح ما لم تحزه شريعة؛ لقوله **«وخزنني لسره»** أي كمال الحكمة الإلهية إنما ظهرت في شريعته، (وقد تقدم بيان هذا في آخر الباب الأول).

---

(١) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله (١٢٧ . ١٦٩ هـ = ٧٤٤ . ٧٨٥ م) من خلفاء الدولة العباسية في العراق.. انظر خلفاء الدولة العباسية في العراق.. انظر ترجمته في الأعلام (٦/ ٢١١)، فوات الوفيات (٢/ ٢٢٥)، دول الإسلام للذهبي (١/ ٨٦). تاريخ بغداد (٥/ ٣٩١)، الوافي بالوفيات (٣/ ٣٠٠)، ابن الأثير (٦/ ١١، ٢٧).

٦ ـ أن أشعيا (عليه السلام) صرح باسم محمد ولم يحجم، وأعرب عنه ولم يعجم، فلا حاجة بعد هذا الإفصاح إلى مترجم.

فهذه ست إشارات عظيمة من نبي عظيم اتفق أهل الكتاب على صدقه وتعظيمه ونبوته.

البشارة التاسعة والعشرون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته في حق هاجر أم العرب: (سبحى أيتها النذور الرقوب، واغبطي بالجمل، لقد زاد ولد الفارغة المجفوة على ولد المشغولة المحظية، وقال لها الرب أوسعي مواضع جناحك ومدى مضاربك، وطوِّلي أطنابك، واستوثقي من أوتادك فإنك ستنبسطين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المظلمة البنيان)، وهذا بيان عظيم وتصريح جليل، فإن سارة أم إسحاق (عليها السلام) والدة بني إسرائيل وكانت حرة وهاجر أم إسماعيل أَمَةٌ مجفوة محقورة فبشرها الله تعالى أن ذريتها تكون أعظم من ذرية سارة، وتملك مشارق الأرض ومغاربها وتستولي ذريتها على جميع الأمم.

ولم يتفق ذلك لبني إسماعيل قط إلا في الأمة المحمدية فتكون هي الموعود بها وهذا نص لا يحتمل التأويل.

البشارة الثلاثون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته منبهاً على محمد ﷺ: «عبدي الذي برضا نفسي أعطيه كلامي فيظهر في الأمم عدلي ويوصيهم بالوصايا ولا يضحك ولا يصخب ويفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيي القلوب الميتة وما أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد، بحمد الله تعالى حمداً جديداً . . ، يأتي من أفضل الأرض فتفرح به البرية وسكانها، ويوحدون الله تعالى على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقضيب الضعيف، بل يقوي الصديقين والمتواضعين، وهو نور الله تعالى الذي لا يطغى أثر سلطانه على كتفه».

وهذا كلام عظيم مشتمل على علامات قوية جداً ومنها:

١ ـ الإشارة إلى كونه أفضل الرسل لقوله: «عبدي الذي برضا نفسي»، وهذه صيغة حصر كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ [الملك: ٢١] أي لا يرزقكم غيره.

٢ ـ الإشارة إلى عموم رسالته بكتاب من عند الله تعالى إلى جميع الثقلين بقوله:

«أعطيه كلامي فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا».

وهذا لم يكن قط إلا لمحمد ﷺ.

٣ ـ أن الله تعالى ينشر هديه، وينشر على الأمم إجابته وتصديقه، لقوله: **«يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيى القلوب الميتة»**، وهيَ صيغة عموم وشمول في جميع الخلائق، ولم يتفق ذلك إلا لمحمد ﷺ.

٤ ـ أن شريعته أفضل الشرائع، وكتابه أفضل الكتب، وأمته أفضل الأمم، لقوله: **«وما أعطيه له لا أعطيه لغيره»**.

٥ ـ التصريح باسمه: **«أحمد»**، كما صرح باسمه **«محمد»**: قبل هذا، ولم تكن هذه الأسماء لغيره ﷺ.

٦ ـ ان مكة أشرف الأرض، لقوله: **«يأتي من أفضل الأرض»**، وقد تعين أنه أحمد، فلا يكون أفضل الأرض إلا مكة.

٧ ـ أنه: **«يفرح به البراري والقفار وسكانها»**، وهذه الصفة لم تكن لغير العرب، ولم يهد العرب وينشر فيهم ذكر الله تعالى إلا محمد ﷺ فيكون هو المقصود.

٨ ـ أن هذه العبادة تقتضي عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف وهو من خصائص هذه الأمة فإن الأمم قبلها لا يصلون إلا في البيع والكنائس وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة صلت وأَذَّنَت وسَبَّحَت وهَلَّلَت، فتكون هذه الأمة هي الموعود بها.

٩ ـ أن دينه يدوم إلى يوم القيامة لقوله: **«وهو نور الله الذي لا يُطفى»**.

١٠ ـ أن بكتفه علامة نبوته لقوله: **«أثر سطانه على كتفه»**، ولم يكن على كتف أحد علامة نبوته إلا محمد ﷺ[1] فهو المبشر به.

---

(١) كان خاتم النبوة بين كتفي النبي ﷺ انظر:
ـ البخارى كتاب الوضوء [باب ٤٠]، وكتاب الدعوات [باب ٣١].
ـ مسلم كتاب الفضائل [حديث ١١١، ١١٢].
ـ سنن أبي داود كتاب اللباس [باب ٢٣].
ـ الترمذي كتاب المناقب [باب ٣، ٨، ١١].
ـ طبقات ابن سعد [١/ ٢/ ١٣١].
ـ المسند [٢/ ٢٦٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٣/ ٦٩، ٤٣٤، ٤/ ١٩، ١٦٣، ٥/ ٣٥، ٧٧، ٨٢، ٩٠، ٩٥، ٩٨، ١٠٢، ١٠٧، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٤، ٤٣٨، ٤٤٣].
ـ مسند الطيالسي حديث ٧٥٩، ١٧٠١.

وهذه عشر علامات من أشعياء (عليه السلام) لا يحتاج معها في الرد على أهل الكتاب إلى غيرها، ومن أنصف منهم لا يجد محيداً عنها.

البشارة الحادية والثلاثون:

قال أشعياء (عليه السلام) «لتفرح البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات ولتزهو فإنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان حتى تصير كالدساكر والرياض وسيرون جلال الله تعالى إلهنا».

فصرح (عليه السلام) باسمه، وأن مكة تصير براريها محجوجاً إليها من الأقطار حتى يكثر فيها العمران فقد صرح باسمه واسم أرضه، فما يسع أهل الكتاب إلا الإيمان بذلك، وكيف يؤمنون بأشعياء (عليه السلام) ويكذبون أخباره ويردون أقواله؟؟

البشارة الثانية والثلاثون:

قال أشعياء (عليه السلام) فى نبوته: «قال إبراهيم خليل الله الذي قويته ودعوته من أقاصي الأرض لا يخاف ولا يرهب، فأنا معك وبيدي مهدت لك، جعلتك مثل الجرجر الحديد يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، حتى يجعله هشيماً يلوى به هودج الرياح، وأنت تبتهج وترتاح، ويكون محمداً».

فصرح (عليه السلام) باسمه ونصره في الحروب، وبسط مملكته بالتمهيد والإعانة، ولا يكاد أشعيا (عليه السلام) يهمل ذكر اسمه، كأنه عليه ضربة لازب. . ، وحتم واجب، وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه وجميع صفاته انقطعت أعذار أهل الكتاب.

البشارة الثالثة والثلاثون:

قال أشعياء (عليه السلام) فى نبوته معلناً باسمه (عليه السلام) «إني جعلت اسمك محمداً يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد».

البشارة الرابعة والثلاثون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته منبهاً على مكة: « سُري واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد وانطقي بالتسبيح وافرحي إذ لم تحبلي؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي»، يعني بأهله أهل بيت المقدس، وبالعاقر: مكة؛ لأنها لم تلد من قبل نبينا قال أشعياء (عليه السلام) نبياً، أهلها أكثر لأن المراد أهل الحق من الجميع دون أهل الضلال، فيخرج النصارى كلهم واليهود ولم يبق إلا من كان على حقيقة التوراة وهو قليلون جداً بالنسبة إلى

المسلمين، بل الأمم المحقة كلها أقل من المسلمين لقوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة»[1]

البشارة الخامسة والثلاثون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته: «ولد لنا غلام يكون عجباً وسيراد، والشامة على كتفه أركون السلم إلٰه جبار سلطانه السلام، وهو ابن عالم يجلسه على كرسي داود»، والأركون هو العظيم بلغة الإنجيل، فنص على أخفى علاماته، وهذه الشامة هي خاتم النبوة الذي بين كتفيه، وقد كان لبني إسرائيل من الملك والنبوة، وسيصير على كرسي داود بدلاً منهم.

البشارة السادسة والثلاثون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته حاكياً عن الله تعالى: «أشكر حبيبي وابني أحمد»، فصرح باسمه (عليه السلام) وسماه ابناً على اصطلاح لسان اليونان، وأمر أشعيا (عليه السلام) بشكره هو وقومه وسماه حبيباً، وهذا غاية التكريم والتعظيم بما يجب له وأنه سيكون.

البشارة السابعة والثلاثون:

قال أشعيا (عليه السلام) فى نبوته: «إنا سمعنا في أطراف الجبال صوت محمد» فصرح باسمه ﷺ ومكانه تصريحاً لا يحتمل التأويل.

البشارة الثامنة والثلاثون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته: «لتستحين تمجدني حيوانات البر من بنات آوى حتى الأنعام، لأنى أجريت الماء في اليد، ولتشرب منه أمتي المصطفاة التي اصطفيتها»، فكني عن العرب والحجاز بالبراري وبنات آوى والأنعام، وسمى الهَدْى ماءً، لأنه يزيل عطش الضلال، وأخبر أنه تعالى اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم.

البشارة التاسعة والثلاثون:

قال أشعياء (عليه السلام) فى نبوته منهباً على شرف مكة: «قومي وازهري مصاحبك،

---

(١) تقدم تخريجه.

فقد دنا وقتك، وكرامة الله تعالى طالعة عليك، فقد حَلّ الأرض الظلام، وغطى على الأمم كلها الضباب، والرب يشرق عليك إشراقاً، ويظهر عليك كرامته فتصير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، سيأتوك ويحجون إليك من البلد البعيد، وتتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك»، وليس على وجه الأرض مكان لم يكن له وقت وقد قرب وقته وهو يحج إليه الناس من أقطار الأرض إلا مكة، فإن البيت المقدس مازال معظماً محجوجاً، ولم يعظم مكة وجعل الحجيج إليها من أقطار الأرض إلا محمد ﷺ فتكون نبوته حقاً وهو المطلوب.

البشارة الأربعون:

قال يوشاع وهو أحد الإثني عشر: «بنو إسرائيل واليهود قد عتوا بالكذب والخيانة حتى نزلت أمة الله. الأمة المقدسة المؤمنة»، فصرح بأن بني إسرائيل أمة غيرنا، فإن النصارى داخلون في بني إسرائيل، فيكون نحن الأمة المقدسة المذكورة وهو المطلوب.

البشارة الحادية والأربعون:

قال ميخا النبي (عليه السلام) منبهاً على البيت الحرام: «إنه يكون في آخر الأيام بيت الرب مبني على قلل الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي، يأتين جميع الأمم يقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب»، وهذه صفة البيت الحرام وجبل عرفة، ولم يشرعه لجميع الأمم إلا محمد ﷺ فيكون دينه حقاً وهو المطلوب.

البشارة الثانية والأربعون:

قال النبي حبقوق (عليه السلام) فى نبوته: «أن الله تعالى جاء من الشمس، والقدوس من جبل فاران، ولقد أضاءت السماء من بهاء محمد ﷺ وامتلأت الأرض من حمده، شاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه، تسير المنايا أمامه. وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح على الأرض فتضعضت له الجبال القديمة، وتزعزعت ستور أهل مدين، ثم قال: زجرك في الأنهار واحتدام صوتك في البحار يا محمد أدن لقد رأتك الجبال فارتاعت، ونعرت المهادي بغير رعب، وسار العساكر في بريق سهامك، ولمعان نيرانك تدوخ الأرض غضباً وتدوس الأمم زجراً». فمن رام صرف هذا الكلام رام ستر النهار، وحبس الأنهار، فإنه سمى محمداً ﷺ مرتين، ووصفه لمقابلة أهل الأرض وأنه من جبل فاران، وفي التوراة: «إن إسماعيل (عليه السلام) وأمه كانا في برية فاران»، ولم يخرج من الحجاز غير محمد ﷺ ووصفه بالجهاد براً وبحراً وتدويخ جميع الأمم، وهذا لم يكن إلا له ﷺ.

البشارة الثالثة والأربعون:

قال النبي حزقيال (عليه السلام) فى نبوته: «إن كرامة أخرجت ثمارها وأغصانها، فأشتت على أغصان الأكابر والسادات، وارتقت وبسقت أفنانها، فلم تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخط والرمي بها على الأرض، فأحرقت السماء ثمارها، وتفرقت قواها، ويبست عصا غرسها، وأتت عليها النار وأكلتها، فعند ذلك غرس في البدو [غرساً]، وفي الأرض المهملة المعطلة العطشى، وخرجت من أغصانه نار فأكلت تلك، حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب ينهض».

فالغرس الأول يريد به شرع بني إسرائيل وملكهم، والغرس الثاني يكون بعد السخط عليهم في البادية وهي أرض الحجاز، وهذا تصريح منه بأنا نحن الغرس الموجود لله تعالى على وجه الأرض، وأن من عدانا سخوط عليه.

البشارة الرابعة والأربعون:

قال حزقيال (عليه السلام) فى نبوته يتهدد اليهود بنا: «أن الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبياً، وينزل عليهم كتاباً، ومملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب. معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين. فيحيطون بكم وتكون غايتكم إلى النار».

وقيدار هو ابن إسماعيل (عليه السلام) جد العرب، ولم يخرج من بني إسماعيل من له الحرب والغلبة لبني إسرائيل ومن معهم، إلا نحن بالضرورة.

البشارة الخامسة والأربعون:

قال دانيال (عليه السلام) فى نبوته مخاطباً لمحمد ﷺ «سينزع في فيّك إغراقاً يرتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً».

البشارة السادسة والأربعون:

في نبوة دانيال (عليه السلام) لما سأله بختنصر عن تأويل رؤياه التي نسيها: قال له: «رأيت أيها الملك صنماً عظيماً قائماً بين يديك، رأسه من ذهب وساعداه من فضة، وبطنه وفخذاه من النحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من خزف ورأيت حجراً لم تقطعه يد إنسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى، وعاد رفاتاً، ثم نسفته الرياح فذهب،

وتحول ذلك الحجر فصار جبلاً عظيماً حتى ملأ الأرض كلها، قال صدقت، فما تأويله؟ قال له أنت الرأس الذهب، ويقوم بعدك ولداك، وهما دونك فهما فضة، وبعدهما مملكة دونهما تشبه النحاس، والمملكة الرابعة في غاية القوة فهي الساقان الحديد، والرجلان الخزف مملكة ضعيفة والحجر الذي صدع الصنم نبي يقيمه الله تعالى إلٰه السموات والأرض، من قبيلة شريفة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلئ منه الأرض ومن أمته ويدوم سلطان ذلك النبي إلى إنقضاء الدنيا» ولم يوجد بعد دانيال إلى يومنا من فعل له هذا إلا محمد ﷺ.

البشارة السابعة والأربعون:

قال دانيال (عليه السلام) في نبوته: «رأيت في نومي كأن الرياح الأربع قد هاجت، وتموج بها البحر واعتلج اعتلاجاً شديداً فصور منه أربع حيوانات عظام مختلفة الصور، الأول: مثل الأسد وله أجنحة نسر، والثاني: مثل الدب وفي فمه ثلاثة أضلاع، وسمعت قائلاً: يقول: قم فكل من اللحم واستكثر منه، والثالث: مثل النمر وفي جنبيه أربعة أجنحة وله أربعة رؤوس وقد أعطى قوة، والرابع: قوي عظيم جداً وله أسنان من حديد عظام، فهو يأكل ويدق برجليه ما بقى، ورأيته مخالفاً لتلك الحيوانات، وكانت له عشرة قرون، فلم يلبث أن نبت له قرن صغير من بين تلك القرون، ثم صار لذلك القرن عيون، ثم عظم القرن الصغير حتى صار أكبر من سائر القرون، فسمعته يتكلم كلاماً عجيباً، فكان ينازع القديسين ويقاومهم، قال دانيال: فقال لي الرب تعالى: الحيوان الرابع مملكة رابعة في آخر الممالك، وهي أفضلها وأجلها، تستولي على جميع الممالك، وتدوسها وتدقها وتأكلها رغداً»، فقد عهد دانيال (عليه السلام) بأن أمتنا أفضل الأمم، وأنها دائمة على الأبد، وقال المفسرون لكتب دانيال: أن الحيوان الأول: دولة أهل بابل، والثاني: دولة أهل الملتين، والثالث: دولة الفرس، والرابع: دولة العرب، وهو تصديق قول التوراة لإبراهيم (عليه السلام): «**إني أبارك إسماعيل ولدك. وأعظمه جداً جداً**».

ومن تولى الله تعالى تعظيمه كيف لا يكون عظيماً؟ قلت: وأرى أن العشرة قرون هي أصحابه (عليه السلام) العشرة، ثم حصل بسببهم ومن بينهم وبالنقل عنهم وعن بقية الصحابة رضوان الله عليهم والتباعون وعلماء الأمة شيئاً قليلاً، ثم كثروا وعظموا واشتغلوا بالعلوم، وناظروا أهل الملل، وعظمت بصائرهم واشتهرت تصانيفهم، فيها من كل عجيب، وعلم بديع غريب، حتى ملأت خزائن المدائن من تصانيفها، وعمت سائر أنواع العلوم بتأليفها، فلم يبق علم لغيرها من القرون السالفة، حتى حققته بعد سقمه، ولم تترك ما يحتاج إليه من العلوم التي لم تكن حتى أخرجته بعد عدمه، ولا شك أن مجموع الأمة من واحد من العشرة، وإن كان كل واحد من العشرة خيراً من كل واحد ممن بعده إلى قيام

الساعة، ولذلك قال (عليه السلام): «**لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[1] فلم يجعل الفضل إلا بعين الواحد منا والواحد منهم، أما الجمع فلم يتعرض له وتفرقت إليه.

البشارة الثامنة والأربعون:

قال دانيال (عليه السلام): «سألت الله تعالى وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب إليهم ويرد عليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء (عليهم السلام) أو ينقل ذلك في غيرهم؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا دانيال: إن الله تعالى يقول لك: أن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليَّ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى، فصاروا من بعد العلم على الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر، قتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم، وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم. وأنا غير راض عنهم، ولا مقيلهم عثرتهم. فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول، فاختم عليهم بعد ذلك باللعن والسخط، فلا يزالون معلونين عليهم الذلة والمسكنة، حتى أبعث نبياً من بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها أملاكي يبشرونها، فأوحي إلى ذلك النبي وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سنّته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليّ، وأرقيه من سماء إلى سماء، حتى يعلو دينه وأسلم عليه، وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي السرور والعطية، حافظاً لما استودع، صادعاً بما أمر، يدعو إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه».

ثم سرد دانيال صلوات الله عليه قصته (عليه السلام) حرفاً حرفاً لما أملاه عليه الملك، حتى وصل إلى آخر أيام أمته عند نفخ الصور، وانقضاء الدنيا.

ودلائل نبوته (عليه السلام) كثيرة موجودة في أيدي اليهود والنصارى يقرؤونها ويكتمونها: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨].

البشارة التاسعة والأربعون:

قال يوحنا: في كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفراكسيس: «يا أحبّاء، إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها، واعلموا أن كل روح

---

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) وغيرهما.

تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسداً نبياً فهو من عند الله تعالى وكل روح لا تؤمن بأن يسوع المسيح (عليه السلام) جاء وكان جسداً نبياً فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب الذي سمعتم به وهو الآن في العالم».

فشهد يوحنا أن محمداً بن عبد الله من عند الله تعالى؛ لأنه آمن بالمسيح وصدقه، وقال إنه كان جسداً نبياً، وأن اعتقادنا هو الاعتقاد الحق في عيسى ابن مريم، وأن اعتقاد النصارى واليهود فيه باطل؛ واليهود إلى الآن تنتظر مسيح الهدى يأتي غير مسيح الضلالة الذي أنذرت به الأنبياء قومها، وقد تعداهم السعد وهم لا يشعرون.

البشارة الخمسون:

قال آرميا (عليه السلام) في نبوته حاكياً عن الله تعالى: «إني مهيج عليكم يا بني إسرائيل من البعد أمة عزيزة، أمة قديمة، أمة لا تفهمون بلسانها، وكلها مجرب جَبَّار».

وهو تصريح بهذه الأمة، وبُعدها: كونها ليست من بني إسرائيل، وعزها: اعتمادها على الحق، وقدمها: إنذار الأنبياء بها قديماً، ولسانها عربي لا يفهمه بنو إسرائيل، وتجربة العرب للحروب والغزوات والقفار والمهالك مشهورة قديماً وحديثاً لا تُجاري ولا تسابقها فيها أمة من الأمم، وهو جبروتها، وصلابة قلوبها على المشاق.

البشارة الحادية والخمسون:

قال أشعيا (عليه السلام) في نبوته: «أنا الرب لا إلٰه غيري أنا الذي لا تخفى عليه خافية، بل يخبر العابد بما لم يكن قبل ان يكون، وأكشف لهم الحادث والغيوب، وأتم مشيئتي كلها، أني سأدعو طائراً من البدو والبُعد الشاسع»، فهذا الطائر هو محمد ﷺ لأنه من البدو الشاسع عن إقليم بني إسرائيل، وسماه طائراً لطيران ملكه وهديه في الآفاق، والحمل على الطائر الحقيقي لا يبقى في هذا الكلام العظيم فائدة، فتعين حمله على معنى نفيس لائق بهذا السياق العظيم، ولم يقع في العالم ما يليق بهذا الخبر سوى محمد ﷺ، فتعين.

ولنقتصر على هذه الحادية والخمسون بشارة خشية الإطالة، وفي واحدة منها الكفاية لمن أنصف وقصد الحق، فكيف بواحد وخمسين؟!.

فإن قالوا: كيف تتمسكون بهذه الكتب وهي غير صحيحة عندكم؟ قلنا: نبوة نبينا ﷺ ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب، وإنما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته ﷺ إلزاماً لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها، وهي مثل جميع كتبهم في الصحة، فإن كان يحسن

الاستدلال بها تم مقصودنا، وإن كانت لا يحسن الاستدلال بها بطل جميع ما بيد أهل الكتاب لأن جميعه مثلها، وكيف يسع أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب وهذه النبوات ولا يقبلوا ما فيها من الدلالة على محمد ﷺ وهي مواضع تصل حد القطع من كثرتها، وإنما عميت منهم البصائر، وخبثت السرائر، فلا يجد الحق من قلوبهم محلاً، ولا لسماع التذكرة أهلاً، والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله، الذي جعلنا مخصوصين بدينه القويم، وصراطه المستقيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تم الكتاب ولله الحمد والمنة والثناء الحسن الجميل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ووافق الفراغ منه خليل بن علي عفا الله عنه في صفر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

فهرس المحتويات